ما لا يستغنى عنه
الواعظ والعابد

٢

إتحاف الأكابر
بتهذيب

كتاب الكبائر

للإمام الحافظ شمس الدين الذهبي
المتوفى سنة ٧٤٨ هجرية

تحقيق وتهذيب وترتيب

الدكتور / أسامة محمد عبد العظيم حمزة
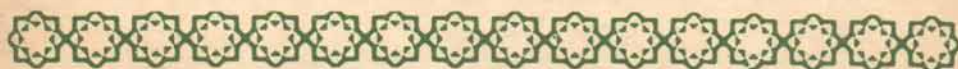
دار الفتح

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين اللَّهم صلِّ على محمد وأنزله المقعد المقرب منك يوم القيامة.

أما بعد..

فقد تنوعت زيادات التحقيق -في هذه الطبعة- فشملت العناية بما يلى :

- تصحيح الأحاديث في عشرين موضعًا كما في الصفحات: (٢٦ هـ١، ٣٠، ٣١، ٥٨ هـ ١، ٦٢، ٧٥، ٧٨، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٣، ١٦٩، ١٩٤، ٢٠٠، ٢١٠، ٢١٧، ٢٢٥، ٢٥١، ٢٦٧، ٢٨٥).
- تخريج بعض الأحاديث التي فات تخريجها في الطبعة السابقة في الصفحات: (٧٩، ١٩٧، ٢٥٤).
- توضيح معاني بعض الأحاديث في موضعين بصفحتى: (١٧٥، ٢١١).
- إدخال الاستدراكات التي سبق إلحاقها بآخر الكتاب في صُلب الكتاب.
- إصلاح المواضع التي كانت بجدول تصويب الأخطاء – من قبل- .
- تصويب بعض الكلمات كما في صفحتي: (٥٧، ١٢٥).

وأخيرًا..لا نملك إلا أن ندعو الله تعالى بأن ينفع بالأصل والزيادة وأن يخلف على من كان سببًا فيها ويبارك لهم في أوقاتهم.

والحمد لله ربِّ العالمين ،،،

أ.د/ أسامة محمد عبد العظيم حمزة

القاهرة فى الأحد: ١٥ من ذى القعدة الحرام ١٤٢٨هـ

الموافق ٢٥ من نوفمبر ٢٠٠٧ م

مقدمة التحقيق

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمدٍ وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١].

أما بعد ..

فقد حاز الشرف في إخراج هذا السفر النفيس إلى عالم الطباعة -لأول مرة- العلَّامة الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة، المدرس بالمسجد الحرام، حيث قام / بتخريج نصوصه وربما شرح غريب أحاديثه، أو نبّه على فائدة، أو ترجم لبعض من ذُكر فيه من الأعلام مع الإشراف على طباعته معتمدًا -في ذلك- على ثلاث نسخ مخطوطة، وذلك في سنة ١٣٥٥هـ فجزاه الله خيرًا وأحسن مثوبته.

ثم تتابع الناس على طباعته مع حواشي الشيخ / وحصلت الهداية لكثير بسببه وعظم نفعه؛ فرجع الفضل إلى السابق، وإن عدم من اللاحق ذكرًا أو شكرًا.

وكتاب الكبائر -كما قال محققه الأول- (نافع مفيد في بابه؛ فهو عضد الخطيب والواعظ، وسلوى الحائر والجازع، وترقيق قلب القاسي، وتزهيد عن فضول حطام الدنيا، وزجر عن المعاصي والمهلكات الفواقر).

وذلك ببركة ما اشتمل عليه من مواعظ الآيات البيِّنات، ورقائق الأحاديث الشريفات، وزواجر القصص والأشعار، فضلًا عن الأحكام الفقهية، والآثار عن السلف الصالح.

وقد كان شوق بعض المتعلمين -من أهل الدين- إلى تكميل مقاصده -من زيادة إيضاح أو تصحيح رواية، أو تحرير لفظ، أو ترتيب نظم، أو حذف حشو- قد صدهم عن هذا الكتاب، وحال بينهم وبين الإفادة منه.

فلذلك توجه العزم -بعد الاستعانة بالله تعالى، ومنه الحول والقوة- إلى إزالة تلك الموانع، وإماطة ما كان من القواطع، حتى يعم نفعه، بأن ينهل منه المتعبد والعالم، ويرجع إليه المربي والواعظ: يستفيد منه في درسه، وخطبته، ووعظه.

وإن كان شرح الصدر لهذا الغرض من قبل ما يقارب التسع سنوات، فقد حال دون الوصول إليه مهمات وملمات، حتى ظهر للكتاب ثنتان من الطبعات المحققات[1] لكن ذلك لم يثنِ العزم عن مدافعة العقبات؛ لاختلاف الصنيع من تطويل الذيول والتعليقات، والإفاضة في تعداد المراجع مع إمكان الاستغناء ببعض المذكورات وغير ذلك مما يليق بالكتب الخصوصيات، لا ما يقصد منه الحاجات العموميات.

فدونك -أيها العابد الناسك والواعظ العالم- كتاب الكبائر في حلته الجديدة مزدانًا بتحقيق وتهذيب وترتيب، إليك بيانه:

أولا: التحقيق

وقد شمل الأغراض الآتية:

الأول: العناية بالنصوص القرآنية وذلك:

أ- بمراجعتها مع الدلالة على مواضعها من سورها، وجعل ذلك في صُلب الكتاب.

ب- زيادة تفسير ما ترك الإمام الذهبي تفسيره من الآيات الكريمة، وذلك بالنقل من

---

(١) **الأولى**: طبعة مكتبة دار السلام بعناية الأستاذ عبد الرحمن فاخوري.

والثانية: طبعة مكتبة دار الصابوني بتحقيق الأستاذ عبد المحسن قاسم البزاز، وقد بذل كل من المحققين الفاضلين جهدًا مشكورًا؛ لكنه زائدٌ عما يحتاجه كتابٌ غرضه وعظ العوام وزجرهم.

كتب التفسير المعتمدة.

جـ- زيادة آيات يحتاج إليها السياق مع ضم تفسيرها إليها مثل:

١- الآية الأولى في كبيرة الكبر والفخر والخيلاء، صفحة (٢٩).

٢- الآيتين الأولى والثانية من كبيرة الكذب الذي فيه حد أو إضرار، صفحة (٢٧٦).

الثاني: العناية بنصوص الأحاديث:

أ- مراجعة جميع أحاديث الكتاب وضبطها لتوافق ما في كتاب (رياض الصالحين) للنووي، وكتاب (الترغيب والترهيب) للمنذري، ونقل ما يتعلق بشرح الغريب ودرجة الحديث منهما، مع إضافة رقم الصفحة والجزء في صلب الكتاب[1] اعتمادًا على طبعة الشيخ رضوان محمد رضوان للأول، والشيخ محمد منير الدمشقي للثاني.

ب- وما لم يكن في الكتابين السابقين فقد تم تخريجه وضبطه وعزوه إلى مصدره في هامش الكتاب غالبًا.

جـ- تصدير الأحاديث الضعيفة بصيغة (روي) مهملة عن نسبتها للنبي ﷺ مع التعليق المشتمل على برهان ضعفها في الهامش أحيانًا.

د- إثبات أحاديث صحيحة بدلًا من الأحاديث الضعيفة وذلك في بضعة عشر موضعًا، مع زيادة قريب من هذا العدد من الأحاديث الصحيحة.

هـ- توضيح ما نُسب للنبي ﷺ من أقوال بذكر نص الحديث الدال على كل منها مع تخريجه والكلام على إسناده كما في كبيرة اللعن، وغيرها.

الثالث: العناية بنصوص الكتاب، وذلك بالأمور الآتية:

أ- زيادات لتوضيح سياق الكلام وضعت بين قوسين معقوفين ونُبِّه عليها في هامش الكتاب غالبًا.

ب- شرح غريب الكلمات والعبارات بالرجوع إلى كتب اللغة وغيرها.

---

(١) وإنما أدخل ذلك في صلب الكتاب تيسيرًا على القارئ الذي ربما وجد عناء في الرجوع إلى الهامش أو ظن الاستغناء عنه، أو هاب النظَر إليه، مع ما في ذلك من تطويل وزيادة في حجم الكتاب.

جـ- توجيه الفروع الفقهية؛ بذكر مذاهب العلماء وأدلتهم، إذا احتاج الأمر لذلك[١].

د- مراجعة عبارات الكتاب، وتوثيق نصوصه، وإصلاح ما يلزم إصلاحه؛ بالرجوع إلى المصادر: كالزواجر، وإحياء علوم الدين، والأذكار وغيرها[٢].

هـ- كما تم نقل (فائدة فيها من كلام الناس ما هو كفر صرحت به العلماء) إلى كبيرة الشرك، فقد أضيف إليها هوامش مبينة موضحة.

الرابع: استكمال موضع الخرم:

فقد ختمت الكبيرة الثالثة والستون وهي كبيرة (الأمن من مكر الله)[٣] بعبارة: سُئل الإمام الشافعي -رحمه الله تعالى- وابتدأ السياق في صفحة جديدة بعبارة: (ينادي منادٍ من قبل العرش) إلى أن قال: يا عبدي فما ظنك بي؟ فيقول: يا رب أن تعفو عني. مما يدل على انقطاع السياق وتغير الموضوع بحيث يغلب على الظن أن السياق الجديد من كبيرة أخرى هي (اليأس من رحمة الله) وقد صدق هذا الظن بمراجعة (الكبائر وتبيين المحارم)[٤].

وقد استكمل النص المنقوص آخر كبيرة (الأمن من مكر الله)، بالرجوع إلى مناقب الشافعي للبيهقي ومختصر التذكرة للقرطبي، ثم ختمت الكبيرة بما يشبه المألوف والمعهود من ختام المصنف.

وأما كبيرة (اليأس من رحمة الله) فقد ذكر في مقدمتها من الآيات ما يمنع من القنوط، ويحمل على الرجاء على ما في سياق الزواجر[٥]، مشفوعة بتفسيرها على النحو المطرد في الكتاب، ثم تبع ذلك ذكر أحاديث صحيحة بما يوازي المقدار الساقط، وختمت بما وجد في أصل المخطوطة[٦].

---

(١) كما في الصفحات (٦٨-٧٦-١١٥).

(٢) كما في الصفحات (٢٠٢-٢٠٣).

(٣) وهي في هذا الكتاب برقم (٦).

(٤) الكبائر وتبيين المحارم (١٦٢-١٦٣).

(٥) الزواجر (١١٣).

(٦) المعهود من صنيع ابن حجر الهيتمي -بالاستقراء- استقصاؤه بذكر جميع ما في كتاب الكبائر ثم زيادة ما شاء بحيث يمكن تغليب الظن بأن ما سوى هذه الزيادة المعهودة هو من كتاب الذهبي.

ثانيًا: التهذيب

ومقصوده ضم المسائل إلى نظائرها، أو نقلها إلى المواضع المناسبة لها، أو حذف بعضها للاستغناء عنه فتضمن الأمور التالية:

الأول: نقل ما يتعلق بالرياء من كبيرة (الشرك بالله) إلى الكبيرة المختصة بالرياء.

الثاني: إعادة توزيع المادة العلمية للكبائر المختصة بالتهاون في الصلاة وهي:

الكبيرة الرابعة: في ترك الصلاة.

الكبيرة الخامسة والستون: في تارك الجماعة فيصلي وحده من غير عذر.

الكبيرة السادسة والستون: في الإصرار على ترك صلاة الجمعة من غير عذر[1]؛ حتى تحصل المناسبة بين العنوان والمضمون، ويتحقق الوفاء بالغرض.

الثالث: نقل قول الخطابي المذكور في آخر كبيرة السحر إلى كبيرة (تصديق الكاهن والمنجِّم) لكونه أليق بها.

الرابع: نقلت آخر فقرة في كبيرة اللواط إلى كبيرة إتيان الكاهن، وكذلك تغيير موضع آخر كبيرة (الغلول من الغنيمة) إلى كبيرة (الظلم).

الخامس: اشتملت كبيرة (التكذيب بالقدر) على (فائدة: فيها من كلام الناس ما هو كفر صرحت به العلماء) فناسب أن تنقل إلى كبيرة الشرك[2].

السادس: نقل موضعين من صلب الكتاب إلى هامشه.

الأول: هامش صفحة (٢٥٣).

والثاني: الأحاديث التي لم يمكن عزوها أو الاستدلال عليها في (فصل في جواز لعن أصحاب المعاصي غير المعينين).

---

(١) وهي في كتابنا الكبيرة الرابعة عشرة والسادسة عشرة على الترتيب.

(٢) وهذا موافق لصنيع الهيثمي في الزواجر (٣٨).

السابع: حذف في مواضع من الكتاب يحسن التنبيه عليها مع بيان سببه:

▪ أولا: الآيات القرآنية

أ- أكتفي عن ذكر قوله تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ في كَبِيرَة (قذف المحصنات) بما قبلها من الآيات؛ وذلك لعدم دلالتها على المقصود إلا بالواسطة.

ب- وقع في كبيرة (الكذب في غالب أقواله)[1] سهوٌ ترتب عليه ظن أن (ألا لعنة الله على الكاذبين) آية، وأقرب ما في التنزيل إلى سياقها قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ [آل عمران: ٦١] أو ﴿ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [النور: ٧] وهما لا شاهد فيهما، فلذلك حذفت.

جـ- ولم يذكر قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ في كبيرة (أذى المسلمين وشتمهم) للاكتفاء بذكرها في كبيرة (التسمُّع على الناس ما يسرون).

د- حذف من كبيرة (المكَّاس) ما ذكره الواحدي في تفسير قوله تعالى: ﴿ لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ ﴾ لضعف إسناده.

هـ- وأيضًا حذف من كبيرة (الاستطالة) ما ذكره الواحدي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ لعدم مناسبته[2].

▪ ثانيًا: الأحاديث النبوية

أ- ذكر الإمام الذهبي في كبيرة (غش الإمام الرعية) حديثًا بلفظ: «**الإمام العادل يظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله**» وهو رواية للحديث الصحيح بالمعنى، وقد ذكر نصه فى صفحة(٢١٦).

ب- حذف من كبيرة (الكذب في غالب أقواله) حديث «**إياكم والظن...**»؛ لأنه لا يدل على التحذير من الكذب إلا بالواسطة أي فإذا كان الظن منهيًّا عنه؛ لكونه كذبًا فأولى

---

(١) وهي مما غير اسمها إلى (الكذب الذي فيه حد أو إضرار) وهي ص ٢٧٦.

(٢) وعبارته قال الواحدي: في قوله تعالى: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ أخبرنا أحمد ابن محمد ابن إبراهيم المهرجاني بإسناده عن معاذ بن جبل ﷺ قال: كنت رديف النبيﷺ على حمار فقال: «**يا معاذ**» قلت: لبيك وسعديك يا رسول الله قال: «**هل تدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟**» قلت: الله ورسوله أعلم قال: «**فإن حق الله على العباد أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا**» اهـ حيث خلا عن ذكر شيء يتعلق بالاستطالة والحديث صحيح. رواه البخاري (٧/ ٢١٧)، (٨/ ٧٤).

أن يكون الكذب كذلك منهيًا عنه.

جـ- كما لم يذكر في كبيرة (الكبر) حديث «**ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المسبل... إلخ**» لذكره في كبيرة (إسبال الإزار)؛ لكونه أليق بها.

د- حُذِفت من الأحاديث الضعيفة بضعة وثلاثون حديثًا لا يتعلق بذكرها غرض.

▪ **ثالثًا: الآثار وأقوال السلف**

أ- ذكر الذهبي في كبيرة شرب الخمر قول ابن مسعود ﷺ (إذا مات شارب الخمر فادفنوه ثم اصلبوه على خشبة، ثم انبشوا عنه قبره؛ فإن لم تروا وجهه مصروفًا عن القِبْلة وإلا فاتركوه مصلوبًا) فحذف من موضعه؛ لتعذر تحقيق نسبته أولًا ولشناعته وعدم موافقة ما دل عليه لظواهر الشرع ثانيًا.

ب- ذكر الذهبي في كبيرة هجر الأقارب قول علي بن الحسين لولده: (يا بني لا تصحبن قاطع رحم؛ فإني وجدته ملعونًا في كتاب الله في ثلاثة مواضع) فبعد التقصي لم يوجد لعنه إلا في موضعين: الأول في سورة القتال آية (٢٢)، والثاني في سورة الرعد آية (٢٤).

▪ **رابعًا: الحكايات**

حذفت حكاية في كبيرة عقوق الوالدين وهي الخاصة بعلقمة وأخرى في كبيرة هجر الأقارب؛ لكونهما لا أصل لهما.

ثالثًا: الترتيب

وبه تحققت مطالب: إعادة الترتيب الخارجي، وتنسيق التركيب الداخلي، وتغيير الأسماء.

أ- إعادة الترتيب الخارجي

- حصر الإمام الذهبي الكبائر في سبعين كبيرة، بناء على قول ابن عباس: (هي إلى السبعين أقرب) ورتبها مقدمًا الكبائر التي اشتمل عليها حديث أبي هريرة ﷺ المرفوع: «**اجتنبوا السبع الموبقات...**».

فكانت كبيرة الشرك أولاها، ثم كبيرة قتل النفس، ثم كبيرة السحر، وأما أكل مال

اليتيم ففي الكبيرة الثالثة عشرة، وقبلها أكل الربا، والتولي يوم الزحف في الكبيرة الخامسة عشرة، وقذف المحصنات في الكبيرة الحادية والعشرين.

ثم صار سرد الكبائر -بعد ذلك- على غير قانون معروف مما يصعب معه الاهتداء إلى مواضع قضايا الكتاب.

وتوسع الإمام ابن حجر الهيتمي -في كتابه (الزواجر عن اقتراف الكبائر)- فاجتمع له في حصر الكبائر سبع وستون وأربعمائة كبيرة [(١)].

ورتب الهيتمي كتابه على مقدمة في تعريف الكبيرة وبابين، جعل أحدهما: للكبائر الباطنة [(٢)] وما يتبعها مما ليس له مناسبة بخصوص أبواب الفقه.

قال [(٣)]: والثاني في الكبائر الظاهرة، وأرتب هذه على ترتيب أبواب فقهنا معشر الشافعية لما في ذلك من تيسير الكشف عليها في محالها. اهـ.

وقد أُعيد ترتيب كتابنا هذا ليوافق ترتيب (الزواجر) ما عدا كبيرة (أذية أولياء الله)، فقد تبعت كبيرة (أذى الجار) وكبيرة (أذى المسلمين) للتناسب البين بينهما. فناظر الباب الأول من (الزواجر): الكبائر من الأولى حتى الحادية عشرة، وكان بقية الكتاب للكبائر الظاهرة.

---

(١) دعاه إلى ذلك ما تفاحش من ظهور الكبائر، وعدم أنفة الأكثرين عنها في الباطن والظاهر، وأن أبناء الزمان وإخوان اللهو والنسيان قد غلبت عليهم دواعي الفسوق، والخلود إلى أرض الشهوات والعقوق، والركون إلى دار الغرور، والإعراض عن دار الخلود، ونسيان العواقب، وعدم المبالاة بالمعائب، حتى كأنهم أمنوا عقاب الله ومكره، ولم يدروا أن ذلك الإمهال إنما هو ليحق عليهم قهره. (٥ - ٦) الزواجر.

(٢) قال الهيتمي: وقدمتها لأنها أخطر، ومرتكبها أذل العصاة وأحقر؛ ولأن معظمها أعم وقوعًا، وأسهل ارتكابًا، وأمرُّ ينبوعًا، فقلما ينفك إنسان عن بعضها، للتهاون في أداء فرضها، فلذلك كانت العناية بهذا القسم أولى، وكان صرف عنان الفكر إلى تلخيصه وتحريره أحق وأحرى.

ولقد قال بعض الأئمة: كبائر القلوب أعظم من كبائر الجوارح؛ لأنها كلها توجب الفسق، والظلم، وتزيد كبائر القلوب بأنها تأكل الحسنات، وتوالي شدائد العقوبات، ولما ذكر بعض الأئمة الكبائر الباطنة وأوصلها إلى أكثر من ستين.

قال: والذم على هذه الكبائر أعظم من الذم على الزنا، والسرقة، والقتل، وشرب الخمر؛ لعظم مفسدتها وسوء أثرها ودوامه؛ فإن آثارها تدوم بحيث تصير حالًا للشخص، وهيئة راسخة في قلبه، بخلاف آثار معاصي الجوارح؛ فإنها سريعة الزوال بمجرد الإقلاع مع التوبة والاستغفار والحسنات الماحية والمصائب المكفرة ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾. (٣٤) الزواجر.

(٣) الزواجر (٦).

ب- تنسيق التركيب الداخلي

وقد أُعيدت صياغة المادة العلمية لكل كبيرة، بحيث أصبحت كلها على نسق واحد؛ يبدأ بالآيات الكريمة التي تتعلق بالغرض، ثم بالأحاديث الصحيحة، ثم بأقوال الصحابة والسلف، ثم بالأحاديث الضعيفة، وقد صُدِّرت بكلمة (روي)، وأهمل عزوها للنبي ﷺ؛ دفعًا لتوهم صحتها مع التعليق عليها أحيانًا، أما الحكايات والمواعظ والأشعار فقد أخرت لموضعها من الائتناس بها.

جـ- تغيير الأسماء

وكذلك كانت تسمية الإمام ابن حجر الهيثمي لعناوين الزواجر أدق وأدل على المقصود، فلم يكن بد من الاستعانة بها والاستفادة منها، حتى نال بضعًا وعشرين كبيرة.

- فبينما سمى الذهبي الكبيرة الأولى (الشرك بالله) وضمَّنها الكلام على نوعيه الأصغر والأكبر، وقد اختص الرياء -وهو من الشرك الأصغر- بكبيرة منفردة فالكبيرة الأولى سُميت هنا (الشرك الأكبر) تمييزًا عن الشرك الأصغر الذي هو الرياء الذي اختص الكلام عليه بالكبيرة الثانية في الترتيب.
- وسمى الذهبي الكبيرة الرابعة (ترك الصلاة) فأوهم شمول كل ترك ولو نسيانًا ويزول الوهم بتسميتها (تعمد ترك الصلاة).
- وخصصت الكبيرة الثانية عشرة للربا، فعدلت إلى (أكل الربا) إذ هو فعل المكلف الذي يوصف بالكبيرة.
- **وتبعًا للهيتمي تغيرت أسماء الكبائر الآتية:**

-الكذب في غالب أقواله إلى الكذب الذي فيه حد أو إضرار.

-الخيانة إلى الخيانة في الأمانة.

-أذية عباد الله والتطول عليهم إلى أذية أولياء الله؛ لاندراج معنى التطول فيها.

-الإصرار على ترك صلاة الجمعة إلى الإصرار على ترك صلاة الجمعة من غير عذر.

ولما كان التعبير بالمصدر الصريح أخصر استبدلنا عنوان (قتل الإنسان نفسه) بعنوان (أن يقتل الإنسان نفسه).

تغير من عناوين الكبائر ما كان على معنى اسم الفاعل أو صياغته؛ إذ إنه في الحقيقة

مرتكب الكبيرة وليس عينها؛ ولذا استبدل عنوان (جباية المكوس) بعنوان (المكَّاس).

و(الظلم في القضاء)، بـ (القاضي السوء).

و(الدياثة والقيادة بين الرجال والنساء) بـ (الدَّيوث).

و(رضا المطلق بالتحليل، وطواعية المرأة المطلقة عليه، ورضا الزوج المحلل به) بـ (المحلل والمحلل له).

و(المن بالصدقة) بـ (المنان).

و(النميمة) بـ (النَّمام).

و(تبرؤ الإنسان من نسبه)، بـ (من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم).

و(ترك صلاة الجماعة من غير عذر) بـ (تارك الجماعة فيصلي وحده من غير عذر).

و(الدلالة على عورات المسلمين) بـ (من جسَّ على المسلمين ودل على عوراتهم).

وبعد

فقد استغرق إخراج هذا الكتاب أوقاتًا طويلة على مدى سنين عديدة، وتكررت فيه المراجعات والمقابلات رغبةً في تحرير نصِّه وتقريب قصده، ومع ذلك لم يخل من أخطاء.

وما أحسن ما قال العماد الأصبهاني[1]: (إني رأيت أنه لا يكتب أحدٌ كتابًا في يوم إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر).

أسأل الله الكريم أن ينفع بهذا الكتاب مؤلفه ومحققه ومن ساعد فيه ومن سعى في نشره، والحمد لله رب العالمين.

أ. د. أسامة محمد عبد العظيم حمزة

القاهرة- جمادى الآخرة ١٤١٠هـ

---

(١) الكاتب الوزير المؤرخ العلَّامة أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد الأصبهاني مولده سنة ٥١٩هـ أتقن الفقه والخلاف والعربية وصنَّف التصانيف: منها خريدة القصر وجريدة العصر وديوان الرسائل، والبرق الشامي في التاريخ، وفاته سنة ٥٩٧هـ. شذرات الذهب (٤/ ٣٣٢)- كشف الظنون (٧٠١)- هدية العارفين (١٠٥).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين وإمام المتقين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فهذا كتاب مشتمل على ذكر جُمل من الكبائر المحرمات والمنهيات.

- **والكبائر**: هي ما نهى الله ورسوله عنه في الكتاب والسُّنَّة [وكان فيه حدٌّ في الدنيا، أو وعيدٌ في الآخرة، أو نفي إيمان، أو لعن، أو تبرؤ، أو ليس منا].

- وقد ضمن الله تعالى في كتابه العزيز لمن اجتنب الكبائر المحرمات أن يكفر عنه الصغائر من السيئات بقوله تعالى: ﴿ **إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا** ﴾ [النساء: ٣١].

فقد تكفل الله تعالى بهذا النص لمن اجتنب الكبائر أن يدخله الجنة.

وقال تعالى: ﴿ **وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ** ﴾ [الشورى: ٣٧].

وقال تعالى: ﴿ **ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ** ﴾ [النجم: ٣٢] الآيات.

وقال رسول الله ﷺ: «**الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر**» رواه مسلم والترمذي. (٧٤)

- فتعين علينا الفحص عن الكبائر ما هي؟ لكي يجتنبها المسلم فوجدنا العلماء -رحمهم الله تعالى- قد اختلفوا فيها:

فقيل: هي سبع.

واحتجوا بقول النبي ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**» قيل: يا رسول الله وما هن؟ قال: «**الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**» رواه البخاري ومسلم وغيرهما. (٣/ ٢٠١- ٢٠٢)

وقال ابن عباس ﷺ: هي إلىٰ السبعين أقرب منها إلىٰ السبع. وصدق -والله- ابن عباس.

وأما الحديث: فما فيه حصر الكبائر.

والذي يتجه، ويقوم عليه الدليل: أن من ارتكب شيئًا من هذه العظائم مما فيه حد في الدنيا: كالقتل، والزنا، والسرقة، أو ما جاء فيه وعيد في الآخرة من عذاب أو غضب أو تهديد، أو لعن فاعله علىٰ لسان محمد ﷺ [أو ورد فيها وعيد بنفي إيمان أو تبرؤ، أو ليس منا] فهو مرتكب للكبيرة.

- ولا بد من تسليم أن بعض الكبائر أكبر من بعض.

ألا ترىٰ أنه ﷺ عدَّ الشرك بالله من الكبائر مع أن مرتكبه مُخلد في النار لا يغفر له أبدًا؛ قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ١١٦].

[وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [المائدة: ٧٢].

ولا بد من الجمع بين النصوص:

قال النبي ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**» قالها ثلاثًا. قالوا: بلىٰ يا رسول الله! قال: «**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين**» وكان متكئًا فجلس فقال: «**ألا وقول الزور وشهادة الزور**» فما زال يكررها حتىٰ قلنا: ليته سكت. متفق عليه. (١٦٠)

فبين عليه الصلاة والسلام أن (قول الزور) من أكبر الكبائر، وليس له ذكر في السبع الموبقات وكذلك العقوق][1].

- واعلم أن التوبة -من كل معصية- واجبة علىٰ الفور حتم لازم علىٰ كل عاص، لا يجوز تأخيرها سواء كانت صغيرة أو كبيرة، وأنها من مهمات الإسلام، وقواعد الدين المتأكدة، ووجوبها -عند أهل السُّنَّة- ثابت بالكتاب والسُّنَّة.

وظاهر النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية، والآثار السلفية: علىٰ أن من تاب لله

(١) من الكبائر وتبين المحارم (٣٧).

توبة نصوحًا، واجتمعت شروط التوبة فيه؛ فإنه يقبل منه توبته كرمًا منه، وفضلًا، ومنَّةً وإحسانًا.

- واعلم أن كثيرًا من هذه الكبائر بل عامتها -إلا قليل- يجهل خلق من الأمة تحريمه، وما بلغه الزجر فيه ولا الوعيد.

فهذا الضرب فيه تفصيل ينبغي للعالم أن لا يستعجل على الجاهل؛ بل يرفق به ويعلمه مما علمه الله، ولا سيما إذا كان قريب العهد بجاهليته، قد نشأ في بلاد الكفر البعيدة وأُسر وجُلب لأرض الإسلام، وهو تركي أو كرجي مشرك لا يعرف [التكلم] بالعربية، فاشتراه أمير تركي لا علم عنده ولا فهم، فبالجهد إنه يلفظ بالشهادتين، فإن فهم [التكلم] بالعربية حتى فقه معنى الشهادتين بعد أيام وليال فبها ونعمت، ثم قد لا يصلي، وقد يصلي وقد يقرأ الفاتحة مع الطول، إن كان أستاذه فيه دين ما، فإن كان أستاذه نسخة منه؛ فمن أين لهذا المسكين أن يعرف شرائع الإسلام، والكبائر واجتنابها والواجبات وإتيانها؟!

فإن عرف هذا موبقات الكبائر وحذر منها، وأركان الفرائض واعتقدها فهو سعيد، وذلك نادر.

فينبغي للعبد أن يحمد الله تعالى على العافية.

فإن قيل: هو فرَّط لكونه ما سأل عما يجب عليه!

قيل: ما دار في نفسه، ولا استشعر أن سؤال من يعلمه يجب عليه.

ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور.

فلا يأثم أحد إلا بعد العلم، وبعد قيام الحجة عليه، والله لطيف بعباده رءوف بهم.

قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [الإسراء: ١٥].

وقد كان سادة الصحابة بالحبشة، وينزل الواجب والتحريم على النبي ﷺ فلا يبلغهم إلا بعد أشهر، فهم في تلك الأشهر معذورون بالجهل حتى يبلغهم النص.

وكذا يعذر بالجهل من لم يعلم حتى يسمع النص، والله أعلم[1] اهـ.

---

(١) هذه الفائدة نقلها الشيخ عبد الرازق حمزة ﷺعن الكبائر الصغرى للمصنف وهي في (الكبائر وتبين المحارم) (٤٦-٤٧) آخر كبيرة (السحر).

الكبيرة الأولى
الشرك الأكبر والعياذ بالله تعالى

وهو أن يجعل لله ندًّا، ويعبد معه غيره من حجر، أو شجر، أو شمس، أو قمر، أو نبي، أو شيخ، أو نجم، أو ملك، أو غير ذلك، وهو أكبر الكبائر أعاذنا الله منه بمنِّه وكرمه وختم لنا بالحسنىٰ في عافية بلا محنة، إنه أكرم كريم وأرحم رحيم.

- قال الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨] أي: لا يغفر الشرك، ويغفر ما سوىٰ ذلك من الذنوب لمن شاء من عباده[1] وهو يخص عموم[2] قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣].

- وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣] أي: إن الشرك قبيح، وظلم صارخ؛ لأنه وضع للشيء في غير موضعه، فمن سوىٰ بين الخالق والمخلوق، وبين الإله والصنم، فهو -بلا شك- أحمق الناس، وأبعدهم عن منطق العقل والحكمة وحريٌّ بأن يوصف بالظلم، ويجعل في عداد البهائم[3].

- وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ ﴾ أي: من يعتقد بألوهية غير الله، فلن يدخل الجنة أبدًا؛ لأنها دار الموحدين ﴿ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ﴾ أي: مصيره نار جهنم ﴿ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة: ٧٢]: أي: فلا ناصر ولا منقذ له من عذاب الله[4].

والآيات -في ذلك- كثيرة.

- فمن أشرك بالله ثم مات مشركًا؛ فهو من أصحاب النار قطعًا كما أن من آمن بالله ومات مؤمنا؛ فهو من أصحاب الجنة وإن عُذِّب بالنار.

- وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر**» ثلاثًا قلنا: بلىٰ يا رسول

---

(١) صفوة التفاسير (٢٦٥).

(٢) قاله الهيتمي في الزواجر (٤٠).

(٣) صفوة التفاسير (١٠٧٦).

(٤) صفوة التفاسير (٣٤٣).

الله! قال: «**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين**» وكان متكئًا فجلس فقال: «**ألا وقول الزور وشهادة الزور**» فما زال يكررها حتى قلنا: (ليته سكت) متفق عليه من حديث أبي بكرة ﷺ. (١٦٠)

- وقال ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**» فذكر منها الشرك بالله. رواه البخاري ومسلم. (٣/ ٢٠١- ٢٠٢)

- وقال ﷺ: «**من بدَّل دينه فاقتلوه**» رواه البخاري وأحمد[١].

- [وقال ﷺ: «**يا ابن الخطاب اذهب فناد في الناس: إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون**» رواه أحمد ومسلم]. (٢/ ١٢٧)

(فائدة)[٢]

فيها من كلام الناس ما هو كفر صرَّحت به العلماء

- منها: (**ما لو سخر باسم من أسماء الله، أو بأمره، أو وعده، أو وعيده**) كفر.

- ولو قال: (**لو أمرني الله بكذا ما فعلت؛** كفر، **ولو صارت القبلة في هذه الجهة ما صليت إليها**) كفر.

- ولو قيل له: (**لا تترك الصلاة؛ فإن الله يؤاخذك، فقال: لو آخذني بها مع ما فيَّ من المرض والشدة لظلمني**) كفر.

- ولو قال: (**لو شهد -عندي- الأنبياء والملائكة بكذا ما صدقت**) كفر.

- ولو قيل له: (**قلِّم أظفارك فإنه سُنَّة، فقال: لا أفعل وإن كانت سُنَّة**) كفر[٣].

- ولو قال: (**فلان في عيني كاليهودي [والنصراني في عين الله]**) كفر.

- لو قال: (**إن الله جلس للإنصاف أو قام للإنصاف**) كفر.

---

(١) نيل الأوطار (٨/ ١٩٠- ١٩١).

(٢) كانت ملحقة بكبيرة (التكذيب بالقدر).

(٣) قال النووي في الروضة: المختار أنه لا يكفر بهذا إلا أن يقصد استهزاء. انتهى: قال الهيتمي: وما اختاره متعين (٣٠- ٣١) الإعلام.

- وجاء في وجه: (**من قال لمسلم لا ختم الله لك بخير أو سلبك الإيمان**) كفر[1].

- وجاء- أيضًا أن من طلب يمين إنسان فأراد أن يحلف بالله، فقال: (**أريد أن تحلف بالطلاق**) كفر[2].

- واختلفوا فيمن قال: (**رؤيتي لك كرؤية الموت**) فقال بعضهم: يكفر[3].

- ولو قال: (**لو كان فلان نبيًّا ما آمنت به**) كفر[4].

- ولو قال: (**إن كان ما قاله صدقًا نجونا**) كفر[5].

- ولو ابتلي بالمصائب، فقال: (**أخذت مالي وولدي وماذا تفعل**) كفر.

- ولو صلَّى بغير وضوء استهزاءً أو استحلالًا كفر[6].

- ولو تنازع رجلان فقال أحدهما: (**لا حول ولا قوة إلا بالله**) فقال الآخر: (**لا حول ولا قوة إلا بالله لا تغني من جوع**) كفر.

- ولو سمع أذان المؤذن فقال: (**إنه كذب**) كفر.

---

(١) ومحله إذا قاله على وجه الرضا بالكفر.

والوجه الثاني: أنه لا يكون كفرًا على الأصح؛ لأنه ليس رضا بالكفر، وإنما هو دعاء عليه بتشديد الأمر أو العقوبة عليه.

قال الهيتمي: هذا ما ذكره الشيخان، وأنت خبير من قولهما: (لأنه ليس رضا بالكفر)... إلى آخره أن محل ذلك ما إذا لم يذكر ذلك رضا بالكفر، وإلا كفر قطعًا.

والذي يظهر من فحوى كلامهما: أنه لو أطلق ولم يقله على وجه الرضا بالكفر، ولا على جهة تشديد العقوبة عليه لا يكون كافرًا وهو ظاهر (٢٧).

(٢) يعني إذا قصد الإزراء باسم الله تعالى أو نحو ذلك وهو قول ضعيف، لذلك قال الهيتمي: والصحيح أنه لا يكفر (٣١).

(٣) قال الشيخان: والأكثر على أنه لا يكفر. انتهى، قال الهيتمي: والأوجه ما قال أكثرهم في مسألة رؤية ملك الموت (٣١).

(٤) ووجهه: أن فيه تعليق عدم الإيمان به على كونه نبيًّا، وفيه تنقيص لمرتبة النبوة حيث أراد تكذيبها على تقدير وجودها. وراجع الأعلام (٣٢).

(٥) قال الهيتمي: ولا يشترط ذكر جميع الأنبياء -ولا أن يكون ما قاله ذلك النبي يقطع بأنه عن وحي ووجهه: أن الإتيان بـ(إن) التي هي للشك والتردد -في هذا المقام- تشعر بتردده في تطرق الكذب إلى ذلك النبي، وهذا كفر (٣٢) الإعلام.

(٦) ينبغي أن يستثنى صلاة الجنازة فقد ذهب الشعبي وغيره من السلف إلى جوازها بغير وضوء. أفاده الهيتمي (٣٤).

- ولو قال: (**لا أخاف القيامة**) كفر[1].

- ولو وضع متاعه فقال: (**سلمته إلى الله**) فقال له رجل: (**سلمته إلى من لا يتبع السارق**) كفر[2].

- ولو جلس رجل على مكان مرتفع تشبهًا بالخطيب فسألوه المسائل وهم يضحكون[3] أو قال: أحدهم: (**قصعة ثريد خير من العلم**): كفر[4].

- ولو ضرب ولده أو غلامه، فقال له رجل: (**ألست بمسلم؟**) **فقال: (لا) متعمدًا**: كفر.

- ولو تمنى أن لا يحرم الله الزنا أو القتل أو الظلم [مما لم يحل في زمن قطُّ][5]: كفر.

- ولو شدَّ على وسطه حبلًا، فسئل عنه، فقال: (**هذا زنار**) فالأكثرون على أنه لا يكفر[6].

---

(١) ومحله: إذا قصد الاستهزاء، أما إذا أطلق أو لمح سعة عفو الله تعالى ورحمته وقوة رجائه فلا يكفر، أفاده الهيتمي (٣٥).

(٢) والذي يظهر أنه إن قال ذلك على جهة نسبة العجز إليه سبحانه وتعالى، أو ظهرت منه قرينة استخفاف كفر، وإن أراد سعة حلمه تعالى على السارق، أو أطلق لم يكفر. أفاده الهيتمي (٣٥).

(٣) زاد في الروضة صورة أخرى وهي: إذا ما تشبه بالمعلمين فأخذ خشبة وجلس القوم حوله كالصبيان فضحكوا واستهزءوا. اهـ، ثم قال: الصواب أنه لا يكفر في مسألتي التشبيه يعني هذه الصورة، والصورة المذكورة هنا. ونقله الهيثمي (٣٥).

(٤) ولا يبعد أن يقيد بما إذا قصد الاستهزاء بالعلم بسائر أنواعه، أو أراد أنها خير من كل علم؛ لشموله العلم بالله وصفاته وأحكامه. أما لو أراد العلوم التي لا تتعلق بالله وصفاته وأحكامه، فلا ينبغي أن يكون كفرًا؛ لأنه لا يلزم عليه الاستهزاء بالدين، ولا تنقيصه (٣٥) الإعلام.

(٥) الزيادة من الزواجر (٣٨) وقال الهيتمي في الإعلام (٣٦): والضابط: أن ما كان حلالًا في زمان فتمنى حله لا يكفر.

(٦) قال النووي: الصواب: أنه لا يكفر في مسألة التمني وما بعدها إذا لم تكن نية. اهـ.

قال الهيتمي: أي: فحيث لم ينوِ بتمنيه ذلك جميعه، سواء كان حلالًا في ملة أم لا، ما يجر إلى الكفر من نسبة الله -سبحانه- إلى الجور وعدم العدل، أو نحو ذلك بتحريمه ذلك علينا لم يكفر وإلا كفر، وتمني تغيير الأحكام حرام، كما صرح به الشافعي ﷺ في الأم.

وحيث لبس زي الكفار، سواء دخل دار الحرب أو لا بنية الرضا بدينهم أو الميل إليه، أو تهاونًا بالإسلام كفر، وإلا فلا. اهـ (٣٦- ٣٧) الإعلام.

- ولو قال معلم الصبيان: (**اليهود خير من المسلمين؛ لأنهم يعطون معلمي صبيانهم**) كفر[١].

- ولو قال: (**النصرانية خير من المجوسية**) كفر[٢].

- ولو قيل لرجل: ما الإيمان، فقال: (**لا أدري**) كفر.

- ومن ذلك ألفاظ مستكرهة مستنكرة وهي: **لا دين لك، لا إيمان لك، لا يقين لك، أنت فاجر، أنت منافق، أنت فاسق.**

- وهذا وأشباهه كله حرام، ويخشى على العبد بها سلب الإيمان والخلود في النار.

- فنسأل الله المنان بلطفه أن يتوفانا على الكتاب والسُّنَّة، إنه أرحم الراحمين.

---

(١) قال الهيتمي: إن أراد الخيرية في الإحسان للمعلم ومراعاته لم يكفر، وإن أطلق فهو محل نظر، والأقرب عدم الكفر (٣٧).

(٢) قال النووي: الصواب لا يكفر بقوله: النصرانية خير من المجوسية، إلا أن يريد أنها حق اليوم (٣٧).

الكبيرة الثانية

الرياء

- قال الله تعالى- مخبرًا عن المنافقين: ﴿ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ ﴾ أي: يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة ولا يقصدون وجه الله ﴿ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٤٢] أي: لا يذكرون الله سبحانه إلا ذكرًا قليلًا[١].

- وقال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴾ أي: هلاك وعذاب للمصلين المنافقين المتصفين بهذه الأوصاف القبيحة ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ أي: الذين هم غافلون عن صلاتهم يؤخرونها عن أوقاتها تهاونًا ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴾ أي: يصلون أمام الناس رياءً؛ ليقال: إنهم صلحاء، ويتخشعون ليقال: إنهم أتقياء، ويتصدقون؛ ليقال: إنهم كرماء، وهكذا سائر أعمالهم للشهرة والرياء ﴿ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴾ [الماعون: ٤-٧] أي: ويمنعون الناس المنافع اليسيرة من كل ما يستعان به؛ كالإبرة، والفأس، والقدر، والملح، والماء، وغيرها[٢].

- وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ أي: لا تحبطوا أجرها بالمن والأذى ﴿ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة: ٢٦٤] أي: كالمرائي الذي يبطل إنفاقه بالرياء[٣].

- وقوله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠] أي: لا يرائي بعمله أحدًا.

- وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه: رجل استشهد، فأتي به فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت؛ ولكنك قاتلت لأن يقال: فلان جريء، فقد قيل: ثم أمر به**

(١) صفوة التفاسير (٢٩٧).

(٢) صفوة التفاسير (١٧٧٩).

(٣) صفوة التفاسير (١٥٣).

فسحب على وجهه حتى **أُلقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلَّمه وقرأ القرآن فأتي به فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت؛ ولكنك تعلمت ليقال: عالم، وقرأت القرآن؛ ليقال: هو قارئ، فقد قيل؛ ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسَّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال، فأتي به فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت ولكنك فعلت؛ ليقال: هو جوَّاد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار**» رواه مسلم[1] والنسائي وغيرهما. (١/ ٢٩)

- وقال عليه الصلاة والسلام: «**اليسير من الرياء شرك**» رواه ابن ماجه والحاكم، وقال: صحيح ولا علة له[2]. (١/ ٣٤)

- وقال ﷺ: «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**» قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «**الرياء، يقول الله تعالى إذا جزي الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاءً؟**» رواه أحمد بإسناد جيد. (١/ ٣٤)

- وقال ﷺ: «**قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل لي عملًا أشرك فيه غيري، فأنا منه بريء، وهو للذي أشرك**» رواه ابن ماجه واللفظ له، وابن خزيمة، ورواة ابن ماجه ثقات. (١/ ٣٥)

- وقال ﷺ: «**من سمَّع سمَّع الله به، ومن يراءِ يراء الله به**» متفق عليه. ومعناه: من أظهر عمله للناس رياء أظهر الله نيته الفاسدة في عمله يوم القيامة، وفضحه على رءوس الأشهاد. (١/ ٣٢)

قال الخطابي: معناه من عمل عملًا على غير إخلاص إنما يريد أن يراه الناس ويسمعوه جوزي على ذلك بأنه يشهره ويفضحه؛ فيبدو عليه ما كان يبطنه ويسره من ذلك، والله أعلم.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١٣/ ٥٠).

(٢) وأقره الذهبي (٤/ ٣٢٨).

- وعن أبي هريرة ﷺ أن النبيَّ ﷺ قال: «**ربَّ صائم حظه من صيامه الجوع والعطش، وربَّ قائم حظه من قيامه السهر**» رواه الحاكم في المستدرك[1]. يعني: أنه إذا لم يكن الصلاة والصوم لوجه الله تعالى فلا ثواب له.

- وقال بعض الحكماء: (مثل الذي يعمل للرياء والسمعة، كمثل الذي يملأ كيسه حصا ثم يدخل السوق ليشتري به، فإذا فتحه قدام البائع، فإذا هو حصا وضرب به وجهه، ولا منفعة له في كيسه سوى مقالة الناس له: ما أملأ كيسه! ولا يعطى به شيئًا).

- فكذلك الذي يعلم للرياء والسمعة، فليس له من عمله سوى مقالة الناس، ولا ثواب له في الآخرة.

قال الله تعالى: ﴿ **وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا** ﴾ [الفرقان: ٢٣]. يعني: الأعمال التي عملوها لغير وجه الله تعالى أبطلنا ثوابها، وجعلناها كالهباء المنثور، وهو الغُبار الذي يرى في شعاع الشمس.

- وروي عن عدي بن حاتم قال: (يؤمر بناس من النار إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستنشقوا ريحها، ونظروا إلى قصورها وما أعد الله لأهلها فيها، نودوا أن اصرفوهم عنها فلا نصيب لهم فيها، فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون بمثلها، فيقولون: ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن تُرينا ما أَريتنا من ثوابك وما أعددت فيها لأوليائك كان أهون علينا، قال: ذاك أردت بكم، كنتم إذا خلوتم بارزتموني بالعظائم وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراءون الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم، هبتم الناس ولم تهابوني، وأجللتم الناس ولم تُجلُّوني، وتركتم للناس ولم تتركوا لي؛ اليوم أذيقكم أليم العذاب مع ما حرمتم من الثواب).

- وسُئل بعض الحكماء -رحمهم الله- مَنْ المخلِص؟ فقال: المخلص الذي يكتم حسناته، كما يكتم سيئاته.

- وقيل لبعضهم: ما غاية الإخلاص؟ قال: أن لا تحب محمدة الناس.

---

(١) وصححه على شرط البخاري وأقره الذهبي (١/ ٤٣١) ورواه الطبراني في الكبير من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وإسناده لا بأس به كما في الترغيب (٢/ ٩٨).

- وقيل: في قوله تعالىٰ: ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴾ [الزمر: ٤٧] قيل: كانوا عملوا أعمالًا كانوا يرونها في الدنيا حسنات، بدت لهم يوم القيامة سيئات.

وكان بعض السلف إذا قرأ هذه الآية يقول: ويلٌ لأهل الرياء.

- وقيل: إن المرائي ينادىٰ به يوم القيامة بأربعة أسماء: يا مرائي، يا غادر، يا فاجر، يا خاسر، اذهب فخذ أجرك ممن عملت له، فلا أجر لك عندنا.

- وقال الحسن: المرائي يريد أن يغلب قدر الله فيه، هو رجل سوء يريد أن يقول الناس: هو صالح، فكيف يقولون، وقد حل من ربه محل الأردياء؟ فلابد لقلوب المؤمنين أن تعرفه.

- وقال قتادة: إذا راءىٰ العبد، يقول الله: انظروا إلىٰ عبدي كيف يستهزئ بي؟

- وروي أن عمر بن الخطاب ﷺ نظر إلىٰ رجل وهو يطأطئ رقبته فقال: يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك، ليس الخشوع في الرقاب، إنما الخشوع في القلوب.

- وقيل: إن أبا أمامة الباهلي ﷺ أتىٰ علىٰ رجل في المسجد، وهو ساجد يبكي في سجوده ويدعو، فقال له أبو أمامة: أنت أنت، لو كان هذا في بيتك.

- وقال محمد بن المبارك الصوري: أظهر السمت بالليل؛ فإنه أشرف من إظهاره بالنهار؛ لأن السمت بالنهار للمخلوقين، والسمت بالليل لرب العالمين...

- وقال علي بن أبي طالب ﷺ: للمُرائي ثلاث علامات؛ يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان في الناس، ويزيد في العمل إذا أثني عليه، وينقص إذا ذم به.

- وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل لأجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما.

اللهم عافنا منهما واعفُ عنا، ونسأل الله المعونة والإخلاص في الأعمال، والأقوال، والحركات، والسكنات إنه جوَّاد كريم.

موعظة

عباد الله...

إن أيامكم قلائل، ومواعظكم قواتل...

فليخبر الأواخر الأوائل وليستيقظ الغافل قبل سير القوافل

يا من يوقن أنه لا شك راحل وماله زاد ولا رواحل

يا من لجَّ في لجة الهوى متى ترتقي إلى الساحل؟

هل انتبهت من رقاد شامل؟ وحضرت المواعظ بقلب غير غافل

وقمت -في الليل- قيام عاقل وكتبت بالدموع سطور الرسائل

تخفي -بها- زفرات الندم والوسائل وبعثتها في سفينة دمع سائل

لعلها ترسو على الساحل

وا أسفا لمغرور جهول غافل لقد أثقل بعد الكهولة بالذنب الكاهل

وقد ضيع بالبطالة وبذل الجاهل وركن إلى ركوب الهوى ركبة مائل

يبني البنيان ويشيد المعاقل وهو عن ذكر قبره متشاغل

ويدعي -بعد هذا- أنه عاقل تالله لقد سبقه الأبطال إلى أعلى المنازل

وهو يؤمل في بطالته فوز العامل وهيهات هيهات ما فاز باطل بطائل

أيها المعجب فخرًا بمقاصير البيوت

إنما الدنيا محل لقيام وقنوت

فغدًا تنزل بيتًا ضيقًا بعد النحوت

بين أقوام الصموت ناطقات في السكوت

فارْضَ في الدنيا بثوب ومن العيش بقوت

واتخذ بيتًا ضعيفًا مثل بيت العنكبوت

ثم قل: يا نفسي هذا بيت مثواك فموتي

الكبيرة الثالثة
الكبر، والفخر، والخيلاء، والعجب، والتيه

- [قال الله تعالىٰ: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف: ١٤٦]. أي: سأمنع المتكبرين عن فهم آياتي، فلا يتفكرون ولا يتدبرون بما فيها، وأطمس علىٰ قلوبهم؛ عقوبة لهم علىٰ تكبرهم[(١)]].

- وقال تعالىٰ مخبرًا عن نبيه موسىٰ: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴾ [غافر: ٢٧] أي: إني استجرت بالله واعتصمت به؛ ليحفظني من شر كل جبار عنيد متكبر عن الإيمان بالله لا يصدق بالآخرة[(٢)].

- وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ [النحل: ٢٣] أي: المستكبرين عن سماع الحق والخضوع له[(٣)].

- وقال تعالىٰ: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ أي: لا تمل خدك معرضًا متكبرًا ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ أي: لا تمش متبخترًا متكبرًا ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان: ١٨] [تعليل للنهي أي: لأن الله يكره المتكبر الذي يرىٰ العظمة لنفسه، ويتكبر علىٰ عباد الله المتبختر في مشيته والفخور الذي يفتخر علىٰ غيره][(٤)].

- وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**بينما رجل ممن كان قبلكم يجر إزاره من الخيلاء خسف به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة**» رواه البخاري والنسائي وغيرهما.

[الخيلاء (بضم الخاء المعجمة وتكسر وبفتح الياء ممدودًا): هو الكبر والعجب ويتجلجل (بجيمين) أي: يغوص فينزل فيها]. (٤/ ١٩)

---

(١) صفوة التفاسير (١٧٠).

(٢) صفوة التفاسير (١٧٠).

(٣) المنتخب (٣٨٨).

(٤) صفوة التفاسير (١٠٧٨).

- وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان يساقون إلى سجن في جهنم يقال له: بولس**» رواه النسائي، والترمذي، واللفظ له وقال: حديث حسن. (٤/ ١٨)

- وعن ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**» فقال رجل: [إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا، ونعله حسنًا] قال: «**إن الله جميل يحب الجمال، الكبر: بطر الحق وغمط الناس**» رواه مسلم والترمذي. بَطَر الحق (بفتح الباء الموحدة والطاء المهملة جميعًا): هو دفعه ورده وغَمْط الناس (بفتح الغين المعجمة وسكون الميم وبالطاء المهملة): هو احتقارهم وازدراؤهم. (٤/ ١٩)

- وعن أبي سعيد وأبي هريرة ﷺ قالا: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله -عزَّ وجلَّ- العز إزاري والكبرياء ردائي فمن ينازعني عذبته**» رواه مسلم، والمنازعة: المجاذبة. (٤/ ١٦)

- وعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**احتجت الجنة والنار، فقالت النار: فيَّ الجبارون والمتكبرون وقالت الجنة: فيَّ ضعفاء المسلمين ومساكينهم [فقضى الله بينهما: إنك الجنة رحمتي أرحم بك من أشاء، وإنك النار عذابي أعذب بك من أشاء، ولكليكما عليَّ ملؤها]**» رواه مسلم. (٤/ ١٧)

- وعن حارثة بن وهب ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ مستكبر**» رواه البخاري ومسلم. العُتُل (بضم العين والتاء وتشديد اللام): وهو الغليظ الجافي، والجَوَّاظ (بفتح الجيم وتشديد الواو والظاء المعجمة): هو الجموع المنوع، وقيل: الضخم المختال في مشيته، وقيل: القصير البطين. (٤/ ١٧)

- وعن ابن عمر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من رجل يتعاظم في نفسه أو يختال في مشيته إلا لقي اللهَّ وهو عليه غضبان**» صححه الحاكم على شرط الشيخين[1].

- وصح من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**عرض عليَّ أول ثلاثة يدخلون النار: أمير مسلط، وذو ثروة من مال لا يؤدي حق الله منه، وفقير فخور**» رواه ابن

---

(١) وأقره الذهبي لكن على شرط مسلم (١/ ٦٠).

خزيمة، وابن حبان في صحيحيهما[1]. (٤/ ٣٨)

- وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبيَّ ﷺ قال: «**من جَرَّ ثوبه خُيَلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة**» رواه البخاري. (٤/ ٢٠)

- وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أن رجلًا أكل عند رسول الله ﷺ بشماله، فقال: «**كُل بيمينك**»، قال: لا أستطيع، قال: «**لا استطعت**» ما منعه إلا الكبر فما رفعها إلى فيه. رواه مسلم. (٣١٤)

- وقال بعض السلف: أول ذنب عصي الله به: الكبر.

قال الله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ** ﴾ [البقرة: ٣٤]. فمن استكبر عن الحق لم ينفعه إيمانه كما فعل إبليس.

- وشر الكبر الذي فيه من يتكبر على العباد بعلمه، ويتعاظم في نفسه بفضيلته، فإن هذا لم ينفعه علمه؛ فإن من طلب العلم للآخرة كسره علمه وخشع قلبه واستكانت نفسه، وكان على نفسه بالمرصاد، فلا يفتر عنها؛ بل يحاسبها كل وقت ويتفقدها؛ فإن غفل عنها جمحت عن الطريق المستقيم وأهلكته.

ومن طلب العلم للفخر والرياسة وبَطَر المسلمين وتحامق عليهم وازدراهم؛ فهذا من أكبر الكبر، ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

(١) صحيح ابن خزيمة (٤/ ٨)، وصحيح ابن حبان (١٠/ ٤٤٩-٤٥٠) وحسن إسناده الترمذي ص (٣٨٦)، واقتصر على بعضه وصرح بصحته المصنف في الكبائر وتبيين المحارم.

الكبيرة الرابعة
البغي

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ ﴾ أي: إنما العقوبة والمؤاخذة على المعتدين الذين يظلمون الناس بعدوانهم ﴿ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ ﴾ أي: ويتكبرون في الأرض تجبرًا وفسادًا بالمعاصي، والاعتداء على الناس في النفوس والأموال ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [الشورى: ٤٢] أي: أولئك الظالمون الباغون لهم عذاب مؤلم موجع؛ بسبب ظلمهم وبغيهم[١].

- وقال النبي ﷺ: «**إن الله تعالى أوحى إليَّ أن تواضعوا، حتى لا يبغي أحد على أحد، ولا يفخر أحد على أحد**» رواه مسلم عن عياض بن حمار.

قال أهل اللغة: البغي: التعدي والاستطالة (٥٦٦)

- وقال ﷺ: «**ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة-من البغي وقطيعة الرحم**» رواه ابن ماجه، والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح والحاكم وقال: صحيح الإسناد[٢]. (٣/ ٢٢٨)

- وفي الأثر: لو بغى جبل على جبل لجعل الله الباغي منهما دكًّا.

- وقد خسف الله بقارون الأرض حين بغى على قومه.

فقد أخبر الله تعالى عنه بقوله: ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ ﴾ الآية [القصص: ٧٦- ٨١].

قال ابن الجوزي[٣] رحمه الله: في بغي قارون أقوال:

أحدها: أنه جعل لبغية جعلًا على أن تقذف موسى عليه السلام بنفسها؛ ففعلت فاستحلفها

---

(١) صفوة التفاسير (١٣٠٧).

(٢) المستدرك (٢/ ٣٥٦).

(٣) التبصرة (١/ ٢٥١- ٢٥٢).

موسىٰ علىٰ ما قالت، فأخبرته بقصتها مع قارون، وكان هذا بغيه. قاله ابن عباس.

والثاني: أنه بغىٰ بالكفر بالله -عزَّ وجلَّ- قاله: الضحاك.

والثالث: بالكبر، قاله: قتادة.

والرابع: أنه أطال ثيابه شبرًا، قاله: عطاء الخرساني [وشهر بن حوشب].

والخامس: أنه كان يخدم فرعون فاعتدىٰ علىٰ بني إسرائيل، وظلمهم. حكاه الماوردي.

قوله: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ ﴾ الآية، لما أمر قارون البغية بقذف موسىٰ -علىٰ ما سبق شرحه- غضب موسىٰ فدعا عليه فأوحىٰ الله إليه: إني قد أمرت الأرض أن تطيعك فمرها، فقال موسىٰ: يا أرض خذيه، فأخذته حتىٰ غيبت سريره، فلما رأىٰ قارون ذلك ناشد موسىٰ بالرحم، فقال: يا أرض خذيه فأخذته حتىٰ غيبت قدميه، فما زال يقول: يا أرض خذيه حتىٰ غيبته، فأوحىٰ الله إليه: يا موسىٰ وعزتي وجلالي لو استغاث بي لأغثته.

قال ابن عباس: فخسفت به الأرض إلىٰ الأرض السفلىٰ.

قال سمرة بن جندب: إنه كل يوم يخسف به قامة[1].

قال مقاتل: فلما هلك قارون؛ قال بنو إسرائيل: إنما أهلكه موسىٰ ليأخذ ماله وداره، فخسف الله بداره وماله بعد ثلاثة أيام.

﴿ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي: يمنعونه من الله **﴿ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾** أي: من الممتنعين مما أنزل به، والله أعلم.

اللهم إنك إذا قبلت سلمت، وإذا أعرضت أسلمت، وإذا وفقت ألهمت وإذا خذلت اتهمت.

اللهم أذهب ظلمة ذنوبنا بنور معرفتك وهداك، واجعلنا ممن أقبلت عليه فأعرض عمن سواك، واغفر لنا ولوالدينا وسائر المسلمين، آمين.

---

(١) التبصرة (١/ ٢٥٣).

الكبيرة الخامسة
المكر والخديعة

- قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾ [فاطر: ٤٣] أي: لا يحيط وبال المكر السيئ إلا بمن مكره ودبره[1].

- وقال تعالى عن المنافقين: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢].

قال الواحدي: يعاملون عمل المخادع على خداعهم، وذلك أنهم يعطون نورًا كما يُعطى المؤمنون، فإذا مضوا على الصراط أُطفئ نورهم، وبقوا في الظلمة.

- وقال ﷺ: «**وأهل النار خمسة، وذكر منهم رجلًا لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك**» رواه مسلم عن عياض بن حمار[2].

- [وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**المؤمن غرٌّ كريم والفاجر خبٌّ لئيم**» رواه أبو داود والترمذي[3]. قوله: «**غر كريم**» ليس بذي مكر ولا مظنة للشر فهو ينخدع لانقياده ولينه، والخب (بفتح الخاء المعجمة وقد تكسر): هو الخدَّاع الساعي بين الناس بالشر والفساد].

- وعن أبي بكر الصديق ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة خب، ولا منان، ولا بخيل**» رواه الترمذي، وقال: حسن غريب[4].

---

(١) صفوة التفاسير (١١٦٧).

(٢) صحيح مسلم (٤/ ٢١٩٨).

(٣) قال المنذري (٣/ ٢٤٨): لم يضعفه أبو داود ورواتها ثقات، سوى بشر بن رافع وقد وثق.

(٤) الترمذي (٤/ ٢٤٣).

الكبيرة السادسة
الأمن من مكر الله

- قال الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً ﴾ أي: أخذهم عذابنا من حيث لا يشعرون.

قال الحسن: (من وسع الله عليه، فلم ير أنه يمكر به، فلا رأي له، ومن قتر عليه فلم ير أنه ينظر إليه فلا رأي له)، ثم قرأ هذه الآية: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٤] وقال: (مكر بالقوم -ورب الكعبة- أعطوا حاجتهم ثم أخذوا).

الإبلاس: اليأس من النجاة عند ورود الهلكة.

وقال ابن عباس: أيسوا من كل خير.

وقال الزجاج: المبلس الشديد الحسرة اليائس الحزين.

- وفي التنزيل: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ ﴾ [الأنفال: ٢٤]. قال مجاهد: المعنى: يحول بين المرء وعقله حتى لا يدري ما يصنع بنانه [ويؤيده] قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ ﴾ [ق: ٣٧] أي: عقل. واختار الطبري أن يكون ذلك إخبارًا من الله تعالى أنه أملك لقلوب العباد منهم وأنه يحول بينهم وبينها إن شاء، حتى لا يدرك الإنسان شيئًا إلا بمشيئة الله عزَّ وجلَّ.

- وفي الحديث الصحيح: «**إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة**[1] **حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها**»[2] متفق عليه. (١٨٦)

---

(١) يعني فيما يظهر للناس -مع اختلافه في الحقيقة لاشتمال العمل على آفة وعلة باطنة تقتضي إحباطه- ولو كان عملًا صالحًا مقبولًا قد أحبه الله ورضيه لم يبطله عليه.

(٢) فلا تغتر بظاهر العمل حتى يتضح لك خاتمته؛ فإنما الأعمال بالخواتيم، فهذا العامل لم يصبر على عمله حتى يتم له، بل خذل في آخر عمره -والعياذ بالله- بالآفة الكامنة في عمله: خانته في وقت الحاجة، فرجع إلى موجبها وعملت عملها، ولو لم يكن هناك غش وآفة لم يقلب الله إيمانه، والله يعلم من سائر العباد ما لا يعلمه بعضهم من بعض. وراجع الفوائد (٢١٣).

- وعن سالم بن عبد الله قال: (كان كثيرًا ما كان النبي ﷺ يحلف: «**لا، ومقلب القلوب**»[1] ومعناه يصرفها أسرع من ممر الريح على اختلافٍ في القبول والرد والإرادة والكراهة وغير ذلك من الأوصاف.

- وفي صحيح البخاري عن سهل بن سعد الساعدي ﷺ عن النبيﷺ قال: «**إن الرجل ليعمل بعمل أهل النار وإنه من أهل الجنة، ويعمل الرجل بعمل أهل الجنة وإنه من أهل النار، وإنما الأعمال بالخواتيم**».

- [قال العلماء ﷺ: سوء الخاتمة لا يكون: إلا لمن كان مصرًّا على المعاصي في الباطن وله إقدام على الكبائر مخادعة لله عزَّ وجلَّ، أما من كان على قدم الاستقامة في الظاهر ولم يصر على معصية في الباطن فما سمعنا ولا علمنا أن مثل هذا يختم له بسوء أبدًا، ولله الحمد على ذلك- بخلاف من غلب عليه حب المعاصي والوقوع فيها من غير توبة، فربما نزل عليه الموت قبل التوبة، فيصدمه الشيطان عند تلك الصدمة، ويخطفه عند تلك الدهشة -والعياذ بالله تعالى- فيظهر شقاؤه للناس عند موته، وقد يكون العبد مستقيمًا طول عمره ثم يغير ويبدل إذا قرب أجله، ويخرج عن طريق الاستقامة فيكون ذلك سببًا لسوء خاتمته وشؤم عاقبته][2].

- وعن أنس قال: كان رسول اللهﷺ يكثر أن يقول: «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**» فقلت: يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال: «**نعم: إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء**» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[3].

- وفي الأثر: لما مكر بإبليس -وكان من الملائكة- طفق جبريل وميكال يبكيان فقال الله عزَّ وجلَّ لهما: ما لكما تبكيان؟ قالا: يا رب ما نأمن مكرك، فقال الله تعالى: هكذا كونا لا تأمنا مكري.

---

(١) البخاري (٨/ ١٥٧).

(٢) هذه الزيادة من مختصر التذكرة (١٤).

(٣) سنن الترمذي (٤/ ٤٤٨- ٤٤٩).

- وجاء في الأثر: إذا رأيت الله يعطي العبد ما يحب -وهو مقيم على معصيته- فإنما ذلك منه استدراج.

- وقد قصَّ الله تعالى -في كتابه العزيز- قصة بلعام، وأنه سُلب الإيمان بعد العلم والمعرفة، وكذلك برصيصا العابد: مات على الكفر.

حكاية

- روي أنه كان رجل بمصر ملتزم المسجد للأذان والصلاة وعليه بهاء العبادة وأنوار الطاعة فرقي يومًا المنارة على عادته للأذان، وكان تحت المنارة دار لنصراني ذمي فاطلع فيها فرأى ابنة صاحب الدار وكانت جميلة فافتتن وترك الأذان ونزل إليها؛ فقالت له: ما شأنك وما تريد؟ فقال: أنت أريد؛ قالت: لا أجيبك إلى ريبة، قال لها: أتزوجك، قالت له: أنت مسلم وأبي لا يزوجني بك، قال: أتنصر! قالت له: إن فعلت أفعل؛ فتنصر ليتزوج بها وقام معهم في الدار فلما كان في أثناء ذلك اليوم رقى إلى سطح كان في الدار فسقط فمات، فلا هو فاز بدينه ولا هو تمتع بها.

نعوذ بالله من مكره، وسوء العاقبة، وسوء الخاتمة.

فإذا كانت الهداية معروفة... والاستقامة -على مشيئته- موقوفة، والعاقبة مغيبة... والإرادة غير مغالبة...

فلا تعجب بإيمانك، وعملك، وصلاتك، وصومك، وجميع قربك.

ذلك إن كان من كسبك... فإنه من خلق ربك وفضله الدَّار عليك، فمهما افتخرت كنت مفتخرًا بمتاع غيرك.

وربما سلبه عنك فعاد قلبك من الخير أخلى من جوف العير.

فكم من روضة أمست، وزهرها يانع عميم... أضحت وزهرها يابس هشيم؛ إذا هبت عليها الريح العقيم.

كذلك العبد يمسي وقلبه بطاعة الله مشرق سليم؛ ويصبح وهو بمعصية الله مظلم سقيم، ذلك تقدير العزيز العليم.

ابن آدم

الأقلام عليك تجري... وأنت في غفلة لا تدري.

ابن آدم

دع المغاني والأوتار والمنازل والديار، والتنافس في هذه الدار حتىٰ ترىٰ ما فعلت في أمرك الأقدار.

- قال الربيع: سئل الإمام الشافعي رحمه الله تعالىٰ [عن القدر - فأنشأ يقول[1]:

مـــا شـــئت كـــان وإن لم أشـــأ	ومـــا شـــئتُ إن لم تـــشأ لم يكـــن
خلقـــت العبـــاد عـــلى مـــا عملـــت	ففـــي العلـــم يمـــضي الفتـــى والمُـــسن
عـــلى ذا مننـــت وهـــذا خـــذلت	وهـــذا أعنـــت وذا لم تعـــن
فمـــنهم شـــقي ومـــنهم ســـعيد	ومـــنهم قبـــيح ومـــنهم حـــسن[2]

فنسأل الله تعالىٰ العفو والمعافاة وحسن العاقبة إنه جوَّاد كريم رءوف رحيم.

(١) نقل ابن عبد البر عن الزعفراني أن هذه الأبيات من شعره الذي لا يختلف فيه وهو أصح شيء عنه (٨٠) الانتقاء.

(٢) هنا موضع الخرم من الكتاب، وقد أكمل بالرجوع إلىٰ مناقب الشافعي للبيهقي (١/ ٤١٢- ٤١٣) ومختصر التذكرة (١٥). وينتهي النقص الذي كان في الكتاب عند قوله: ينادي مناد ص٢٨ وراجع مقدمة الكتاب.

الكبيرة السابعة
اليأس من رحمة الله

- قال الله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧] أي: فإنه لا يقنط من رحمته تعالى إلا الجاحدون المنكرون لقدرته جلا وعلا[١].

- وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨] أي: لا يغفر الشرك، ويغفر ما سوى ذلك من الذنوب لمن شاء من عباده.

- وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ يعني: أفرطوا في الجناية على أنفسهم بالمعاصي والآثام ﴿ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾ أي: لا تيأسوا من مغفرة الله ورحمته ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ أي: إنه تعالى يعفو عن جميع الذنوب لمن شاء وإن كانت مثل زبد البحر ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣] أي: عظيم المغفرة وواسع الرحمة[٢].

- وقال تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ [الأعراف: ١٥٦] أي: عمت خلقي كلهم.

- وعن أبي هريرة عن النبيِّ ﷺ قال: «**إن لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخَّر الله تسعًا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة**» متفق عليه. (١٩٥- ١٩٦)

- وأخرج الترمذي وحسَّنه عن أنس ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله تعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة**». عَنان السماء (بفتح العين): قيل: هو السحاب، وقيل: هو ما عَنَّ لك منها، أي: ظهر، وقراب الأرض: (بضم القاف، وروي بكسرها، والضم أشهر): هو ما يقارب ملأها. (٦٦٥)

---

(١) صفوة التفاسير (٦٦١).

(٢) صفوة التفاسير (١٢٤٧).

- وعن أنس أيضًا أن النبيَّ ﷺ دخل على شاب وهو في الموت، فقال: «**كيف تجدك؟**» قال: أرجو الله -يا رسول الله- وإني أخاف ذنوبي، فقال رسول الله ﷺ: «**لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وأمَّنه مما يخاف**» رواه الترمذي، وابن ماجه، وإسناده حسن. (٤/ ١٤١)

- وعن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**قال الله عزَّ وجلَّ: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني**» رواه البخاري ومسلم. (٤/ ١٤٢)

- وعنه ﷺ أيضًا عن النبي ﷺ قال: «**حسن الظن من حسن العبادة**» رواه أبو داود وابن حبَّان في صحيحه. (٤/ ١٤٢)

- وعن جابر ﷺ أنه سمع النبي ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عزَّ وجلَّ**» رواه مسلم، وأبو داود، وابن ماجه. (٤/ ١٤٢)

- ومما روي أنه:

ينادي منادٍ من قِبَل العرش: أين فلان ابن فلان؟ فلا يسمع أحد ذلك الصوت: إلا وتضطرب فرائصه.

قال: فيقول الله -عزَّ وجلَّ- لذلك الشخص: أنت المطلوب، هلم إلى العرض على خالق السموات والأرض، فيشخص الخلق بأبصارهم تجاه العرش، ويوقف ذلك الشخص بين يدي الله -عزَّ وجلَّ- فيلقي الله -عزَّ وجلَّ- عليه من نوره يستره عن المخلوقين ثم يقول له: عبدي، أما علمت أني كنت أشاهد عملك في دار الدنيا؟ فيقول: بلى يا رب، فيقول الله تعالى: عبدي، أما سمعت بنقمتي وعذابي لمن عصاني؟ فيقول: بلى يا رب.

فيقول: الله تعالى: يا عبدي عصيتني؟ فيقول: يا رب قد كان ذلك، فيقول الله: عبدي فما ظنك اليوم بي؟ فيقول: يا رب أن تعفو عني، فيقول الله: عبدي كيف تحققت أني أعفو عنك؟ فيقول: نعم يا رب؛ لأنك رأيتني على المعصية وسترتها عليَّ. قال: فيقول الله عزَّ وجلَّ: قد عفوت عنك، وعفوت لك، وحققت ظنك، خذ كتابك بيمينك، فما كان فيه من حسنة فقد قبلتها، وما كان من سيئة فقد غفرتها لك، وأنا الجوَّاد الكريم.

إلهنا لولا محبتك للغفران، ما أمهلت من يبارزك بالعصيان.

ولولا عفوك وكرمك ما سكنت الجنان.

اللهم إنك عفو تحب العفو فاعفُ عنا.

اللهم انظر إلينا نظر الرضا، وأثبتنا في ديوان أهل الصفا، ونجنا من ديوان أهل الجفا.

اللهم حقق بالرجاء آمالنا، وأحسن في جميع الأحوال أعمالنا، وسهل في جميع رضاك سبلنا، وخذ إلى الخيرات بنواصينا، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

الكبيرة الثامنة
التعلم للدنيا وكتمان العلم

- قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر: ٢٨] يعني: العلماء بالله عزَّ وجلَّ.

قال ابن عباس: يريد إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي، وعزتي وسلطاني.

وقال مجاهد والشعبي: العالم من خاف الله تعالى.

وقال الربيع بن أنس: من لم يخشَ الله فليس بعالم.

- وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٩] نزلت هذه الآية في علماء اليهود.

وأراد (بالبيِّنَات) الرجم والحدود والأحكام، (وبالهدى) أمر محمد عليه الصلاة والسلام، ونعته (مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ) أي بني إسرائيل (فِى ٱلْكِتَٰبِ) أي: في التوراة (أُوْلَٰٓئِكَ) يعني الذين يكتمون (يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ) قال ابن عباس: كل شيء إلا الجن والإنس.

وقال ابن مسعود: ما تلاعن اثنان من المسلمين إلا رجعت تلك اللعنة على اليهود والنصارى الذين يكتمون أمر محمدﷺ وصفته.

- وقال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

قال الواحدي: نزلت هذه الآية في يهود المدينة: أخذ الله ميثاقهم في التوراة ليبين شأن محمدﷺ ونعته، ومبعثه ولا يخفونه، وهو قوله تعالى: ﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾ وقال الحسن: هذا ميثاق الله تعالى على علماء اليهود أن يبينوا للناس ما في كتابهم، وفيه ذكر رسول اللهﷺ.

وقوله: ﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ قال ابن عباس: أي ألقوا ذلك الميثاق خلف ظهورهم.

﴿ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ يعني ما كانوا يأخذونه من سِفْلتهم برياستهم في العلم.

وقوله: ﴿ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ قال ابن عباس: قبح شراؤهم وخسروا.

- وقال رسول الله ﷺ: «**من تعلم علمًا مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة**» يعني ريحها. رواه أبو داود عن أبي هريرة بإسناد صحيح[1]. (٥٧٧)

- وقد مرَّ حديث أبي هريرة في الثلاثة الذين يسحبون إلى النار؛ أحدهم **الذي يقال له: إنما تعلمت ليقال عالم، وقد قيل**[2].

- وقال ﷺ: «**من سُئل عن علم فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار**». رواه ابن حبَّان في صحيحه، والحاكم: وقال: صحيح لا غُبار عليه[3]. (١/ ٧٣)

- وكان من دعاء رسول الله ﷺ: «**أعوذ بك من علم لا ينفع**» رواه مسلم. (٥١٧)

- وعن أسامة بن زيد ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه، فيدور بها كما يدور الحمار برحاه، فتجتمع أهل النار عليه، فيقولون: يا فلان ما شأنك؟ ألست كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن الشر وآتيه**» رواه البخاري ومسلم واللفظ له. (١/ ٧٥)

وقال ابن مسعود: من تعلم علمًا لم يعمل به لم يزده العلم إلا كِبرًا.

- وقال هلال بن العلاء: طلب العلم شديد، وحفظه أشد من طلبه، والعمل به أشد من حفظه، والسلامة منه أشد من العمل به.

فنسأل الله السلامة من كل بلاء، والتوفيق لما يحب ويرضى، إنه جوَّاد كريم.

---

(١) الكبائر وتبيين المحارم (١٠٩).

(٢) ص (٢٣-٢٤).

(٣) وأقره الذهبي (١/ ١٠١)، وصححه كذلك في الكبائر وتبيين المحارم (١١٠).

موعظة

ابن آدم!

متى تذكر عواقب الأمور؟... متى ترحل الرحال عن هذه القصور؟

إلى متى أنت في جميع ما تبني تدور؟... أين من كان قبلكم في المنازل والدور؟.. أين من ظن بسوء تدبيره أنه لن يحور؟

رحل -والله- الكل، فاجتمعوا في القبور، واستوطنوا أخشن المهاد إلى نفخ الصور.

فإذا قاموا إلى فصل القضاء والسماء تمور.

كشف الحجاب المخفي وهتك المستور، وظهرت عجائب الأفعال وحُصِّل ما في الصدور... ونصب الصراط، فكم من قدم عثور.

ووضعت عليه كلاليب لخطف كل مغرور.

وأصبحت وجوه المتقين تُشرق كالبدور... وباءوا بتجارة لن تبور.

ودعا أهل الفجور بالويل والثبور، وجيء بالنار تقاد بالأزمَّة وهي تفور

إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقًا، وهي تفور

ليس في الدنيا لمن آ	من بالبعث سرور
إنما يفرح بالدنـ	ـيا جهول أو كفور
إنما الدنيا متاع	كل ما فيها غرور
فتذكر هول يوم	السما فيه تمور

الكبيرة التاسعة

الكذب على الله -عزَّ وجلَّ- وعلى رسوله ﷺ

- قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ أي: بنسبة ما يستحيل عليه من الولد والشريك، وتجويز ما يمتنع عليه، من رضاه بما عليه المشركون وأمره لهم، وغير ذلك من إفكهم ﴿ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ [الزمر: ٦٠] أي: لما ينالهم من الشدة التي تغير ألوانهم، أو لما يلحقهم من الكآبة[1]:

وقال الحسن: هم الذين يقولون: إن شئنا فعلنا وإن شئنا لم نفعل، نقله ابن الجوزي في تفسيره[2].

- وقد ذهب طائفة من العلماء إلى أن الكذب على الله وعلى رسوله كفرٌ ينقل على الملة، ولا ريب أن الكذب على الله وعلى رسوله في تحليل حرام، أو تحريم حلال كفر محض. وإنما الشأن في الكذب فيما سوى ذلك.

- وقال ﷺ: «**من كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار**» رواه البخاري ومسلم وغيرهما. [وهذا الحديث قد روي عن غير واحد من الصحابة في الصحاح والسنن والمسانيد وغيرها حتى بلغ مبلغ التواتر والله أعلم]. (١/ ٦٥)

- وعن سمرة بن جندب عن النبي ﷺ قال: «**من حدَّث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين**» رواه مسلم وغيره. (١/ ٦٥)

- وعن المغيرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن كذبًا علي ليس ككذب على أحد، فمن كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار**» رواه مسلم وغيره. (١/ ٦٥)

- وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**يطبع المؤمن على كل خلة غير الخيانة والكذب**» رواه البزار وأبو يعلي، ورواته رواة الصحيح. (٤/ ٢٨)

فنسأل الله التوفيق والعصمة إنه جوَّاد كريم.

---

(١) تفسير القاسمي (٥١٤٧).

(٢) زاد المسير (٧/ ١٩٣).

الكبيرة العاشرة
التكذيب بالقدر

- قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩] أي: إنا خلقنا كل شيء حال كونه ملتبسًا بتقديرنا له، أو بمقدار في ذاته وصفاته.

قال ابن الجوزي في تفسيره: في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أن مشركي مكة أتوا رسول الله ﷺ يخاصمونه في القدر، فنزلت هذه الآية، انفرد بإخراجه مسلم[1].

وروى أبو أمامة[2] أن هذه الآية في القدرية[3].

والقول الثاني: أن أسقف نجران جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد تزعم أن المعاصي بقدر، وليس كذلك؟ فنزلت هذه الآية ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ۝٤٧ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ۝٤٨ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾[4].

- وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦].

قال ابن جرير: فيها وجهان:

أحدهما: أن يكون بمعنى المصدر، فيكون المعنى: والله خلقكم وعملكم.

والثاني: أن تكون بمعنى الذي، فيكون المعنى: والله خلقكم، وخلق الذي تعملون بأيديكم من الأصنام.

وفي هذه الآية دليل على أن أفعال العباد مخلوقة والله أعلم.

---

(١) وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٣٧) كذلك إلى أحمد والترمذي وابن ماجه وغيرهم.

(٢) يعني مرفوعًا.

(٣) عزاه السيوطي (٥/ ١٣٧) إلى ابن عدي، وابن مردويه، والديلمي، وابن عساكر بسند ضعيف؛ لكن عزاه بسند جيد إلى عبد الله بن عمرو موقوفًا ومثله لا يقال من قبل الرأي، فحكمه حكم المرفوع.

(٤) ذكره الواحدي بإسناده إلى عطاء مرسلًا، وفيه كذلك جهالة الراوي عنه، فهو ضعيف (٣٠٠) أسباب النزول.

- وقال تبارك وتعالى: ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ [الشمس: ٨] الإلهام: إيقاع الشيء في النفس.

- قال سعيد بن جبير: ألزمها فجورها وتقواها.

- وقال ابن زيد: جعل ذلك فيها بتوفيقه إياها للتقوىٰ وخذلانه إياها للفجور، والله أعلم.

- وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في قوم يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أُنُف[1] قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم برآء مني، والذي يحلف به عبد الله ابن عمر لو أن لأحدهم مثل أُحد ذهبًا فأنفقه ما قَبِل الله منه حتىٰ يؤمن بالقدر، ثم ذكر حديث جبريل وسؤاله النبي ﷺ قال: ما الإيمان؟ قال: «**أن تؤمنَ بالله، وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**» خرجه مسلم[2].

وقوله: «**أن تؤمن بالله**»

الإيمان بالله: هو التصديق بأنه سبحانه وتعالىٰ موجود موصوف بصفات الجلال والكمال منزه عن صفات النقص، وأنه فرد صمد خالق جميع المخلوقات، متصرف فيها بما يشاء يفعل في ملكه ما يريد.

والإيمان بالملائكة: هو التصديق بعبوديتهم لله ﴿ **بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ** ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٨].

والإيمان بالرسل: هو التصديق بأنهم صادقون فيما أخبروا به عن الله تعالىٰ، أيدهم الله بالمعجزات الدالة علىٰ صدقهم، وأنهم بَلَّغوا عن الله تعالىٰ رسالاته، وبيَّنوا للمكلفين ما أمرهم الله به، وأنه يجب احترامهم، وأن لا يفرق بين أحد منهم.

---

(١) هو بضم الهمزة والنون، أي: مستأنف لم يسبق به قدر ولا علم من الله تعالىٰ، وإنما يعلمه بعد وقوعه. تعالىٰ الله عن ذلك علوًا كبيرًا. وراجع شرح النووي (١/ ١٥٦).

(٢) صحيح مسلم (١/ ١٥٦-١٥٧).

والإيمان باليوم الآخر: هو التصديق بيوم القيامة، وما اشتمل عليه من الإعادة بعد الموت، والنشر، والحشر، والحساب، والميزان، والصراط، والجنة والنار، وأنهما دار ثوابه وعقابه للمحسنين والمسيئين، إلى غير ذلك مما صحَّ به النقل.

[**والإيمان بالكتب**: هو التصديق الجازم بما أوحى الله تعالى من كلامه إلى من اصطفى من رسله -عليهم السلام- فجمع ودوَّن فكان صحفًا مطهرة وكتبا قيمة. فما عرف منها آمن به المؤمن تفصيلًا، وما لم يعرف آمن به إجمالًا][1].

والإيمان بالقدر: هو التصديق بما تقدم ذكره.

وحاصله: ما دل عليه قوله سبحانه: ﴿**وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ**﴾ [الصافات: ٩٦].

وقوله: ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ**﴾ [القمر: ٤٩].

وقوله تعالى: ﴿**مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ**﴾ [الحديد: ٢٢].

- ومن ذلك قوله ﷺ في حديث ابن عباس: «**واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله تعالى لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله تعالى عليك، رُفِعَتْ الأقلام وجَفَّت الصحف**» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح. (٤٣)

- **ومذهب السلف وأئمة الخلف**: أن من صدَّق بهذه الأمور تصديقًا جازمًا لا ريب فيه ولا تردد كان مؤمنًا حقًّا، سواء كان ذلك عن براهين قاطعة أو اعتقادات جازمة والله أعلم.

- وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو عن النبيِّ ﷺ قال: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة**»[2].

- [وفيه أيضًا عن جابر أن رجلًا قال: يا رسول الله فِيمَ العمل اليوم؟ أفيما جَفَّتْ به

---

(١) هذه الزيادة من عقيدة المؤمن (٢٢٥).

(٢) صحيح مسلم (٤/ ٢٠٤٤).

الأقلام وجرت به المقادير، أم فيما نستقبل؟ قال: «لا بل فيما جَفَّتْ به الأقلام، وجرت به المقادير» قال: ففيم العمل؟ فقال: «اعملوا فكل ميسر»[1]].

- وقال ﷺ: «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس» خرجه أحمد ومسلم من حديث ابن عمر[2].

- [وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «القدرية والمرجئة مجوس هذه الأمة؛ فإن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم» رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح غير هارون بن موسى العزوي، وهو ثقة][3].

- وروي أنه إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة أمر مناديًا فنادى نداء يسمعه الأولون والآخرون، أين خصماء الله؟ فتقوم القدرية، فيؤمر بهم إلى النار يقول الله: ﴿ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ۝ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٨-٤٩]. وإنما قيل لهم خصماء الله؛ لأنهم يخاصمون في أنه لا يجوز أن يقدر المعصية على العبد ثم يعذبه عليها.

- وروي أنه ما بعث الله نبيًّا قطُّ إلا وفي أمته قدرية ومرجئة، (إن الله لعن القدرية والمرجئة على لسان سبعين نبيًّا).

- وجاء في الأثر: (القدرية مجوس هذه الأمة).

- وجاء كذلك: (لكل أمة مجوس، ومجوس هذه الأمة الذين يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أُنُف).

- وروى هشام بن حسان عن الحسن قال: (والله لو أن قدريًّا صام حتى يصير كالحبل، ثم صلَّى حتى يصير كالوتر؛ لكبَّه الله على وجهه في سقر، ثم قيل له: ذق مس سقر إنا كل شيء خلقناه بقدر).

---

(١) صحيح مسلم (٤/ ٢٠٤٠- ٢٠٤١).

(٢) صحيح مسلم (٤/ ٢٠٤٥).

(٣) مجمع الزوائد (٧/ ٢٠٥).

فصل

أجمع سبعون رجلًا من التابعين، وأئمة المسلمين، والسلف، وفقهاء الأمصار، على أن السُّنَّة التي توفي عليها رسول الله ﷺ:

- أولها الرضا بقضاء الله وقدره، والتسليم لأمره، والصبر تحت حكمه، والأخذ بما أمر الله به، والنهي عما نهى الله عنه، وإخلاص العمل لله، والإيمان بالقدر خيره وشره وترك المراء والجدال والخصومات في الدين، والمسح على الخفين والجهاد مع كل خليفة برًّا وفاجرًا، والصلاة على من مات من أهل القبلة.

- والإيمان: قول وعمل ونية، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

- والقرآن كلام الله، نزل به جبريل على نبيه محمد ﷺ غير مخلوق.

- والصبر تحت لواء السلطان على ما كان منه من عدل أو جور، ولا نخرج على الأمراء بالسيف وإن جاروا.

- ولا نكفِّر أحدًا من أهل القِبْلَة وإن عمل بالكبائر إلا إن استحلوها.

- ولا نشهد لأحد من أهل القِبْلَة بالجنة لخير أتى به إلا من شهد له النبي ﷺ.

- والكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ.

- وأفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي بن أبي طالب ﷺ أجمعين.

- ونترحم على جميع أزواج النبي ﷺ وأولاده وأصحابه ﷺ أجمعين.

موعظة

عباد الله

أين الذين كنزوا الكنوز، وجمعوا... وثملوا من الشهوات وشبعوا؟

وأمَّلوا البقاء... فما نالوا فيها ما طمعوا... وفنيت أعمارهم بما غُروا به وخدعوا؟

نصب لهم شيطانهم أشراك الهوىٰ فوقعوا...

وجاءهم ملك الموت فذلوا، وخضعوا...

وأخرجهم من ديارهم، فلا -والله- ما رجعوا

فهم مفترقون في القبور، فإذا نفخ في الصور اجتمعوا

وكيف قرت لأهل العلم أعينهم ... أو استلذوا لذيذ العيش أو هجعوا

والموت ينذرهم جهرًا علانية ... لو كان للقوم أسماع لقد سمعوا

والنار ضاحية لا بد موردهم ... وليس يدرون من ينجو ومن يقع

لقد أمست الطير والأنعام آمنة ... والنون في البحر لا يخشى لها فزع

والآدمي بهذا الكسب مرتهن ... له رقيب على الأسرار يطلع

حتى يرى فيه يوم الجمع منفردًا ... وخصمه الجلد والأبصار والسمع

وإذ يقومون والأشهاد قائمة ... والجن والإنس والأملاك قد خشعوا

وطارت الصحف في الأيدي منشرة ... فيها السرائر والأخبار تطلع

فكيف بالناس والأنباء واقعة ... عما قليل وما تدري بما تقع

أفي الجنان وفوز لا انقطاع له ... أم في الجحيم فلا تبقى ولا تدع

تهوى بسكانها طورًا وترفعهم ... إذا رجوا مخرجًا من غمها قمعوا

طال البكاء فلم ينفع تضرعهم ... هيهات لا رقية تغني ولا جزع

الكبيرة الحادية عشرة
الغدر وعدم الوفاء بالعهد

- قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

قال الزجاج: كل ما أمر الله به أو نهى عنه فهو من العهد.

- وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١].

قال الواحدي: قال ابن عباس (في رواية الوالبي): العقود: يعني ما أحل وحرم، وما فرض، وما حدَّ في القرآن.

وقال الضحاك: بالعهود التي أخذ الله على هذه الأمة أن يوفوا بها مما أحل وحرم، وما فرض من الصلاة وسائر الفرائض والعهود، وكذا العقود جمع عقد، والعقد بمعنى المعقود وهو الذي أحكم مما فرض الله علينا، فقد أحكم ذلك، ولا سبيل إلى نقضه بحال.

وقال مقاتل بن حيان: أوفوا بالعقود التي عهد الله إليكم في القرآن مما أمركم به من طاعته أن تعملوا بها، ونهيه الذي نهاكم عنه، وبالعهود التي بينكم وبين المشركين، وفيما يكون من العهد بين الناس والله أعلم.

- وقال النبي ﷺ: **«أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذ ائتمن خان، وإذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»** مخرج في الصحيحين. **(٥٦٤)(٤/ ٤٣)**

- وقال رسول الله ﷺ: **«لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به، يقال: هذه غدرة فلان»** رواه مسلم. **(٤/ ٤٤)**

- وقال رسول الله ﷺ: **«قال الله تعالى: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطي بي ثم غدر، ورجل باع حرًّا ثم أكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه العمل ولم يوفه أجره»** أخرجه البخاري. **(٥٦٥)(٤/ ٤٤)**

- وقال رسول الله ﷺ: **«من خلع يدًا من طاعة الله لقي الله يوم القيامة ولا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»** رواه مسلم عن ابن عمر. الميتة (بكسر الميم). **(٢٨٤)**

- وقال ﷺ: «فمن أحب أن يُزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه، ومن بايع إمامًا فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر» رواه مسلم عن ابن عمر كذلك. (٢٨٦)

الكبيرة الثانية عشرة
الجدال والمراء واللدد

– قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ ﴾ أي: ومن الناس فريق يروقك كلامه ويثير إعجابك بقوة بيانه؛ ولكنه منافق كذاب ﴿ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ أي: في هذه الحياة فقط أما الآخرة فالحاكم فيها علّام الغيوب الذي يطلع على القلوب والسرائر.

﴿ وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ ﴾ أي: يُظهر لك الإيمان ويبارز الله بما في قلبه من الكفر والنفاق ﴿ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴾ أي: شديد الخصومة يجادل بالباطل، ويتظاهر بالدين والصلاح بكلامه المعسول ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا ﴾ أي: إذا انصرف عنك عاث في الأرض فسادًا ﴿ وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ﴾ أي: يهلك الزرع وما تناسل من الإنسان والحيوان ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ [البقرة: ٢٠٤- ٢٠٥] أي: يبغض الفساد ولا يحب المفسدين[١].

– ومما يذم من الألفاظ: المراء والجدال والخصومة[٢].

قال الإمام حجة الإسلام الغزالي رحمه الله: المراء طعنك في كلام لإظهار خلل فيه لغير غرض، سوى تحقير قائله وإظهار مزيتك عليه.

قال: وأما الجدال، فعبارة عن أمر يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها.

قال: وأما الخصومة فلجاج في الكلام ليستوفي به مقصودًا من مال أو غيره، وتارة يكون ابتداءً وتارة يكون اعتراضًا، والمراء لا يكون إلا اعتراضًا. هذا كلام الغزالي وقال النووي: (اعلم أن الجدال قد يكون بحق، وقد يكون بباطل).

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [غافر: ٤].

---

(١) صفوة التفاسير (١٣٣).

(٢) الأذكار (٣٣٠- ٣٣١) والإحياء (٣/ ١١٥- ١١٧).

قال: فإن كان الجدال للوقوف على الحق وتقريره كان محمودًا، وإن كان في مدافعة الحق، أو كان جدالًا بغير علم كان مذمومًا، وعلى هذا التفصيل تنزل النصوص الواردة في إباحته وذمه، والمجادلة والجدال بمعنى واحد.

- قال بعضهم: ما رأيت شيئًا أذهب للدين، ولا أنقص للمروءة، ولا أشغل للقلب من الخصومة.

- فإن قلت: لا بد للإنسان من الخصومة لاستيفاء حقوقه.

فالجواب -ما أجاب به الغزالي رحمه الله: اعلم أن الذم المتأكد إنما هو لمن خاصم بالباطل، وبغير علم، كوكيل المتقاضي، فإنه يتوكل في الخصومة قبل أن يعرف الحق في أي جانب هو فيخاصم بغير علم.

ويدخل في الذم أيضا من يطلب حقه؛ لكنه لا يقتصر على قدر الحاجة؛ بل يظهر اللدد، والكذب، والإيذاء، والتسلط على خصمه.

وكذلك من خلط بالخصومة كلمات تؤذي، وليس له إليها حاجة في تحصيل حقه.

وكذلك من يحمله على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره.

فهذا هو المذموم.

وأما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد وإسراف وزيادة لجاج على الحاجة من غير قصد عناد، ولا إيذاء ففعله هذا ليس حرامًا، ولكن الأولى تركه ما وجد إليه سبيلًا؛ لأن ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال متعذر، والخصومة توغر الصدور، وتهيج الغضب، وإذا هاج الغضب حصل الحقد بينهما حتى يفرح كل واحد منهما بمساءة الآخر، ويحزن لمسرته، ويطلق لسانه في عرضه.

فمن خاصم فقد تعرض لهذه الآفات، وأقل ما فيها اشتغال القلب، حتى إنه يكون في صلاته وخاطره متعلق بالمحاجة والخصومة، فلا تبقى حاله على الاستقامة، والخصومة مبدأ الشر، وكذا الجدال والمراء.

فينبغي للإنسان ألا يفتح عليه باب الخصومة إلا لضرورة لا بد منها.

- وعن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة، ومن تركه وهو محق بني له في وسطها، ومن حسن خلقه بني له في أعلاها**» رواه أبو داود والترمذي واللفظ له وقال: حديث حسن. (١/ ٨٠)

- وجاء عن علي ﷺ قال: (أن الخصومة لها قحم).

قلت: القُحَم (بضم القاف وفتح الحاء المهملة): هي المهالك.

فصل

- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «**ما ضلَّ قوم بعد هدى كانوا عليه: إلا أتوا الجدل**» ثم قرأ: ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ﴾ [الزخرف: ٥٨]، رواه الترمذي وابن ماجه وغيرهم، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. (١/ ٨١)

- وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**المراء في القرآن كفر**» رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه. (١/ ٨٢)

- [وعن عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم**» رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

الألد: هو الشديد الخصومة، والخصم (بكسر الصاد المهملة): هو الذي يحج من يخاصمه]. (١/ ٨٢)

- وروي أن من جادل في خصومة -بغير علم- لم يزل في سخط حتى ينزع.

- وروي كذلك: كفى بك إثمًا أن لا تزال مخاصمًا.

- وجاء في الأثر: (أخوف ما أخاف عليكم: زلة عالم، وجدال منافق في القرآن، ودنيا تقطع أعناقكم).

فصل

يُكْرَه التقعير في الكلام بالتشدق وتكلف السجع وبالفصاحة والتصنع بالمقدمات التي يعتادها المتفاصحون فكل ذلك من التكلف المذموم؛ بل ينبغي أن يقصد في مخاطبته لفظًا يفهمه صاحبه فهمًا جليًّا ولا يستثقله.

- روينا في كتاب الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة**» قال الترمذي: حديث حسن. (٦٠٩)

- وروينا فيه أيضًا عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيقهون**» قال الترمذي: حديث حسن (٦٠٩). قال: والثرثار هو كثير الكلام، والمتشدق: من يتطاول على الناس في الكلام ويبذو عليهم.

[والمتفيهق في أصله من الفَهْق وهو الامتلاء وهو الذي يملأ فمه بالكلام ويتوسع فيه، ويغرب به تكبرا وارتفاعا وإظهارا للفضيلة على غيره]. (٢٧٤)

- واعلم أنه لا يدخل في الذم تحسين ألفاظ الخطب والمواعظ؛ إذا لم يكن فيها إفراط وإغراب؛ لأن المقصود منها تهييج القلوب إلى طاعة الله تعالى، ولحسن اللفظ في هذا أثر ظاهر والله أعلم.

الكبيرة الثالثة عشرة
عدم التنزه من البول
وهو شعار النصارى

- قال الله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ٤].

- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مرَّ النبي ﷺ بقبرين، فقال: «**إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، بلى إنه كبير، أما أحدهما: فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله**» رواه البخاري ومسلم وغيرهما. (١/ ٨٦)

- وقال رسول الله ﷺ: «**عامة عذاب القبر في البول، فاستنزهوا من البول**» رواه الدارقطني عن ابن عباس، من رواية أبي يحيى القتات وقال: إسناده لا بأس به، والقتات مختلف في توثيقه[1]. (١/ ٨٦)

- ثم إن من لم يتحرز من البول في بدنه وثيابه؛ فصلاته غير مقبولة.

- وروى الحافظ أبو نعيم في الحلية[2] عن شفي بن ماتع مرفوعًا: (أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى: يسعون بين الحميم والجحيم، يدعون بالويل والثبور، يقول أهل النار بعضهم لبعض: ما بال هؤلاء قد آذونا على ما بنا من الأذى)؟

قال: فرجل مغلق عليه تابوت من جمر، ورجل يجر أمعاءه، ورجل يسيل فوه قيحًا ودمًا ورجل يأكل لحمه، قال: فيقال لصاحب التابوت: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ قال: فيقول: إن الأبعد مات وفي عنقه أموال الناس، لم يجد لها فضلًا أو قال: وفاء، ثم يقال للذي يجر أمعاءه: ما بال الأبعد، قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ قال: فيقول: إن الأبعد كان لا يبالي أين أصاب البول منه، ثم لا يغسله ثم يقال للذي يسيل قيحًا ودمًا: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ فيقول: إن الأبعد كان ينظر إلى كل كلمة قَذَعة[3]

---

(١) وقد خرجه الدارقطني من حديث أبي هريرة مرفوعًا بلفظ: «أكثر عذاب القبر من البول» وقال صحيح (١/ ١٢٨).

(٢) حلية الأولياء (١/ ١٦٧-١٦٨).

(٣) القَذَع (بفتحتين): الفحش من الكلام الذي يقبح ذكره- قاله في اللسان.

خبيثة يستلذها ويستلذ الرفث، ثم يقال للذي يأكل لحمه: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ قال: فيقول: إن الأبعد كان يأكل لحوم الناس [بالغيبة][1] ويمشي بالنميمة[2] فنسأل الله العفو والعافية بمنّه وكرمه إنه أرحم الراحمين.

موعظة

أيها العبيد

تذكروا في مصارع الذين سبقوا... وتدبروا في عواقبهم أين انطلقوا؟ واعلموا أنهم قد تقاسموا وافترقوا... أما أهل الخير فسعدوا، وأما أهل الشر فشقوا، فانظر لنفسك قبل أن تلقى ما لقوا.

والمــرء مثــل هــلال عنــد مطلعــه — يبــدو ضــئيلًا لطيفًــا ثــم يتــسق[3]

يــزداد حتــى إذا مــا تــم أعقبــه — كــر الجديــدين[4] نقــصًا ثــم يمتحــق[5]

كــان الــشباب رداء قــد بهجــت بــه — فقــد تطــاير منــه للــبلى[6] خــرق

ومــات مبتــسم جــدَّ المــشيب بــه[7] — كالليــل[8] يــنهض في أعجــازه الأفــق

عجبــت والــدهر لا تفنــى عجائبــه — مــن راكنــين إلى الــدنيا وقــد صُــدِقوا

وطالمــا نغــصت[9] بــالفجع صــاحبها — بطارق الفجــع والتنغــيص قــد طرقــوا

---

(١) الزيادة من رواية الترغيب.

(٢) وإسناده لين، وشفي بن ماتع **مختلف في صحبته**، وقد ذكره البخاري وابن حبَّان **في التابعين، قاله المنذري (٣/ ٥٩٩)** وهذا لفظ الزهد (٩٤) من الزيادات.

(٣) اتسق القمر: استوى وامتلأ، كذا في المعجم الوجيز.

(٤) كر الجديدين: تعاقب الليل والنهار.

(٥) المحاق: تناقص جرم القمر وضوؤه **بعد انتهاء ليالي اكتماله.**

(٦) البلي: بلى الثوب بليّ رثَّ **وخلق.**

(٧) جد المشيب به: أسرع الشيب به إلى حتفه.

(٨) كالليل: مشبَّهًا بالليل يكون ضوء النهار **في أواخره.**

(٩) نغصت: كدرت.

دار تعـــد بهـــا الآجـــال مهلكـــة — وذو التجـارب فيهـا خـائف فـرق[1]

يـــا للرجـــال لمخـــدوع بباطلهـــا — بعـــد البيـــان ومغـــرور بهـــا يثـــق

أقـــول والـــنفس تـــدعوني لزخرفهـــا — أين الملوك ملـوك النـاس والـسوق؟[2]

أيـــن الـــذين إلى لـــذاتها جنحـــوا[3] — قـد كـان قـبلهم عـيش ومرتفـق[4]

أمـــست مـــساكنهم قفـــرًا معطلـــة — كـــأنهم لم يكونـــوا قبلهـــا خلقـــوا

يـــا أهـــل لـــذة دار لا بقـــاء لهـــا — إن اغـــترارًا بظـــل زائـــل حمـــق

---

(١) فرق: خائف.

(٢) السوق: جمع سوقة وهم أوساط الناس.

(٣) جنحوا: مالوا.

(٤) مرتفق: ما ينتفع به.

الكبيرة الرابعة عشرة
تعمد ترك الصلاة

- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ [المنافقون: ٩].

قال المفسرون: المراد بذكر الله -في هذه الآية- الصلوات الخمس؛ فمن اشتغل بماله في بيعه، وشرائه، ومعيشته، وضيعته وأولاده عن الصلاة في وقتها؛ كان من الخاسرين.

وهكذا قال النبي ﷺ: **«أول ما يُحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة؛ فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله»** رواه الطبراني ولا بأس بإسناده. (١/ ١٤٣)

- وقال تعالى مخبرًا عن أصحاب الجحيم: ﴿ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ۝ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ۝ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ۝ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ۝ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ ۝ فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ [المدثر: ٤٢- ٤٨].

- وقال النبي ﷺ: **«العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر»** خرجه الأربعة وصححه الترمذي وغيره. (١/ ١٩٤)

- وقال النبي ﷺ: **«بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة»** خرجه الإمام أحمد، ومسلم، وأبو داود، وابن ماجه، وهذا لفظه. (١/ ١٩٤)

- وفي صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال: **«من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله»**. (١/ ١٦٩)

- وفي معجم الطبراني الأوسط عن معاذ ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«لا تترك الصلاة متعمدًا؛ فإن من ترك الصلاة متعمدًا فقد برئت منه ذمة الله»**، ولا بأس بإسناده في المتابعات. (١/ ١٩٦)

- وقال ﷺ: **«أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة؛ فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله»** متفق عليه. (٤٤٠)

- وقال ﷺ: «**من حافظ عليها كانت له نورًا، وبرهانًا، ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور، ولا برهان، ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون، وفرعون، وهامان، وأُبي بن خلف**» رواه أحمد بإسناد جيد. (١/ ١٩٧)

- **وقال بعض العلماء رحمهم الله**: وإنما يحشر تارك الصلاة مع هؤلاء الأربعة؛ لأنه إنما يشتغل عن الصلاة بماله، أو بملكه، أو بوزارته، أو بتجارته.

فإن اشتغل بماله حُشِرَ مع قارون.

وإن اشتغل بملكه حُشِرَ مع فرعون.

وإن اشتغل بوزارته حُشِرَ مع هامان.

وإن اشتغل بتجارته حُشِرَ مع أُبي بن خلف تاجر الكفار بمكة.

- ولما طُعِنَ عمر بن الخطاب ﷺ قيل له: الصلاة يا أمير المؤمنين، قال: نعم، أما إنه لا حظَّ في الإسلام لمن ترك الصلاة، وصلى ﷺ وجرحه يثعب[1] دمًا[2].

- وقال عبد الله بن شقيق التابعي ﷺ: كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة، رواه الترمذي في كتاب الإيمان بإسناد صحيح. (٤١٠)

- وسُئل علي ﷺ عن امرأة لا تصلي، فقال: من لم يصلِّ فهو كافر، رواه البخاري في تاريخه[3] وغيره[4]. (١/ ١٩٧)

- وقال ابن مسعود ﷺ: من لم يصلِّ فلا دين له. (١/ ١٩٧)

- وقال ابن عباس ﷺ: من ترك الصلاة فقد كفر. (١/ ١٩٧)

وهو قول إبراهيم النخعي، وأيوب السختياني.

---

(١) يثعب (بفتح فسكون ففتح) يجري كما في اللسان (ثعب).

(٢) خرجه الآجري في الشريعة (١٣٤) وقال في مجمع الزوائد (١/ ٢٩٥): رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح.

(٣) ولم يذكر المتن (٤/ ٣٩٣).

(٤) ابن أبي شيبة في كتاب الإيمان (رقم ١٢٦)، وقال الشيخ ناصر وهذا لا يصح عن علي وأعله براوٍ فيه مجهول، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٨٩٨).

- وقال عون بن عبد الله: إن العبد إذا أُدخل قبره سُئل عن الصلاة أول شيء يُسأل عنه؛ فإن جازت له نظر فيما دون ذلك من عمله، وإن لم تجز له لم ينظر في شيء من عمله بعده.

- وقال ابن حزم: لا ذنب -بعد الشرك- أعظم من تأخير الصلاة عن وقتها وقتل مؤمن بغير حق.

- وقد اختلف العلماء -رحمهم الله- في حكم تارك الصلاة فقال مالك والشافعي وأحمد رحمهم الله: تارك الصلاة يقتل ضربًا بالسيف في رقبته [وقال بعض الشافعية: يُضرب بالخشب إلى أن يصلي أو يموت، وقال ابن شريح: ينخس بالسيف حتى يموت؛ لأنه أبلغ في زجره وأرجى لرجوعه؛ وقال أبو حنيفة وداود والمزني وغيرهم: يحبس حتى يموت أو يتوب، ولا يقتل][1] ثم اختلفوا في كفره إذا تركها من غير عذر حتى يخرج وقتها.

فقال إبراهيم النخعي، وأيوب السختياني، وعبد الله بن المبارك، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه: هو كافر، واستدلوا بقول النبيﷺ: **«العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر»** رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح (١/ ١٩٤)، وبقولهﷺ: **«بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة»** رواه أحمد ومسلم. (١/ ١٩٤)

- وروي أنه أول ما يسود -يوم القيامة- وجوه تاركي الصلاة وأن في جهنم واديًا يقال له: لملم فيه حيَّات: كل حية بثخن رقبة البعير، طولها مسيرة شهر، تلسع تارك الصلاة فيغلي سمها في جسمه سبعين سنة ثم يتهرى لحمه.

---

(١) مستفادة من كتاب الصلاة لابن القيم (٤).

حكاية

روي أن امرأة من بني إسرائيل جاءت إلى موسى عليه السلام فقالت: يا رسول الله إني أذنبت ذنبًا عظيمًا، وقد تبت منه إلى الله تعالى، فادع الله أن يغفر لي ذنبي ويتوب عليَّ.

فقال لها موسى عليه السلام: وما ذنبك؟

قالت: يا نبي الله إني زنيت، وولدت ولدًا فقتلته، فقال لها موسى عليه السلام: اخرجي يا فاجرة؛ لتنزل نار من السماء فتحرقنا بشؤمك، فخرجت من عنده منكسرة القلب، فنزل جبريل عليه السلام وقال: يا موسى الرب تعالى يقول: لم رددت التائبة؟ يا موسى أما وجدت شرًّا منها؟ قال موسى: يا جبريل ومن هو شر منها؟ قال: تارك الصلاة عامدًا متعمدًا.

فصل
في الزجر عن تأخير الصلاة عن وقتها

- قال الله تعالى: ﴿ **فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ۝ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا** ﴾ [مريم: ٥٩- ٦٠].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ليس معنى أضاعوها تركوها بالكلية؛ ولكن أخروها عن أوقاتها.

وقال سعيد بن المسيب إمام التابعين رحمه الله: هو أن لا يصلي الظهر حتى يأتي العصر، ولا يصلي العصر إلى المغرب، ولا يصلي المغرب إلى العشاء، ولا يصلي العشاء إلى الفجر، ولا يصلي الفجر حتى تطلع الشمس.

فمن مات وهو مُصرٌّ على هذه الحالة ولم يتب؛ وعده الله بغيٍّ وهو وادٍ في جهنم بعيد قعره خبيث طعمه.

وقال تعالى في آية أخرى: ﴿ **فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ** ﴾ [الماعون: ٤- ٥] أي: غافلون عنها متهاونون بها.

- وسُئل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن الذين هم عن صلاتهم ساهون، فقال: هو تأخير الوقت، أي: تأخير الصلاة عن وقتها.

سماهم مصلين؛ لكنهم لما تهاونوا بها وأخروها عن وقتها، وعدهم بويل وهو شدة العذاب، وقيل: هو واد في جهنم لو سُيرت فيه جبال الدنيا لذابت من شدة حره، وهو مسكن من يتهاون بالصلاة ويؤخرها عن وقتها إلا أن يتوب الله عليه ويندم على ما فرط.

- وقال تعالى في آية أخرى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [المنافقون: ٩].

- [وعن عائشة ﵂ قالت: ما صلّى رسول الله ﷺ الصلاة لوقتها الأخير حتى قبضه الله، خرجه الحاكم في المستدرك وصححه على شرط الشيخين(١)].

- وسُئل رسول الله ﷺ أي العمل أفضل؟ قال: «**أفضل العمل الصلاة لوقتها، وبر الوالدين، والجهاد**» رواه أحمد ورواته محتج بهم في الصحيح. (١/ ١٤٨)

- وروي أنه من صلّى الصلوات لوقتها وأسبغ لها وضوءها وأتم لها قيامها، وخشوعها، وركوعها، وسجودها؛ خرجت وهي بيضاء مسفرة تقول: حفظك الله كما حفظتني، ومن صلّاها لغير وقتها ولم يسبغ لها وضوءها ولم يتم لها خشوعها ولا ركوعها ولا سجودها؛ خرجت وهي سوداء مظلمة تقول: ضيعك الله كما ضيعتني، حتى إذا كانت حيث شاء الله لُفت كما يُلف الثوب الخلق ثم ضرب بها وجهه(٢).

- وعن عبد الله بن عمر بن العاص ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا يقبل الله منهم صلاة: من تقدم قومًا وهم له كارهون، ورجل أتى الصلاة دبارًا** -والدبار أن يأتيها بعد أن تفوته- **ورجل اعتبد محرره**» رواه أبو داود وابن ماجه(٣). (١/ ١٧٠)

- وروي أنه من جمع بين صلاتين من غير عذر فقد أتى بابًا من أبواب الكبائر(٤).

- وعن ابن عباس ﵄ قال: إذا كان يوم القيامة يؤتى بالرجل فيوقف بين يدي الله -عزَّ وجلَّ- فيأمر به إلى النار، فيقول: يا رب لماذا؟ فيقول الله تعالى: لتأخير الصلاة عن أوقاتها وحلفك بي كاذبًا.

فنسأل الله التوفيق والإعانة إنه جوّاد كريم، وأرحم الراحمين.

---

(١) ووافقه الذهبي (١/ ١٩٠).

(٢) رواه الطبراني في الأوسط مرفوعًا، ورمز المنذري لضعفه (١/ ١٤٩).

(٣) في إسناده عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي وهو ضعيف، قاله المنذري كما في عون المعبود (٢/ ٣٠٤).

(٤) خرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٢٧٥) وأعله الذهبي بحنش بن قيس ضعيف.

حكاية عن بعض السلف

أنه أتىٰ أختًا له ماتت فسقط كيس منه فيه مال في قبرها فلم يشعر به أحد حتىٰ انصرف عن قبرها، ثم ذكره فرجع إلىٰ قبرها فنبشه بعدما انصرف الناس فوجد القبر يشتعل عليها نارًا، فرد التراب عليها ورجع إلىٰ أمه باكيًا حزينًا، فقال: يا أماه أخبريني عن أختي وما كانت تعمل؟

قالت: وما سؤالك عنها؟ قال: يا أمي، رأيت قبرها يشتعل عليها نارًا.

قال: فبكت، وقالت: يا ولدي كانت أختك تتهاون بالصلاة وتؤخرها عن وقتها.

فهذا حال من يؤخر الصلاة عن وقتها، فكيف حال من لا يصلي؟

فنسأل الله تعالىٰ أن يعيننا علىٰ المحافظة عليها في أوقاتها إنه جوَّاد كريم.

فصل

متى يؤمر الصبي بالصلاة؟

روىٰ أبو داود في السنن أن رسول الله ﷺ قال: «**مُروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين، واضربوه عليها ابن عشر سنين**» حديث حسن رواه أبو داود والترمذي، وفي رواية: «**مُروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها، وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع**» حديث حسن رواه أبو داود بإسناد حسن. (١٤٨)

قال الإمام أبو سليمان الخطابي رحمه الله: هذا الحديث يدل علىٰ إغلاظ العقوبة له إذا بلغ تاركًا لها، وكان بعض أصحاب الإمام الشافعي -رحمه الله تعالىٰ- يحتج به في وجوب قتله إذا تركها متعمدًا بعد البلوغ، ويقول: إذا استحق الضرب وهو غير بالغ فيدل علىٰ أنه يستحق بعد البلوغ من العقوبة ما هو أبلغ من الضرب، وليس بعد الضرب شيء أشد من القتل.

فصل

في عقوبة من ينقر الصلاة ولا يتم ركوعها ولا سجودها

- قد روي في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ [الماعون: ٤ - ٥]. أنه الذي ينقر الصلاة ولا يتم ركوعها ولا سجودها.

- وثبت في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ أن رجلًا دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس في ناحية المسجد فصلىٰ ثم جاء فسلم عليه فقال له رسول الله ﷺ: «**وعليك السلام ارجع فصلِّ فإنك لم تصلِّ، فصلى، ثم جاء فسلم فقال: وعليك السلام ارجع فصلِّ فإنك لم تصلِّ، فصلى، ثم جاء فسلم فقال: وعليك السلام فارجع فصلِّ فإنك لم تصلِّ**» فقال في الثانية أو التي تليها: علمني يا رسول الله فقال: «**إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء، ثم استقبل القبلة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعًا، ثم ارفع حتى تستوي قائمًا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسًا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا، ثم ارفع حتى تستوي قائمًا، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها**» (١/ ١٨٣)

- وروىٰ الإمام أحمد عن أبي مسعود البدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تجزئ صلاة لا يقيم الرجل فيها صُلبه في الركوع والسجود**» ورواه أبو داود أيضًا، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح وفي رواية أُخرىٰ: «**حتى يقيم ظهره في الركوع والسجود**».
(١/ ١٨١)

فهذا نص عن النبي ﷺ في أن من صلَّىٰ ولم يُقِمْ ظهره بعد الركوع والسجود كما كان فصلاته باطلة، فهذا فرض في الصلاة، وكذا الطمأنينة وهي أن يستقر كل عضو في موضعه.

- وثبت عنه ﷺ أنه قال: «**أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته**» قالوا: يا رسول الله كيف يسرق من صلاته؟ قال: «**لا يتم ركوعها ولا سجودها**» صححه ابن خزيمة والحاكم[١].

- وروىٰ الإمام أحمد من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا ينظر الله إلى**

---

(١) وأقره الذهبي (١/ ١٨١).

عبد لا يقيم صُلبه بين ركوعه وسجوده» وإسناده جيد. (١/ ١٨٣)

- وقال ﷺ: **«تلك صلاة المنافق يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقرها أربعًا لا يذكر الله فيها إلا قليلًا»** رواه مسلم[١].

- وروى الطبراني بإسناد حسن وابن خزيمة في صحيحه أن رسول الله ﷺ رأى رجلًا لا يتم ركوعه وينقر في سجوده وهو يصلي فقال رسول الله ﷺ: **«لو مات هذا على حاله هذه مات على غير ملة محمد ﷺ»**. (١/ ١٨٢)

- وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«أُمرت أن أسجد على سبعة أعظم: على الجبهة** -وأشار بيده على أنفه- **واليدين، والركبتين، والقدمين»** متفق عليه، وفي رواية: **«أُمرت أن أسجد على سبع، ولا أكفت الشعر ولا الثياب: الجبهة والأنف، واليدين، والركبتين، والقدمين»** رواه مسلم والنسائي[٢].

فمن صلَّى ولم يعطِ كل عضو منها حقه لعن ذلك العضو حتى يفرغ من صلاته.

- وروي أنه: ما من مصلٍّ إلا ومَلَك عن يمينه، ومَلَك عن يساره؛ فإن أتمها عرجا بها، وإن لم يتمها ضَربا بها على وجهه[٣].

- وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: الصلاة مكيال فمن وفَّى وُفِّي له، ومن طفف فقد علمتم ما قال الله في المطففين، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١]. **والمطفف**: هو المنقص للكيل، أو الوزن، أو الذرع، أو الصلاة، وعدهم الله بويل وهو وادٍ في جهنم تستغيث جهنم من حره، نعوذ بالله منه.

- وروى البخاري[٤] أن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه رأى رجلًا يصلي ولا يتم ركوع الصلاة

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٤٣٤).

(٢) نيل الأوطار (٢/ ٢٥٨) والكفت: الجمع والضم، قال النووي: اتفق العلماء على النهي عن الصلاة وثوبه مشمر أو كمه أو نحوه، أو رأسه معقوص أو مردود شعره تحت عمامته أو نحو ذلك، فكل هذا منهي عنه باتفاق العلماء، وهو كراهة تنزيه، فلو صلَّى كذلك فقد أساء وصحت صلاته (٤/ ٢٠٩).

(٣) رواه الأصبهاني عن عمر بن الخطاب مرفوعًا، ورمز المنذري لضعفه (١/ ١٨٣).

(٤) صحيح البخاري (١/ ٢٠٠).

ولا سجودها فقال له حذيفة: ما صليت ولو مِتَّ مُتَّ على غير الفطرة التي فطر الله محمدًا ﷺ، وفي رواية النسائي[1] أنه قال: منذ كم تصلي هذه الصلاة؟ قال: منذ أربعين سنة قال: ما صليت منذ أربعين سنة، ولو مِتَّ وأنت تصلي هذه الصلاة لمت على غير فطرة محمدﷺ.

- وكان الحسن البصري يقول: يا ابن آدم أي شيء يعز عليك من دينك إذا هانت عليك صلاتك، وأنت أول ما تسأل عنها يوم القيامة.

كما ورد من قول النبي ﷺ: «**إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة -من عمله- صلاته؛ فإن صلحت فقد أفلح وأنجح؛ وإن فسدت فقد خاب وخسر، فإن انتقص من فريضته شيء قال الرب عزَّ وجلَّ: انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل بها ما انتقص من الفريضة؟ ثم تكون سائر أعماله على هذا**» رواه الترمذي وقال: حديث حسن. (٤١١)

فينبغي للعبد أن يستكثر من النوافل حتى يكمل به ما انتقص من فرائضه، وبالله التوفيق.

(١) سنن النسائي (٣/ ٥٨).

الكبيرة الخامسة عشرة
ترك صلاة الجماعة من غير عذر

- قال الله تعالىٰ: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴾ [القلم:٤٢-٤٣].

وذلك يوم القيامة يغشاهم ذل الندامة، وقد كانوا في الدنيا يدعون إلىٰ السجود.

وقال إبراهيم التيمي: يعني إلىٰ الصلاة المكتوبة بالأذان والإقامة.

وقال سعيد بن المسيب: كانوا يسمعون (حي علىٰ الصلاة، حي علىٰ الفلاح) فلا يجيبون وهم أصحاء سالمون.

وقال كعب الأحبار: والله ما نزلت هذه الآية إلا في الذين تخلفوا عن الجماعة.

فأي وعيد أشد وأبلغ من هذا لمن ترك الصلاة في الجماعة مع القدرة علىٰ إتيانها؟

- وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بحطب يحتطب، ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها، ثم آمر رجلًا فيؤم الناس، ثم أخالف إلى رجال لا يشهدون الصلاة في الجماعة؛ فأحرق عليهم بيوتهم بالنار**»، وفي رواية لمسلم أيضًا من حديث أبي هريرة: «**لقد هممت أن آمر فتيتي فيجمعوا لي حزمًا من حطب، ثم آتي قومًا يصلون في بيوتهم ليست بهم علة فأحرقها عليهم**». (١/ ١٥٦)

ولا يتوعد بحرق بيوتهم عليهم بالنار إلا علىٰ ترك واجب مع ما في البيوت من الذرية والمتاع، وفي هذا الحديث والآية التي قبله وعيد شديد لمن يترك صلاة الجماعة من غير عذر.

- وعن أبي هريرة ﷺ قال: أتىٰ النبيﷺ رجل أعمىٰ فقال: يا رسول الله ليس لي قائد يقودني إلىٰ المسجد فسأل رسول الله ﷺ أن يُرخِّص له فيصلي في بيته فرخَّص له فلما ولَّىٰ دعاه، فقال: «**هل تسمع النداء بالصلاة؟**» قال: نعم، قال: «**فأجب**» رواه مسلم. (٤٠٦)

- وروىٰ أبو داود وابن خزيمة في صحيحه عن عمرو بن أم مكتوم ﷺ قال: قلت: يا رسول الله أنا ضرير شاسع الدار ولي قائد لا يلايمني، فهل تجد لي رخصة أن أصلي في بيتي؟ قال: «**تسمع النداء؟**» قال: نعم، قال: «**ما أجد لك رخصة**». وفي رواية لأبي داود

بإسناد جيد فقال رسول الله ﷺ: «**تسمع حي على الصلاة حي على الفلاح فحيهلا**»[1] قوله (فحيهلا) أي: تعالَ وأقبل، قوله (شاسع الدار) أي بعيد الدار (لا يلايمني) أي لا يوافقني. (١/ ١٥٧)

فهذا رجل ضرير البصر شكا ما يجد من المشقة في مجيئه إلى المسجد، وليس له قائد يقوده إلى المسجد، ومع هذا لم يُرخص له النبي ﷺ في الصلاة في بيته، فكيف بمن يكون صحيح البصر سليمًا لا عذر له؟

- وقد روى أبو داود في سُننه، وابن حبَّان في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سمع النداء فلم يمنعه من اتباعه عُذر** -قالوا: وما العذر؟ قال: «**خوف أو مرض- لم تقبل منه الصلاة التي صلى**» يعني في بيته. (١/ ١٥٦)

ولهذا لما سُئل ابن عباس رضي الله عنهما عن رجل يصوم النهار ويقوم الليل ولا يصلي في جماعة، ولا يجمع، فقال: إن مات على هذا فهو في النار.

- وقال أبو هريرة رضي الله عنه: لأن تمتلئ أذن ابن آدم رصاصًا مذابًا خير له من أن يسمع النداء ولا يجيب.

- وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد، قيل: ومن جار المسجد؟ قال: من يسمع الأذان.

- وقال أيضًا: من سمع النداء فلم يأته لم تجاوز صلاته رأسه إلا من عذر.

- وروى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (من سرَّه أن يلقى الله غدًا مسلمًا؛ فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن، فإن الله تعالى شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سُنَّة نبيكم، ولو تركتم سُنَّة نبيكم لضللتم، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف) (١/ ١٥٠). يعني: يتكأ عليهما من ضعفه؛ حرصًا على فضلها؛ وخوفًا من الإثم في تركها.

---

(١) وحسَّنه النووي في رياض الصالحين (٤١٧).

- [وقال ابن المنذر: روينا عن غير واحد من أصحاب رسول الله ﷺ أنهم قالوا: مَنْ سمع النداء ثم لم يجب من غير عذر فلا صلاة له، منهم ابن مسعود، وأبو موسى الأشعري.

وممن كان يرى أن حضور الجماعات فرض: عطاء، وأحمد بن حنبل، وأبو ثور، وقال الشافعي ﷺ: لا أرخص لمن قدر على صلاة الجماعة في ترك إتيانها إلا من عذر.

- وقال الخطابي -بعد ذكر حديث ابن أم مكتوم-: وفي هذا دليل على أن حضور الجماعة واجب، ولو كان ذلك ندبًا لكان أولى من يسعه التخلف عنها أهل الضرورة والضعف، ومن كان مثل حال ابن أم مكتوم.

- وكان عطاءَ بن أبي رباح يقول: ليس لأحد من خلق الله في الحضر والقرية رخصة إذا سمع النداء في أن يدع الصلاة، وقال الأوزاعي: لا طاعة للوالد في ترك الجمعة والجماعات][1].

فصل

- وفضل صلاة الجماعة عظيم.

كما في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]. أنهم المصلون الصلوات الخمس في الجماعات.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ﴾ [يس: ١٢]. أي: خطاهم.

- وفي الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**صلاة الرجل في جماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمسًا وعشرين ضعفًا، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة لم يخطُ خطوة إلا رُفِعَتْ له بها درجة وحطت عنه بها خطيئة، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه ما لم يُحْدِث: اللهم صلِّ عليه، اللهم ارحمه، ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة**». (٤٠٦)

- وقال ﷺ: «**ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟**» قالوا: بلى يا

---

(١) الزيادة من الترغيب (١/ ١٥٧).

رسول الله، قال: «**إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة؛ فذلكم الرباط فذلكم الرباط**». رواه مسلم (٤٠٥)

- ويكون اعتناؤه بحضور صلاة العشاء والفجر أشد.

فإن النبيَّ ﷺ قال: «**ليس صلاة أثقل على المنافقين من صلاة الفجر والعشاء، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوًا**» متفق عليه. (٤٠٨)

- وقال ابن عمر رضي الله عنهما كنا إذا فقدنا الإنسان في صلاة العشاء والصبح أسأنا به الظن. يعني: أن يكون قد نافق، أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه على شرط الشيخين[1].

- كان الربيع بن خيثم قد سقط شقه في الفالج[2] فكان يخرج إلى الصلاة متوكئًا على رجلين، فيقال له: يا أبا محمد قد رُخِّص لك أن تصلي في بيتك؛ أنت معذور، فيقول: هو كما تقولون؛ ولكن أسمع المؤذن يقول: حي على الصلاة، حي على الفلاح، فمن استطاع أن يجيبه ولو زحفًا أو حبوًا فليفعل.

- وقال حاتم الأصم: فاتتني مرة صلاة الجماعة فعزاني أبو إسحاق البخاري وحده، ولو مات لي ولد لعزاني أكثر من عشرة آلاف إنسان!!

لأن مصيبة الدين عن الناس أهون من مصيبة الدنيا.

- وكان بعض السلف يقول: ما فاتت أحدًا صلاة الجماعة إلا بذنب أصابه.

- وقال ابن عمر: خرج عمر يومًا إلى حائط له فرجع وقد صلى الناس العصر فقال عمر: إن لله وإن إليه راجعون، فاتتني صلاة العصر في الجماعة، أُشهدكم أن حائطي على المساكين صدقة؛ ليكون كفارة لما صنع عمر رضي الله عنه.

والحائط: البستان فيه النخل.

---

(١) وأقره الذهبي (١/ ٢١١).

(٢) مرض يحدث في أحد شقي البدن طولًا فيبطل إحساسه وحركته (٥٧٨) المصباح.

حكاية

عن عبيد الله بن عمر القواريري -شيخ البخاري ومسلم ﷺ- قال: لم تكن تفوتني صلاة العشاء في الجماعة قطُّ، فنزل بي ليلة ضيف فَشُغلت بسببه، وفاتتني صلاة العشاء في الجماعة فخرجت أطلب الصلاة في مساجد البصرة فوجدت الناس كلهم قد صلوا وغُلقت المساجد فرجعت إلى بيتي، وقلت: قد ورد في الحديث أن صلاة الجماعة تزيد على صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة، فصليت العشاء سبعًا وعشرين مرة، ثم نمت، فرأيت في المنام كأني مع قوم على خيل وأنا أيضًا على فرس ونحن نستبق، وأنا أركض فرسي، فلا ألحقهم.

فالتفت إليَّ أحدهم فقال: لا تتعب فرسك فلست تلحقنا.

قلت: ولِمَ؟ قال: لأنا صلينا العشاء في جماعة وأنت صليت وحدك.

فانتبهت وأنا مغموم حزين لذلك.

فنسأل الله المعونة والتوفيق إنه جوَّاد كريم.

الكبيرة السادسة عشرة
الإصرار على ترك صلاة الجمعة

- [قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ ﴾ أي: يا معشر المؤمنين المصدقين بالله ورسوله، إذا سمعتم المؤذن ينادي لصلاة الجمعة ويؤذن لها ﴿ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَ ﴾ أي: فامضوا إلى سماع خطبة الجمعة وأداء الصلاة واتركوا البيع والشراء ﴿ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ ﴾ فإن نفع الآخرة أجل وأبقى ﴿ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ العلم القويم[1] [الجمعة: ٩]].

- وعن حفصة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**رواح الجمعة واجب على كل محتلم**»[2] أي: على كل بالغ.

- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال لقوم يتخلفون عن الجمعة: «**لقد هممت أن آمر رجلًا يصلي بالناس، ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم**» رواه مسلم. (١/ ٢٥٩)

- وعن أبي هريرة وابن عمر رضي الله عنهم قال رسول الله ﷺ: «**لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين**» رواه مسلم (٤٢٦ - ٤٢٧). وَدْعهم (بفتح الواو وسكون الدال) تركهم.

- وعن أبي الجعد الضمري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**من ترك ثلاث جُمع تهاونًا بها طبع الله على قلبه**» حسَّنه الترمذي، وصححه ابن خزيمة، وابن حبَّان، والحاكم[3]. (١/ ٢٥٩)

- وقال ابن عباس رضي الله عنهما: من ترك الجمعة ثلاث جُمع متواليات فقد نبذ الإسلام وراء ظهره. رواه أبو يعلي موقوفًا بإسناد صحيح. (١/ ٢٦١)

فنسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى إنه جوَّاد كريم.

---

(١) صفوة التفاسير (٣/ ٣٨٠).

(٢) رواه النسائي، قال الشوكاني: رجال إسناده رجال الصحيح إلا عياش بن عياش وقد وثقه العجلي (٣/ ٢٢٧).

(٣) وأقره الذهبي (١/ ٢٨٠)، وقال في الكبائر وتبيين المحارم: وإسناده قوي (١٦٩).

الكبيرة السابعة عشرة
لبس الحرير والذهب للرجال

- في الصحيحين عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «**من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة**» وهذا عام في الجند وغيرهم.

لقوله ﷺ: «**حُرِّم لباس الحرير والذهب على ذكور أمتي وأُحل لإناثهم**» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

(٣٣٤)

- وعن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: نهانا رسول الله ﷺ أن نشرب في آنية الذهب والفضة، وأن نأكل فيها، وعن لبس الحَرير والديباج، وأن نجلس عليه، أخرجه البخاري. **(٣٣٤)**

- فمن استحل لبس الحرير من الرجال فهو كافر.

وإنما رخص فيه الشارع ﷺ لمن به حِكة، أو جرب، أو غيره وللمقاتلين عند لقاء العدو، فعن أنس ﷺ قال: رخص رسول الله ﷺ للزبير، وعبد الرحمن بن عوف ﷺ في لبس الحرير لحكة كانت بهما. متفق عليه. **(٣٣٤)**

- وأما لبس الحرير للزينة في حقِّ الرجال فحرام بإجماع المسلمين سواء كان قباء[1] أو قبطيًّا[2] أو كلوتة[3]، وكذلك إذا كان الأكثر حريرًا كان حرامًا.

وكذلك الذهب لبسه حرام على الرجال، سواء كان خاتمًا أو حياصة[4]، أو سقط سيف، حرام لبسه وعمله[5].

---

(١) قال في المعجم الوجيز(٤٨٩): القَبَاء: ثوب يلبس فوق الثياب، أو القميص ويتمنطق عليه.

(٢) القبطية: ثياب كتان بيض رقاق تُعْمَل بمصر. اللسان (قبط)

(٣) جمعها كلوتات: غطاء الرأس: طاقية صغيرة تلبس وحدها وبعمامة.

(٤) نوع من الحزام كان يسمى قديما بالمنطقة، وكان دائما من الفضة أو من الذهب.

(٥) يجوز للرجل تحلية آلات الحرب بالفضة خاصة وذلك في السيف، والرمح، والسكين، أما التحلية بالذهب فحرام في جميع ذلك قليلًا كان أو كثيرًا، ويحرم على الرجل لبس الذهب والتحلي به مطلقًا، أما اتخاذ أنف أو سن فيجوز للحاجة اهـ مختصرًا (١٦٦) مستند الإجناد.

وقد رأىٰ النبي ﷺ في يد رجل خاتمًا من ذهب فنزعه وقال: «**يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده**» رواه مسلم. (٣/ ١٠٤)

وكذلك طراز[1] الذهب وكلوتة الزركش[2] حرام علىٰ الرجال.

- واختلف العلماء في جواز إلباس الصبي الحرير والذهب، فرخص فيه قوم ومنع منه آخرون لعموم قوله ﷺ عن الذهب والحرير: «**إنّ هذين حرام على ذكور أمتي**» رواه أبو داود بإسناد حسن. (٣٤٤)

فدخل الصبي في النهي وهذا مذهب الإمام أحمد وآخرين رحمهم الله.

فنسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى إنه جوّاد كريم.

(١) طرز الثوب أي وشاه وزخرفه: جعل له طرازًا، فطراز الذهب: زخرفة من ذهب تكون في الثوب. وراجع المصباح والمعجم الوجيز.

(٢) غطاء للرأس: طاقية صغيرة مطرزة بالذهب.

الكبيرة الثامنة عشرة
تشبه النساء بالرجال وتشبه الرجال بالنساء

- في الصحيح عن ابن عباس ﵄ قال: (لعن رسول ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال) رواه البخاري وأبو داود. (٣/ ١٠٥)

- وفي رواية للبخاري: (لعن رسول الله ﷺ المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء) والمخنث (بفتح النون وكسرها): من فيه انخناث، وهو التكسر والتثني كما يفعله النساء.

(٣/ ١٠٥)

والمترجلة: التي تتشبه بالرجال في لبسهم وحديثهم.

- وفي رواية: لعن الله الرجلة من النساء وإسناده حسن[1].

- وعن أبي هريرة ﷺ قال: (لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل».

رواه أبو داود بإسناد صحيح[2] (٥٨١)

- فإذا لبست المرأة زي الرجال من المقالب والفرج والأكمام الضيقة فقد شابهت الرجال في لبسهم فتلحقها لعنة الله ورسوله، ولزوجها إذا أمكنها من ذلك أي رضي به ولم ينهها؛ لأنه مأمور بتقويمها على طاعة الله ونهيها عن المعصية لقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ [التحريم: ٦]. أي: أدبوهم، وعلموهم، ومروهم بطاعة الله، وانهوهم عن معصية الله، كما يجب عليكم ذلك في حق أنفسكم.

ولقول النبي ﷺ: «**كلكم راع ومسئول عن رعيته، الرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته**» رواه البخاري ومسلم وغيرهما. (٣/ ٨٣)

---

(١) وذكره في الكبائر وتبيين المحارم (١٠١، ١٠٢).

(٢) الكبائر وتبيين المحارم (١٠٢).

- وعن أبي بكرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«هلكت الرجال حين أطاعت النساء»** خرجه الحاكم وقال: هذا الحديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه[1].

- وقال الحسن: والله ما أصبح اليوم رجل يطيع امرأته فيما تهوىٰ إلا أكبه الله تعالىٰ في النار.

- وقال ﷺ: **«صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رءوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا»** رواه مسلم وغيره. (٣/ ١٠١)

قوله (كاسيات): أي من نعم الله، (عاريات) من شكرها.

وقيل: هو أن تلبس المرأة ثوبًا رقيقًا يصف لون بدنها.

ومعنىٰ (مائلات) قيل: عن طاعة الله وما يلزمهن حفظه.

(مميلات): أي يعلِّمن غيرهن الفعل المذموم.

وقيل (مائلات): متبخترات مميلات لأكتافهن.

وقيل (مائلات): يمتشطن المشطة الميلاء، وهي مشطة البغايا.

و(مميلات): يمشطن غيرهن تلك المشطة.

(رءوسهن كأسنمة البخت) أي يكبرنها، ويعظمنها بلف عصابة أو عمامة أو نحوهما.

- وعن نافع قال: كان ابن عمر وعبد الله بن عمرو عند الزبير بن عبد المطلب إذ أقبلت امرأة تسوق غنمًا متنكبة قوسًا، فقال عبد الله بن عمر: أرجل أنت أم امرأة؟ فقالت: امرأة، فالتفت إلىٰ ابن عمرو فقال: **«إن الله تعالىٰ لعن علىٰ لسان نبيه المتشبهات من النساء بالرجال، والمتشبهين من الرجال بالنساء»**[2].

- ومن الأفعال التي تلعن عليها المرأة إظهار الزينة والذهب واللؤلؤ من تحت النقاب

---

(١) وأقره الذهبي (٤/ ٢٩١) وعزاه في المقاصد الحسنة (٤٥٦) للمسند.

(٢) المرفوع من هذه الرواية صحيح وقد ذكر في أول الكبيرة، وقد أخرج الرواية بهذا السياق بدر بن الهيثم القاضي (٣٢٨) جمهرة الأجزاء الحديثية، وأفاد محققه أن في إسناده من لا يعرف، والله أعلم.

وتطيبها بالمسك والعنبر والطيب إذا خرجت، ولبسها الصباغات والأزر والحرير والأقبية القصار مع تطويل الثوب وتوسعة الأكمام، إلى غير ذلك إذا خرجت.

- وكل ذلك من التبرج الذي يمقت الله عليه، ويمقتُ فاعله في الدنيا والآخرة، وهذه الأفعال قد غلبت على أكثر النساء.

قال عنهن النبيﷺ: «**واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء**» رواه مسلم[1].

وقالﷺ: «**ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء**» رواه مسلم[2].

فنسأل الله أن يقينا فتنتهن وأن يصلحهن وإيانا بمنِّه وكرمه.

موعظة

ابن آدم

كأنك بالموت وقد فجأك وهجم ... وألحقك بمن سبقك من الأمم.

ونقلك إلى بيت الوحدة والظُلَم ... ومن ذلك إلى عسكر الموتى بخيمة بين الخيم.

مفرقًا من مالك ما اجتمع، ومن شملك ما انتظم، ولا تدفعه بكثرة الأموال ولا بقوة الخدم ونَدِمت على التفريط غاية الندم، فيا عجبًا لعين تنام وطالبها لم ينم.

متى تحذر مما توعد وتهدد؟ ... ومتى تَضرِم نار الخوف في قلبك وتتوقد؟

إلى متى حسناتك تضمحل وسيئاتك تتجدد؟

إلى متى لا يهولك زجر الواعظ وإن شدد؟

إلى متى أنت بين الفتور والتواني تتردد؟

متى تحذر يومًا فيه الجلود تنطق وتشهد؟

متى تترك ما يفنى فيما لا ينفد؟

متى تهب بك في بحر الوجد ريح الخوف والرجاء؟ ... متى تكون في الليل قائمًا إذا سجا؟

---

(١) صحيح مسلم (١٧/ ٥٣).

(٢) صحيح مسلم (١٧/ ٥٤).

أين الذين عاملوا مولاهم وانفردوا؟ وقاموا في الدجى وركعوا وسجدوا؟

وقدموا إلى بابه في الأسحار ووفدوا وصاموا هواجر النهار فصبروا واجتهدوا؟

لقد ساروا وتخلّفت وفاتك ما وجدوا وبَقِيت في أعقابهم وإن لم تلحق بعد

يا نائم الليل كم ترقد قم يا حبيبي قد دنا الموعد

من نام حتى ينقضي ليله لم يبلغ المنزل أو يجهد

فقل لذوي الألباب أهل التقى قنطرة العرض لكم موعد

الكبيرة التاسعة عشرة

إسبال الإزار والثوب واللباس والسراويل تعززًا وعجبًا وفخرًا وخيلاء

- قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾. أي: لا تمشي متبخترًا متكبرًا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨]؛ أي: لأن الله يكره المتكبر الذي يرىٰ العظمة لنفسه ويتكبر علىٰ عباد الله، المتبختر في مشيته، والفخور الذي يفتخر علىٰ غيره[١].

- وقال النبي ﷺ: «**ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار**» رواه البخاري عن أبي هريرة ﷺ. (٣٢٨)

- وعنه قال عليه الصلاة والسلام: «**لا ينظر الله يوم القيامة إلىٰ من جرَّ إزاره بَطرًا**» رواه مالك والبخاري ومسلم. (٣/ ٩٨)

- وعن أبي ذر الغفاري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم**» قال: فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرات، قال أبو ذر: خابوا وخسروا من هم يا رسول الله؟ قال: «**المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب**» رواه مسلم وغيره. (٣/ ٩٨)

المسبل: هو الذي يسبل إزاره أو ثيابه أو سراويله حتىٰ يكون إلىٰ قدميه.

- وفي الحديث أيضًا عن رسول الله ﷺ قال: «**بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مرجل رأسه يختال في مشيته إذ خسف الله به، فهو يتجلجل في الأرض إلىٰ يوم القيامة**» رواه البخاري ومسلم. مرجل: أي ممشط. (٤/ ١٩)

- وقال عليه الصلاة والسلام: «**لا ينظر الله يوم القيامة إلىٰ من جر ثوبه خيلاءً**» رواه مالك والبخاري ومسلم عن ابن عمر ﷺ. (٣/ ٩٨)

---

(١) صفوة التفاسير (١٠٧٨).

- وقال عليه الصلاة والسلام: «**الإسبال في الإزار والقميص والعمامة: من جرَّ شيئًا خيلاءً لم ينظر الله إليه يوم القيامة**» رواه أبو داود والنسائي بإسناد صحيح[1]. (٣٢٩)

- وقال عليه الصلاة والسلام: «**إزرة المسلم إلى نصف الساق ولا حرج -أو لا جناح- فيما بينه وبين الكعبين، ما كان أسفل من الكعبين فهو في النار**» رواه أبو داود بإسناد صحيح[2]. (٣٣٢)

- هذا عام في السراويل والثوب والجبة والقباء والفرجية وغيرها من اللباس، فنسأل الله العافية.

- وعن أبي هريرة ﷺ قال: بينما رجل يصلي مسبل إزاره قال له رسول الله ﷺ: «**اذهب فتوضأ**» فذهب فتوضأ ثم جاء فقال: «**اذهب فتوضأ**» فقال له رجل: يا رسول الله، ما لك أمرته أن يتوضأ؟ ثم سكت عنه قال: «**إنه كان يصلي وهو مسبل إزاره، وإن الله لا يقبل صلاة رجل مسبل**» رواه أبو داود بإسناد صحيح على شرط مسلم[3]. (٣٣٠)

- ولما قال ﷺ: «**من جرَّ ثوبه خيلاءً لم ينظر الله إليه يوم القيامة**» فقال أبو بكر ﷺ: يا رسول الله إن إزاري يسترخي إلا أن أتعاهده، فقال له رسول الله ﷺ: «**إنك لست ممن يفعله خيلاءً**» رواه البخاري. (٣٢٨)

اللهم عاملنا بلطفك الحسن الجميل، برحمتك يا أرحم الراحمين.

---

(١) الكبائر وتبيين المحارم (١٤٣).

(٢) الكبائر وتبيين المحارم (١٤٣).

(٣) كذا قال النووي لكن قال المنذري عن رجل في إسناده: أبو جعفر المدني إن كان محمد بن علي بن الحسين فروايته عن أبي هريرة مرسلة، وإن كان غيره فلا أعرفه (٣/ ١٠٠) وهو في الكبائر وتبيين المحارم (١٤٣-١٤٤).

الكبيرة العشرون

اللطم والنياحة وشق الثوب وحلق الرأس ونتفه والدعاء بالويل والثبور عند المصيبة

- روينا في صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية**». (٥٨٨)

- وروينا في صحيحي البخاري ومسلم عن أبي بردة قال: وَجِع أبو موسى الأشعري ﷺ فغشي عليه ورأسه في حجر امرأة من أهله، فأقبلت تصيح برنة فلم يستطع أن يرد عليها شيئًا، فلما أفاق قال: أنا بريء ممن برئ منه رسول الله ﷺ، إن رسول الله ﷺ برئ من الصالقة والحالقة والشاقة.

الصالقة: التي ترفع صوتها بالنياحة.

والحالقة: التي تحلق شعرها، وتنتفه عند المصيبة.

والشاقة: التي تشق ثيابها عند المصيبة. (٥٨٨)

وكل ذلك حرام باتفاق العلماء، وكذلك يحرم نشر الشعر ولطم الخدود، وخمش الوجه، والدعاء بالويل والثبور.

- وعن أم عطية ﷺ قالت: أخذ علينا رسول الله ﷺ عند البيعة أن لا ننوح. رواه البخاري. (٥٨٩)

- وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت**» رواه مسلم. (٤/ ١٧٦)

- وعن النعمان بن بشير ﷺ قال: أغمي على عبد الله بن رواحة فجعلت أخته تبكي: واجبلاه، وا كذا، وا كذا؛ تُعَدِّدُ عليه، فقال حين أفاق: ما قلت شيئًا إلا قيل لي: أنت كذلك؟ أخرجه البخاري. (٤/ ١٧٦)

- وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**الميت يعذب في قبره بما نيح عليه**».

(٤/ ١٧٥-١٧٦)

- عن أبي موسىٰ ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من ميت يموت، فيقوم باكيهم فيقول واجبلاه واسيداه أو نحو ذلك، إلا وكِّلَ به ملكان يلهزانه: أهكذا أنت؟**» أخرجه الترمذي، وقال: حديث حسن غريب. اللهز: هو الدفع بجميع اليد في الصدر. (٤/ ١٧٦)

- وقال ﷺ: «**النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب**» رواه مسلم وابن ماجه. (٤/ ١٧٧)

- وقال ﷺ: «**وإنما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين: صوت عند نعمة: لهو ولعب ومزامير شيطان، وصوت عند مصيبة: خمش وجوه وشق جيوب ورنة**» رواه الترمذي وقال حديث حسن[1].

- وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: لعن رسولَ الله ﷺ النائحة والمستمعة. رواه أبو داود وليس في إسناده من ترك. (٤/ ١٧٧)

- وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**صوتان ملعونان في الدنيا والآخرة: مزمار عند نعمة، ورنة عند مصيبة**» رواه البزار ورواته ثقات. (٤/ ١٧٧)

- وروي أن هذه النوائح يُجعَلن يوم القيامة صفين في جهنم: صف عن يمينهم وصف عن يسارهم، فينبحن علىٰ أهل النار كما تنبح الكلاب.

- وعن الأوزاعي أن عمر بن الخطاب سمع صوت بكاء فدخل ومعه غيره فمال عليهن ضربًا حتىٰ بلغ النائحة فضربها حتىٰ سقط خمارها وقال: اضرب فإنها نائحةٌ ولا حرمة لها، إنها لا تبكي بشجوكم، إنها تهريق دموعها لأخذ دراهمكم إنها تؤذي موتاكم في قبورهم وأحياءكم في دورهم؛ لأنها تنهىٰ عن الصبر وقد أمر الله به، وتأمر بالجزع وقد نهىٰ الله عنه.

- واعلم أن النياحة: رفع الصوت بالندب، والندب تعديد النائحة بصوتها محاسن الميت، وقيل: هي البكاء عليه مع ذكر محاسنه.

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٢٧٢) وراجع سنن الترمذي (٣/ ٣١٩).

فصل

وإنما كان للنائحة هذا العذاب واللعنة؛ لأنها تأمر بالجزع، وتنهى عن الصبر، والله ورسوله قد أمرا بالصبر والاحتساب، ونهيا عن الجزع والسخط.

- قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٣].

قال عطاء عن ابن عباس يقول: إني معكم أنصركم ولا أخذلكم.

- وقال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].

- وقوله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم ﴾ أي: لنعاملنكم معاملة من يبتلي؛ لأن الله يعلم عاقبة الأمور، فلا يحتاج إلى الابتلاء ليعلم العاقبة، ولكنه يعاملهم معاملة من يبتلي، فمن صبر أثابه على صبره، ومن لم يصبر لم يستحق الثواب.

- وقول الله: ﴿ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ ﴾ قال ابن عباس: يعني خوف العدو، ﴿ وَٱلْجُوعِ ﴾ يعني المجاعة والقحط، ﴿ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ ﴾ يعني الخسران والنقصان في المال وهلاك المواشي، ﴿ وَٱلْأَنفُسِ ﴾ بالموت والقتل، والمرض والشيب، ﴿ وَٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ يعني الجوائح، وأن لا تخرج ثمرة كانت تخرج. ثم ختم الآية بتبشير الصابرين، ليدل على أن من صبر على هذه المصائب كان على وعد الثواب من الله تعالى، فقال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾. ثم نعتهم فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ ﴾ نالتهم نكبة مما ذكر، ولا يقال فيما أصيب بخير مصيبة، ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ ﴾ أي: عبيد الله فيصنع بنا ما يشاء، ﴿ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾: إقرار بالهلاك والفناء ومعنى الرجوع إلى الله: الرجوع إلى انفراده بالحكم إذ قد ملك في الدنيا قوم الحكم، فإذا زال حكم العباد رجع الأمر إلى الله عز وجل، وقوله: ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ الصلاة في الأصل الدعاء ومن الله تعالى التزكية والمغفرة وجمعها للتنبيه على

كثرتها وتنوعها، ﴿ وَرَحْمَةٌ ﴾ أي لطف وإحسان[1] ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ يريد الذين اهتدوا للترجيع، وقيل: إلى الجنة والثواب.

– وعن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: نعم العدلان، ونعمت العلاوة[2]، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ فهذان العدلان ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ فهذه العلاوة.

– وقال سعيد بن جبير: لقد أُعطيت هذه الأمة عند المصيبة ما لم تُعط الأنبياء قبلهم ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ ولو أعطيه الأنبياء عليهم السلام لأعطيه يعقوب عليه السلام إذ يقول: ﴿ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ [يوسف: ٨٤].

– قال العلماء: ويحرم رفع الصوت بإفراط بالبكاء، وأما البكاء على الميت من غير ندب ولا نياحة فليس بحرام.

روينا في صحيحي البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ عاد سعد بن عبادة، ومعه عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود ﷺ فبكى رسول الله ﷺ فلما رأى القوم بكاء رسول الله ﷺ بكوا فقال: «**ألا تسمعون؟ إن الله لا يعذب بدمع العين، ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا أو يرحم**» وأشار إلى لسانه ﷺ (٣٦٤).

– وروينا في صحيحيهما عن أسامة بن زيد أن رسول الله ﷺ رفع إليه ابن ابنته وهو في الموت، ففاضت عينا رسول الله ﷺ فقال له سعد: ما هذا يا رسول الله؟ قال: «**هذه رحمة جعلها الله تعالى في قلوب عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماء**». (٣٦٤)

– وروينا في صحيح البخاري عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ دخل على ابنه إبراهيم ﷺ وهو يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله؟ فقال: «**يا ابن عوف إنها رحمة**» ثم أتبعها بأخرى فقال: «**إن العين لتدمع**

---

(١) تفسير البيضاوي (٣٨).

(٢) العدل (بكسر العين): نصف الحِمل يكون على أحد جنبي البعير والجمع أعدال وعدول كما في اللسان (عدل).

والعلاوة (بكسر العين): ما يحمل على البعير وغيره، وهو ما وضع بين العدلين قيل: علاوة كل شيء ما زاد عليه كما في اللسان (علا).

والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا لفراقك يا إبراهيم محزونون». (٣٦٤)

- وأما الأحاديث الصحيحة: أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه: فليست على ظاهرها وإطلاقها، بل هي مؤولة.

واختلف العلماء في تأويلها على أقوال: أظهرها والله أعلم أنها محمولة على أن يكون له سبب في البكاء، إما أن يكون أوصاهم به، أو غير ذلك.

- ويجوز قبل الموت، وبعده، ولكن قبله أولى للحديث الصحيح: فإذا وجبت فلا تبكين باكية.

وقد نص الشافعي والأصحاب أنه يكره البكاء بعد الموت كراهة تنزيه، ولا يحرم وتأولوا حديث: «**فلا تبكين باكية**» على الكراهة والله أعلم.

فصل
في التعزية

- عن عمرو بن حزم عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما من مؤمن يعزي أخاه بمصيبة إلا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة**» رواه ابن ماجه[1].

- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة رضي الله عنها: «**ما أخرجك يا فاطمة من بيتك؟**» قالت: أتيت يا رسول الله أهل هذا الميت، فرحمت إليهم ميتهم أو عزيتهم به. رواه أبو داود والنسائي، وفي إسناده ربيعة بن سيف من تابعي أهل مصر، فيه مقال لا يقدح في حسن الإسناد. (٤/ ١٨١)

- وروي: «**من عَزَّى مصابا فله مثل أجره**».

- وروي كذلك: «**أن من عزى ثكلى كُسي بردا من الجنة**».

- واعلم -رحمك الله- أن التعزية هي التصبير، وذِكر ما يسلي صاحبِ الميت، ويخفف

(١) قال البوصيري (١/ ٥١١): في إسناده قيس أبو عمارة، ذكره ابن حبان في الثقات وقال الذهبي في الكاشف: ثقة، وقال البخاري: فيه نظر، وباقي رجاله على شرط مسلم اهـ قلت: فإسناده حسن إن شاء الله. وقد حسن النووي إسناده في الأذكار (١٣٥).

حزنه، ويهون مصيبته وهي مستحبة لأنها مشتملة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وهي داخلةٌ في قول الله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة: ٢]. وهذا أحسن ما يستدل به في التعزية.

واعلم أن التعزية وهي الأمر بالصبر مستحبة قبل الدفن وبعده.

قال أصحاب الشافعي: [يدخل وقت التعزية] من حين يموت الميت، وتبقى بعد الدفن إلى ثلاثة أيام.

قال أصحابنا: وتكره التعزية بعد ثلاثة أيام لأن التعزية تسكن قلب المصاب.

والغالب: سكون قلبه بعد الثلاثة، فلا يجدد له الحزن.

هكذا قاله الجماهير من أصحابنا.

وقال أبو العباس من أصحابنا: لا بأس بالتعزية بعد ثلاثة أيام، بل تبقى أبدًا وإن طال الزمان.

قال النووي[1] رحمه الله: والمختار أنها لا تُفعل بعد ثلاثة أيام إلا في صورتين استثناهما أصحابنا: وهما إذا كان المعزي أو صاحب المصيبة غائبًا حال الدفن واتفق رجوعه بعد ثلاثة أيام.

- والتعزية بعد الدفن أفضل منها قبله، لأن أهل الميت مشغولون بتجهيزه، ولأن وحشتهم بعد دفنه لفراقه أكثر.

هذا إذا لم يُر منهم جزعًا، فإن رآه قدم التعزية ليسكنهم، والله أعلم.

- ويكره الجلوس للتعزية، يعني أن يجتمع أهل الميت في بيت ليقصدهم من أراد التعزية [بل ينبغي أن ينصرفوا في حوائجهم، ولا فرق بين الرجال والنساء في كراهة الجلوس لها].

- ولفظ التعزية مشهور.

---

(١) قال النووي: وأما لفظ التعزية فلا حَجْرَ فيه، فبأي لفظ عزاه حصلت واستحب أصحابنا أن يقول في تعزية المسلم بالمسلم: أعظم الله أجرك وأحسن عزاءك وغفر لميتك. وفي تعزية المسلم بالكافر: أعظم الله أجرك وأحسن عزاءك. وفي تعزية الكافر بالمسلم: أحسن الله عزاءك وغفر لميتك. وفي تعزية الكافر بالكافر: أخلف الله عليك، اهـ الأذكار (١٢٧).

وأحسن ما يعزىٰ به: ما روينا في الصحيحين عن أسامة بن زيد ﷺ قال: أرسلت إحدىٰ بنات النبي ﷺ إليه تدعوه وتخبره أن صبيًّا لها أو ابنًا في الموت فقال ﷺ للرسول: «**ارجع إليها فأخبرها: أن لله تعالى ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى، فمرها فلتصبر ولتحتسب**» وذكر تمام الحديث. (٣٦٣)

- قال النووي رحمه الله: فهذا الحديث من أعظم قواعد الإسلام المشتملة علىٰ مهمات كثيرة من أصول الدين وفروعه، والآداب والصبر علىٰ النوازل كلها، والهموم والأسقام ومعنىٰ قوله ﷺ: «**إن لله ما أخذ**» أن العالم كله ملك لله، فلم يأخذ ما هو لكم، بل أخذ ما هو له عندكم في معنىٰ العارية.

وقوله «**وله ما أعطى**»: ما وهب لكم ليس خارجًا عن ملكه، بل هو له سبحانه، يفعل فيه ما يشاء «**وكل شيء عنده بأجل مسمى**» يعني: فلا تجزعوا، فإن من قبضه فقد انقضىٰ أجله المسمىٰ، فمحال تأخيره أو تقديمه عنه، فإذا علمتم هذا كله فاصبروا واحتسبوا ما نزل بكم، والله أعلم.

- وقال علي ﷺ للأشعث بن قيس: إنك إن صبرت إيمانًا واحتسابًا، وإلا سلوت كما تسلو البهائم.

- وكتب حكيم إلىٰ رجل قد أصيب بمصيبة: إنك قد ذهب منك ما رزئت به، فلا يذهبن عنك ما عُوضت به، وهو الأجر.

- وقال آخر: العاقل يصنع أول يوم من أيام المصيبة ما يفعله الجاهل بعد خمسة أيام، قلت: قد علم أن مر الزمان يسلي المصاب، فلذلك أمر الشارع بالصبر عند الصدمة الأولىٰ.

- وبلغ الشافعي ﷺ أن عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله مات له ابن فجزع عليه عبد الرحمن جزعًا شديدًا، فبعث إليه الشافعي رحمه الله يقول: يا أخي عزِّ نفسك بما تعزي به غيرك، واستقبح من فعلك ما تستقبحه من فعل غيرك، واعلم أن أمضىٰ المصائب فقدُ سرور وحرمان أجر، فكيف إذا اجتمعا مع اكتساب وزر؟

فتناول حظك يا أخي إذا قرب منك قبل أن تطلبه وقد نأىٰ عنك. ألهمك الله عند المصائب صبرًا، وأحرز لنا ولك بالصبر أجرًا.

وكتب إليه يقول:

إني معزيـــك لا أني عـــلى ثقـــة　　مـــن الحيـــاة، ولكـــن سـنة الــدين

فـــما المعـــزي ببـــاقٍ بعـــد ميّتـــه　　ولا المعـــزى ولـــو عاشـــا إلى حـــين

- وكتب رجل إلى بعض إخوانه يعزيه بابنه:

أما بعد، فإن الولد على والده ما عاش حزنٌ وفتنةٌ، فإذا قدم فصلاة ورحمة، فلا تحزن على ما فاتك من حزنه وفتنته، ولا تضيع ما عوضك الله تعالى من صلاته ورحمته.

- وقال موسى بن المهدي لإبراهيم بن سلمة وعزاه بابنه: أسَرَّك وهو بليةٌ وفتنةٌ، وأحزنك وهو صلاةٌ ورحمةٌ.

- وعزى رجل رجلًا فقال: إن من كان لك في الآخرة أجرًا خيرٌ ممن كان في الدنيا سرورًا وفرحًا.

- وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه دفن ابنًا له ثم ضحك عند القبر فقيل له: أتضحك عند القبر؟ فقال: أردت أن أرغم الشيطان.

- وعن ابن جريج رحمه الله قال: من لم يتعزَّ عند مصيبته بالأجر والاحتساب سلا كما تسلو البهائم.

- وعن حميد بن الأعرج قال: رأيت سعيد بن جبير رحمه الله يقول في ابنه ونظر إليه: إني أعلم خير خلة فيك، قيل: ما هي؟ قال: يموت فأحتسبه.

- وعن الحسن البصري رحمه الله أن رجلًا حزن على ولد له وشكا ذلك إليه، فقال الحسن: كان ابنك يغيب عنك؟ قال: نعم، كانت غيبته أكثر من حضوره، قال: فاتركه غائبًا، فإنه لم يغب عنك غيبةً كان الأجر لك فيها أعظم من هذه، فقال: يا أبا سعيد هونت عني وجدي على ابني.

- ودخل عمر بن عبد العزيز على ابنه في وجعه فقال: يا بني كيف تجدك؟ قال: أجدني في الحق، قال: يا بني لأن تكون في ميزاني أحب إلي من أكون في ميزانك؟ قال: يا أبت لأن يكون ما تحب أحب إلي من أن يكون ما أحب.

- ومات ابن الإمام الشافعي فأنشد يقول:

وما الدهر إلا هكذا فاصبر له رزية مال أو فراق حبيب

- [وقدم عروة بن الزبير على الوليد بن عبد الملك ومعه ابنه محمد، وكان من أحسن الناس وجهًا، فدخل يومًا على الوليد في ثياب وشي[1] وله غديرتان وهو يضرب بيده، فقال الوليد: هكذا تكون فتيان قريش، فعانه[2] فخرج من عنده متوسنًا[3]، فوقع في اصطبل الدواب، فلم تزل الدواب تطأه بأرجلها حتى مات][4].

- ووقعت في رجل عروة الأكلة[5] فقطعها من الساق ولم يمسكه أحد، وهو شيخ كبير، ولم يدع ورده تلك الليلة إلَّا أنه قال: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾.

وتمثل بهذه الأبيات:

لعمري ما أهويت كفي لريبة ولا نَقَلتني نحو فاحشة رجلي

ولا قادني سمعي ولا بصري لها ولا دلني رأيي عليها ولا عقلي

وأعلم أني لم تصبني مصيبة من الدهر إلّا قد أصابت فتىً قبلي

وقال ﷺ: اللهم إن كنت ابتليت فقد عافيت، وإن كنت أخذت فقد أبقيت، أخذت عضوًا وأبقيت أعضاءً، وأخذت ابنًا وأبقيت أبناءً.

- وقدم على الوليد في تلك الليلة رجل أعمى من بني عبس، فسأله عن عينيه، فقال: بت ليلةً في بطن واد، ولم أعلم في الأرض عبسيًا يزيد ماله على مالي، فَطَرقنا سيل، فذهب بما كان لي من مال وأهل وولد غير بعير وصبي، وكان البعير صعبًا فند (أي شرد) فاتبعته،

---

(١) وشيت الثوب من باب وعد رقمته ونقشته فهو موشي (٨٢٦)، المصباح.
والحائك واشٍ يشي الثوب وشيًا، وشيه: حسَّنه، ووشاه: نمنمه ونقشه وحسَّنه، اللسان (وشي).

(٢) العين: أن تصيب الإنسان بعين، وعان الرجل بعين عينًا فهو عائنٌ، يقال: أصابت فلانًا عين إذا نظر إليه عدو أو حسود فأثرت فيه فمرض بسببها كما في اللسان (عين).

(٣) وسن الرجل فهو وسن، أي غشي عليه، كما في اللسان (وسن).

(٤) الزيادة من عدة الصابرين (٩١).

(٥) الأكلة (مقصورة): داء يقع في العضو فيأتكل منه، اللسان (أكل).

فما جاوزت الصبي بيسير حتى سمعت صوت فجاء الصبي[1] فرجعت [إليه][1] فإذا رأس [الذئب][1] في بطنه[يأكله][1] فقتلته، ثم اتبعت البعير لآخذه فنفحني[2] برجله فأصاب وجهي فحطمه وأذهب عيني، فأصبحت لا أهل لي ولا مال ولا ولد ولا بعير، فقال الوليد: انطلقوا به إلى عروة ليعلم أن في الأرض من هو أشد منه بلاءً.

- وذكر أن عثمان ﷺ لما ضُرِبَ جعل يقول والدماء تسيل على لحيته: (لا إله إلَّا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، اللهم إني أستعين بك عليهم وأستعينك على جميع أموري وأسألك الصبر ما بليتني).

- وقال المدائني: (رأيت بالبادية امرأةً لم أرَ جلدًا أنضر منها ولا أحسن وجهًا منها فقلت: تالله إن فعل هذا بك الاعتدال والسرور، فقالت: كلا والله إن لبدع أحزان وخلف هموم وسأخبرك: كان لي زوج، وكان لي منه ابنان، فذبح أبوهما شاة في يوم أضحى والصبيان يلعبان، فقال الأكبر للأصغر، أتريد أن أريك كيف ذبح أبي الشاة؟ قال: نعم، فذبحه، فلما نظر إلى الدم جزع، ففزع نحو الجبل، فأكله الذئب، فخرج أبوه في طلبه، فتاه فمات عطشًا، فأفردني الدهر، فقلت لها: وكيف أنت والصبر؟ فقالت: لو دام لدمت له، ولكنه كان جرحًا فاندمل.

فصل

- وروى مسلم عن أبي حسان قال: قلت لأبي هريرة ﷺ: (إنه قد مات لي ابنان فما أنت محدثي عن رسول الله ﷺ بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا؟ قال: نعم، **صغارهم دعاميص[3] الجنة، يتلقى أحدهم أباه -أو قال: أبويه- فيأخذ بثوبه -أو قال: بيده- كما آخذ أنا بصنفة ثوبك هذا فلا يتناهى -أو قال: فلا ينتهي- حتى يُدخله الله وأباه الجنة)**.

- وعن معاوية بن قرة بن إياس عن أبيه ﷺ: (أن رجلًا كان يأتي النبي ﷺ ومعه ابن له،

---

(١) الزيادة من الزواجر (٢١٥)، وكتاب التعازي (٤٥).

(٢) نفحت الدابة تنفح نفحًا، وهي نفوح: رمحت برجلها ورمت بحدِّ حافرها ودفعت، كما في اللسان (نفح).

(٣) دعاميص: واحدها دُعموص، أي: صغار أهلها، وأصل الدعموص دويبة تكون في الماء لا تفارقه، أي إن هذا الصغير في الجنة لا يفارقها، قاله النووي (١٦/ ١٨٢).

فقال النبي ﷺ: «**أتحبه؟**» قال: نعم يا رسول الله أحبك الله كما أحبه، ففقده النبي ﷺ، فقال: «**ما فعل فلان بن فلان؟**» قالوا: يا رسول الله مات، فقال النبي ﷺ لأبيه: «**ألا تحب أن لا تأتي بابًا من أبواب الجنة، إلَّا وجدته ينتظرك؟**» فقال رجل: يا رسول الله أله خاصة أم لكلنا؟ قال: «**بل لكلكم**» رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، والنسائي. (٣/ ٩٢)

- وعن معاذ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مسلمين يتوفى لهما ثلاثة من الولد إلَّا أدخلهما الله الجنة بفضل رحمته إياهما**»، فقالوا: يا رسول الله أو اثنان؟ قال: «**أو اثنان**»، قالوا: أو واحد، قال: «**أو واحد**»، ثم قال: «**والذي نفسي بيده إن السقط ليجر أمه بسرره[1] إلى الجنة إذا احتسبته**» رواه أحمد والطبراني، وإسناد أحمد حسن أو قريب من الحسن.
(٣/ ٩٢)

- عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :«**من كان له فرطان من أمتي أدخله الله بهما الجنة**».

فقالت عائشة: فمن كان له فرط من أمتك؟ قال: «**ومن كان له فرط يا موفقة**» قالت: فمن لم يكن له فرط من أمتك قال: «**فأنا فرط أمتي، لن يصابوا بمثلي**» رواه الترمذي [2].

- وعن وكيع قال: كان لإبراهيم الحربي ابنٌ، وكان له إحدىٰ عشرة سنة، حفظ القرآن وتفقه من الفقه والحديث شيئًا كثيرًا، فمات، فجئت أعزيه، قال لي: كنت أشتهي موت ابني هذا، قلت: يا أبا إسحاق أنت عالم الدنيا تقول مثل هذا، قد أنجب وحفظ القرآن وتفقه الفقه والحديث!! قال: نعم، رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت، وكان صبيانًا في أيديهم قلال ماء يستقبلون الناس يسقونهم، وكان اليوم يومًا حارًّا؛ شديدٌ حره، قال: فقلت لأحدهم اسقني من هذا الماء، قال: فنظر إليَّ وقال لي: لست أنت أبي، فقلت: ومن أنتم؟ قال: نحن الصبيان الذين متنا في الإسلام وخلفنا آباءنا نستقبلهم فنسقيهم الماء، قال: فلهذا تمنيت موته.

---

(١) هو ما تقطعه القابلة، وما بقي بعد القطع فهو السرة.

(٢) سنن الترمذي (٣/ ٣٦٧) وقال حديث حسن غريب، وأحمد (٥/ ٣٩) المسند، وصححه الشيخ شاكر.

حكاية

- روىٰ مالك بن دينار (رحمه الله تعالىٰ) أنه سئل عن سبب توبته فقال: (كنت في أول أمري مكبًّا علىٰ اللهو وشرب الخمر، فاشتريت جاريةً اتسرىٰ بها، وولدت لي بنتًا، فأحببتها حبًّا شديدًا، إلىٰ أن دبت ومشت، فكنت إذا جلست لشرب الخمر جاءت وجذبتني عليه فأهرقته[1] بين يدي، فلما بَلَغت من العمر سنتين ماتت فأكمدني حزنها.

قال: فلما كان ليلة النصف من شعبان بتُّ وأنا ثملٌ من الخمر، فرأيت في النوم كأن القيامة قد قامت، وخرجت من قبري وإذا بتنين قد تبعني يريد أكلي، (والتنين الحية العظيمة)، قال: فهربت منه فتبعني، وصار كلما أسرعت يهرع خلفي، وأنا خائف منه، فمررت في طريقي علىٰ شيخ نقي الثياب، ضعيف، فقلت: يا شيخ بالله أجرني من هذا التنين الذي يريد أكلي وإهلاكي، فقال: يا ولدي أنا شيخ كبير، وهذا أقوىٰ مني، ولا طاقة لي به، ولكن مر وأسرع فلعل الله أن ينجيك منه.

قال: فأسرعت في الهرب وهو ورائي، فأشرفت علىٰ طبقات النار، وهي تفور، فكدت أن أهوي فيها، وإذا قائل يقول: لست من أهلي فرجعت هاربًا والتنين في أثري، فأشرفت علىٰ جبل مستنير، وفيه طاقاتٌ، وعليها أبوابٌ وستورٌ، وإذا بقائل يقول: أدركوا هذا البائس قبل أن يدركه عدوه، ففتحت الأبواب ورفعت الستور، وأشرفت عليَّ منها أطفال بوجوه كالأقمار، وإذا ابنتي معهم، فلما رأتني نزلت إلىٰ كفة من نور، وضربت بيدها اليمنىٰ إلىٰ التنين فولىٰ هاربًا، وجلست في حجري، وقالت: يا أبت: ﴿**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ**﴾ [الحديد: ١٦].

فقلت: يا بنية، وأنتم تعرفون القرآن؟ قالت: نحن أعرف به منكم.

قلت: يا بنية، ما تصنعون ههنا؟

قالت: نحن من مات من أطفال المسلمين أسكنا ههنا إلىٰ يوم القيامة ننتظركم تقدِمون علينا.

فقلت: يا بنية ما هذا التنين الذي يطاردني ويريد إهلاكي؟

---

(١) فأهرقته - هرق (بالفتح) هرقًا: صبه، الوجيز (٦٤٨).

قالت: يا أبت ذلك عملك السوء قوَّيته فأراد إهلاكك.

قلت: ومن ذلك الشيخ الضعيف الذي رأيته؟

قالت: ذلك عملك الصالح أضعَفته حتى لم يكن له طاقة بعملك السوء، فتب إلى الله ولا تكن من الهالكين.

قال: ثم ارتفعت عني واستيقظت، فتبت إلى الله من ساعتي.

- فانظر رحمك الله إلى بركة الذرية إذا ماتوا صغارًا ذكورًا كانوا أو إناثًا، وإنما يحصل للوالدين النفع بهما في الآخرة إذا صبروا واحتسبوا، وقالوا الحمد لله، إنا لله وإنا إليه راجعون، فيحصل لهم ما وعد الله تعالى [على ذلك من الصلوات والرحمة].

فصل

- عن سابط الجمحي قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصيبته بي فإنها أعظم المصائب**»[1].

- وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من مصيبة تصيب المسلم إلَّا كفر الله عنه بها حتى الشوكة يشاكها**» رواه مسلم. (٤/ ١٤٨)

- وفي الحديث: «**وما أعطي أحد عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر**» متفق عليه (٢٥)

- وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرًا منها: إلَّا آجره الله في مصيبته وأخلف له خيرًا منها**».

قالت: فلما توفي أبو سلمة، قلت: من خير من أبي سلمة صاحب رسول الله ﷺ؟ ثم عزم الله لي[2] فقلتها، قالت: فتزوجت رسول الله ﷺ. رواه مسلم[3].

---

(١) قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير وفيه أبو بردة عمرو بن يزيد، وثقه ابن حبان وضعفه غيره (٣/ ٢)، وقال المناوي: له شواهد (١/ ٢٨٦).

(٢) قال القاضي عياض: معناه: خلق لي عزمًا وقوة وتوطين نفس على ذلك قال الله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، أي القوة (٢/ ٨٠)، مشارق الأنوار.

(٣) مسلم (٢/ ١٣٣).

- وفي الصحيحين عن أنس ﷺ قال: مر النبي ﷺ على امرأة تبكي عند قبر فقال: «**اتقي الله واصبري**» فقالت: إليك عني؛ فإنك لم تُصَب بمصيبتي -ولم تعرفه- فقيل لها: إنه النبي ﷺ، فأتت باب النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك، فقال: «**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**». (٣٠)

أي: إنما يجمل الصبر عند مفاجأة المصيبة، وأما فيما بعد، فيقع السلو طبعًا.

- وفي صحيح مسلم[1] عن أنس قال: مات ابن لأبي طلحة من أم سليم، فقالت لأهلها لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه، قال: فجاء، فقربت إليه عشاءً فأكل وشرب، فقال: ثم تصنعت له أحسن ما كان تصنع قبل ذلك، فوقع بها، فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها، قالت: يا أبا طلحة أرأيت لو أن قومًا أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم، ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا، قالت: فاحتسب ابنك، قال: فغضب، وقال: تركتني حتى تلطخت ثم أخبرتني بابني، فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان، فقال رسول الله ﷺ: «**بارك الله لكما في غابر ليلتكما**» فذكر الحديث.

- وقال رسول الله ﷺ: «**إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة وسموه بيت الحمد**». رواه الترمذي وحسَّنه، وابن حبان في صحيحه. (٤/ ١٧٠)

- وعن رسول الله ﷺ قال: «**يقول الله تعالى: ما لعبدي المؤمن -عندي- جزاءٌ إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلَّا الجنة**» رواه البخاري. (٣٠)

- وروي (أن من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله، ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله) رواه الترمذي مرفوعًا وضعفه[2].

---

(١) صحيح مسلم (٤/ ١٩٠٩).

(٢) سنن الترمذي (٤/ ٤٥٦).

- وروي: أنه ما أصاب رجلًا من المسلمين بلية فما فوقها إلَّا لإحدىٰ خصلتين: إمَّا ليغفر الله له من الذنوب ذنبًا لم يكن ليغفر له إلَّا بمثل ذلك، أو يبلغ من الكرامة كرامةً لم يكن ليبلغها إلَّا بمثل ذلك.

- وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: إذا قبض ملك الموت ﷺ روح المؤمن قام علىٰ الباب، ولأهل البيت ضجة، فمنهم الصاكة وجهها، ومنهم الناشرة شعرها ومنهم الداعية بويلها، فيقول ملك الموت ﷺ: مم هذا الجزع، ولم هذا الفزع؟ فوالله ما انتقصت لأحد منكم عمرًا، ولا ذهبت لأحد منكم برزق، ولا ظلمت لأحد منكم شيئًا.

فإن كانت شكايتكم وسخطكم عليَّ، فإني والله مأمور، وإن كان علىٰ ميتكم؛ فإنه مقهورٌ، وإن كان علىٰ ربكم، فأنتم به كافرون، وإن لي بكم عودة بعد عودة، حتىٰ لا أُبقي منكم أحدًا.

- وعن الشعبي أن شريحًا قال: إني لأصاب المصيبة فأحمد الله عليها أربع مرات، أحمده إذ لم يكن أعظم منها، وأحمده إذ رزقني الصبر عليها، وأحمده إذ وفقني للاسترجاع لما أرجو من الثواب، وأحمده إذ لم يجعلها في ديني.

- وأما إذا سخط صاحب المصيبة ودعا بالويل والثبور أو لطم خدًّا أو شق جيبًا أو نشر شعرًا أو حلقه أو قطعه أو نتفه فله السخط من الله تعالىٰ وعليه اللعنة؛ رجلًا كان أو امرأة.

- وقد روي أيضًا أن الضرب علىٰ الفخذ عند المصيبة يحبط الأجر، وقد روي أن من أصابته مصيبة فخرق عليها ثوبًا أو لطم أو شق جيبًا أو نتف شعرًا فكأنما أخذ رمحًا يريد أن يحارب ربه.

وقد تقدم أن الله عز وجل لا يعذب ببكاء العين ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا -يعني ما يقوله صاحب المصيبة بلسانه يعني من الندب والنياحة-

وقد تقدم أن الميت يُعذَّب في قبره بما نيح عليه؛ إذا قالت النائحة: واعضداه، واناصراه، واكاسياه، جُبِذ الميت، وقيل له: أنت عضدها؟! أنت ناصرها؟! أنت كاسيها؟!

فالنوح حرام؛ لأنه مهيج للحزن، ودافع عن الصبر، وهو مخالف للتسليم للقضاء، والإذعان لأمر الله تعالىٰ.

حكاية

قال صالح المري: كنت ذات ليلة جمعة بين المقابر، فنمت، وإذا بالقبور قد شققت، وخرج الأموات منها، وجلسوا حلقًا حلقًا، ونزلت عليهم أطباق مغطاة، وإذا فيهم شاب يعذب بأنواع العذاب من بينهم، قال: فتقدمت إليه، وقلت: يا شاب، ما شأنك تعذب بين هؤلاء القوم؟ فقال: يا صالح، بالله عليك بلغ ما آمرك به، وأدِّ الأمانة، وارحم غربتي، لعل الله عز وجل أن يجعل لي على يديك مخرجًا، إني لما مت ولي والدة جمعت النوادب والنوائح يندبن عليَّ، وينحن كل يوم، فأنا معذب بذلك، النار عن يمني وعن شمالي وخلفي وأمامي لسوء مقال أمي، فلا جزاها الله عني خيرًا، ثم بكى حتى بكيت لبكائه، ثم قال: يا صالح، بالله عليك، اذهب إليها فهي في المكان الفلاني وعَلَّم لِي المكان، وقل لها: لم تعذبين ولدك يا أماه، ربيتني ومن الأسواء وقيتني، فلما مت في العذاب رميتني، يا أماه: لو رأيتني: الأغلال في عنقي، والقيد في قدمي، وملائكة العذاب تضربني وتنهرني، فلو رأيتِ سوء حالي لرحمتني، وإن لم تتركي ما أنت عليه من الندب والنياحة الله بيني وبينك يوم تشقق سماءٌ عن سماء، ويبرز الخلائق لفصل القضاء.

قال صالح: فاستيقظت فزعًا ومكثت في مكاني قلقًا إلى الفجر، فلما أصبحت دخلت البلد ولم يكن لي هم إلَّا الدار التي لأم الصبي الشاب، فاستدللت عليها فأتيتها، فإذا الباب مسود، وصوت النوادب والنوائح خارج من الدار، فطرقت الباب، فخرجت إلى عجوز، فقالت ما تريد يا هذا؟ فقلت: أريد أم الشاب الذي مات، فقالت: وما تصنع بها، هي مشغولة بحزنها، فقلت: أرسليها إليَّ معي رسالةٌ من ولدها، فدخلت فأخبرتها، فخرجت؛ أمٌّ عليها ثياب سود، ووجهها قد اسود من كثرة البكاء واللطم، فقالت لي: من أنت؟ قلت: أنا صالح المري، جرى لي البارحة في المقابر مع ولدك كذا وكذا، رأيته في العذاب وهو يقول: يا أمي ربيتني ومن الأسواء وقيتني، فلما مت في العذاب رميتني، وإن لم تتركي ما أنت عليه، الله بيني وبينك يوم تشقق سماء عن سماء، فلما سمعت ذلك غشي عليها وسقطت إلى الأرض، فلما أفاقت بكت بكاء شديدًا، وقالت: يا ولدي يعز علي، ولو علمت ذلك بحالك ما فعلت وأنا تائبة إلى الله تعالى من ذلك ثم دخلت وصرفت النوائح ولبست غير تلك الثياب، وأخرجت إلي كيسًا فيه دراهم كثيرة وقالت: يا صالح تصدق

بهذه عن ولدي، قال صالح: فودعتها ودعوت لها، وانصرفت وتصدقت عن ولدها بتلك الدراهم، فلما كان ليلة الجمعة الأخرى، أتيت إلى المقابر على عادتي، فنمت فرأيت أهل القبور قد خرجوا من قبورهم وجلسوا على عادتهم، وأتتهم الأطباق، وإذا ذلك الشاب ضاحك فرح مسرور، فجاءه أيضًا طبق فأخذه، فلما رآني جاء إليَّ فقال: يا صالح، جزاك الله عني خيرًا، خفف الله عني العذاب، وذلك بترك أمي ما كانت تفعل وجاءني ما تصدقت به عني، قال صالح: فقلت: وما هذه الأطباق، فقال هذه هدايا الأحياء لأمواتهم من الصدقة والقراءة والدعاء ينزل عليهم كل ليلة جمعة يقال له: هذه هدية فلان إليك، فارجع إلى أمي، وأقرئها مني السلام، وقل لها جزاها الله عني خيرًا، قد وصل إلي ما تصدقت به عني، وأنت عندي عن قريب فاستعدي، قال صالح: ثم استيقظت وأتيت بعد أيام إلى دار أم الشاب وإذا بنعش موضوع على الباب، فقلت لمن هذا، فقالوا لأم الشاب، فحضرت الصلاة عليها ودُفنت إلى جانب ولدها بتلك المقبرة، فدعوت لها وانصرفت.

فنسأل الله أن يتوفانا مسلمين، ويلحقنا بالصالحين، ويعصمنا من النار، إنه جواد كريم رءوف رحيم.

الكبيرة الحادية والعشرون
منع الزكاة

- قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

- وقال تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [فصلت: ٦-٧].

- وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥].

وإنما خصَّ الجباه، والجنوب، والظهور بالكي؛ لأن الغني البخيل إذا رأى الفقير عبس وجهه، وزوى ما بين عينيه[1] وأعرض بجنبه، فإذا قرب منه ولى بظهره.

فعوقب بكي هذه الأعضاء ليكون الجزاء من جنس العمل.

- وثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلَّا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبنيه وظهره، كلما بردت أُعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يُقضى بين العباد، فيرى سبيله إمَّا إلى الجنة، وإما إلى النار»**.

قيل: يا رسول الله فالإبل؟

قال: **«ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها -ومن حقها حلبُها يوم وردها- إلَّا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أوفر ما كانت، لا يفقد فصيلًا واحدًا تطؤه أخفافها وتعضه بأفواهها، كلما مرَّ عليه أولاها رد عليه أخراها، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي بين العباد فيرى سبيله إمَّا إلى الجنة، وإما إلى النار»**.

قيل: يا رسول الله فالبقر والغنم؟

---

(١) زَوَى الشيءَ: طواه وجمعه وقبضه، كذا في المعجم الوجيز (٢٩٧).

قال: «**ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي منها حقها، إلَّا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيئًا ليس فيه عقصاء، ولا جلحاء، ولا عصباء تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها، كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إمَّا إلى الجنة وإما إلى النار**» متفق عليه، وهذا لفظ مسلم. (٤٤٢)

القاع: المكان المستوي من الأرض.

والقَرقَر (بقافين مفتوحتين): الأملس.

والظلف (للبقر والغنم): بمنزلة الحافر للفرس.

والعقصاء: هي الملتوية القرن.

والجلحاء: هي التي ليس لها قرن.

والعضباء: المكسورة القرن. (١/ ٢٦٧)

- وقال ﷺ: «**وأما أول ثلاثة يدخلون النار: فأمير مسلط، وذو ثروة من مال لا يؤدي حق الله تعالى في ماله، وفقير فخور**» صححه ابن حبان وابن خزيمة. (١/ ٢٦٨)

- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (من كان له مال يبلِّغه حج بيت الله تعالى ولم يحج، أو تجب فيه الزكاة ولم يزكِّ سأل الرجعة عند الموت).

فقال له رجل: اتقِ الله يا بن عباس، فإنما يسأل الرجعة الكفار.

فقال ابن عباس: سأتلو عليك بذلك قرآنًا:

قال الله تعالى: ﴿ **وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ** ﴾، (أي: أؤدي زكاة مالي). ﴿ **وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ** ﴾ [المنافقون: ١٠] أي: أحج.

قيل: فما يوجب الزكاة؟ قال: إذا بلغ المال مائتي درهم وجبت فيه الزكاة.

قيل: فما يوجب الحج؟ قال: الزاد والراحلة.

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «**من آتاه الله مالًا فلم يؤدِّ زكاته مُثِّل له يوم**

القيامة شجاعًا أقرع، له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلِهزِمَتَيهِ -يعني شدقيه- ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك، ثم تلا هذه الآية: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [آل عمران: ١٨٠]» أخرجه البخاري. (١/ ٢٦٩)

والشجاع: هو الحية، وقيل الذكر خاصة.

والأقرع منه: الذي ذهب شعر رأسه من طول عمره.

- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**خمس بخمس**».

قيل: يا رسول الله ما خمس بخمس؟

قال: «**ما نقض قوم العهد إلَّا سُلط عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلَّا فشا فيهم الفقر، ولا ظهرت فيهم الفاحشة إلَّا فشا فيهم الموت، ولا منعوا الزكاة إلَّا حُبس عنهم القَطر، ولا طففوا المكيال إلَّا حُبس عنهم النبات وأُخذوا بالسنين**» رواه الطبراني في الكبير - وسنده قريب من الحسن وله شواهد.

والسنين: جمع سنة وهي العام المقحط الذي لم تنبت الأرض فيه شيئًا سواء وقع قطر أو لم يقع. (١/ ٢٧١)

- وعن ابن مسعود قال: (لا يكوى رجل بكنز فيمس درهم درهمًا، ولا دينار دينارًا، يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم على حدته) رواه الطبراني في الكبير موقوفًا بإسناد صحيح. (١/ ٢٧١)

ولا تجب الزكاة في الحلي المباح إذا كان معدًّا للاستعمال؛ فإن كان معدًّا للقنية أو الكِراء وجبت فيه الزكاة.

موعظة

قل للذين شغلهم في الدنيا غرورهم: إنما في غد ثبورهم.

ما نفعهم ما جمعوا: إذا جاء محذورهم.

يوم يُحمىٰ عليها في نار جهنم فتكوىٰ بها جباههم، وجنوبهم، وظهورهم؛

فكيف غابت عن قلوبهم وعقولهم؟!

يوم يحمىٰ عليها في نار جهنم فتكوىٰ بها جباههم وجنوبهم وظهورهم.

أخذ المال إلىٰ دار ضرب العقاب، فَجُعل في بودقة ليحمىٰ ليقوىٰ العذاب فصفح صفائح؛ كي يعم الكي الإهاب.

ثم جيء بمن عن الهدىٰ قد غاب يسعىٰ إلىٰ مكان لا مع قوم يسعىٰ نورهم.

ثم يحمىٰ عليها في نار جهنم فتكوىٰ بها جباههم، وجنوبهم، وظهورهم.

إذا لقيهم الفقير لقي الأذىٰ.

فإن طلب منهم شيئًا طار منهم لهب الغضب كالجُذَىٰ[1].

- فإن لطفوا به قالوا: أعنتكم ذا، وسؤال هذا لذا.

ولو شاء ربك لأغنىٰ المحتاج وأعوز ذا.

ونسوا حكمة الخالق في غنىٰ ذا وفقر ذا.

وا عجبًا كم يلقاهم من غم إذا ضمتهم قبورهم!

﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴾.

سيأخذها الوارث منهم من غير تعب.

ويسأل الجامع من أين اكتسب ما اكتسب؟

إلَّا أن الشوك له وللوارث الرطب.

---

(١) الجذىٰ (بضم الجيم وفتح الذال) جمع جذوة وهي الجمرة، راجع المصباح (١/ ١١٦).

أين حرص الجامعين؟ أين عقولهم؟!

﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴾.

لو رأيتهم في طبقات النار

يتقلبون على جمرات الدرهم والدينار

وقد غُلت اليمين مع اليسار، لما بخلوا مع الإيسار.

ولو رأيتهم في الجحيم يسقون من الحميم، وقد ضج صبورهم.

﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴾.

كم كانوا يوعظون في الدنيا وما فيهم من يسمع!

كم خوفوا من عقاب الله وما فيهم من يفزع!

كم انبئوا بمنع الزكاة وما فيهم من يدفع!

فكأنهم بالأموال وقد انقلبت شجاعاً أقرع.

فما هي عصا موسى ولا طورهم.

﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴾.

حكاية

روي عن محمد بن يوسف الفريابي قال: خرجت أنا وجماعة من أصحابي في زيارة أبي سنان رحمه الله فلما دخلنا عليه وجلسنا عنده قال: قوموا بنا لنزور جارًا لنا مات أخوه ونعزيه فيه.

فقمنا معه ودخلنا على ذلك الرجل فوجدناه كثير البكاء والجزع على أخيه.

فجلسنا نسليه ونعزيه، وهو لا يقبل تسليةً ولا تعزية.

فقلنا: أما تعلم أن الموت سبيل لا بد منه؟

قال: بلى ولكن أبكي على ما أصبح وأمسى فيه أخي من العذاب.

فقلنا له: هل أطلعك الله على الغيب؟ قال: لا.

ولكن لما دفنته وسويت عليه التراب وانصرف الناس، جلست عند قبره فإذا بصوت من قبره يقول: آه أقعدوني وحيدًا أقاسي العذاب قد كنت أصلي، قد كنت أصوم.

قال: فأبكاني كلامه، فنبشت عنه التراب؛ لأنظر حاله فإذا القبر يشتعل عليه نارًا، وفي عنقه طوق نار، فحملتني شفقة الأخوة ومددت يدي لأرفع الطوق عن رقبته، فاحترقت أصابعي ويدي.

ثم أخرج إلينا يده، فإذا هي سواء محترقة.

قال: فرددت عليه التراب وانصرفت، فكيف لا أبكي على حاله وأحزن عليه؟

فقلنا: فما كان أخوك يعمل في الدنيا؟

قال: كان لا يؤدي الزكاة من ماله، قال: فقلنا: هذا تصديق قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [آل عمران: ١٨٠]، وأخوك عُجِّل له العذاب في قبره إلى يوم القيامة.

فنسأل الله العفو والعافية إنه جواد كريم.

الكبيرة الثانية والعشرون
جباية المكوس

- والمكَّاس[1] داخل في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[2] [الشورى: ٤٢].

- وهو من أكبر أعوان الظلمة، بل هو من الظلمة أنفسهم؛ فإنه يأخذ ما لا يستحق ويعطيه لمن لا يستحق.

ومن أين للمكَّاس يوم القيامة أن يؤدي للناس ما أخذ منهم، إنما يأخذون من حسناته إن كان له حسنات.

- وهو داخل في قول النبي ﷺ: **«أتدرون ما المفلس؟»** قالوا: المفلس -فينا- من لا درهم له ولا متاع، فقال: **«إن المفلس من أمتي مَنْ يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطَى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يَقضِي ما عليه أُخذ من خطاياهم؛ فطرحت عليه ثم طرح في النار»** رواه مسلم. (١١٧)

- وفي حديث المرأة التي طَهَّرت نفسها بالرجم: **«لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له»** رواه مسلم[3].

- المكاس: من فيه شبه من قاطع الطريق، وهو من اللصوص.

- وقد رُوي: **«لا يدخل الجنة صاحب مكس»**.

وما ذاك إلا لأنه يتقلد مظالم العباد.

- وجابي المكس، وكاتبه، وشاهده، وآخذه: من جندي وشيخ وصاحب رواية شركاء في الوزر، آكلون للسحت والحرام.

---

(١) المكس: النقص والظلم: ودراهم كانت تؤخذ من بائعي السلع في الأسواق في الجاهلية.

(٢) انظر تفسير هذه الآية في الكبيرة الثالثة والخمسين.

(٣) صحيح مسلم (٣/ ١٣٢٤).

- وصح أن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل الجنة لحمٌ نبت من سحت، النار أولى به» رواه الطبراني في الأوسط عن كعب بن عجرة ورجاله ثقات[1].

والسُّحت: كل حرام قبيح الذكر يلزم منه العار.

موعظة

أين من حصَّن الحصون المشيدة واحترس، وعمَّر الحدائق، فبالغ وغرس، ونصب لنفسه سرير العز وجلس، وبلغ المنتهىٰ ورأىٰ الملتمس، وظن -في نفسه- البقاء؛ ولكن خاب الظن في النفس؟!

أزعجه -والله- هازم اللذات واختلس، ونازله بالقهر، فأنزله عن الفرس، ووجه به إلىٰ دار البلاء فانطمس، وتركه في ظلام ظلمة من الجهل والدنس، فالعاقل من أفاد بأيامه، فإن العواقب في خلس.

شعر:

تبني وتجمع والآثار تندرس	وتأمل اللبث والأعمار تختلس
ذا اللب فكر فما في العيش من طمع	لا بد ما ينتهي أمر وينعكس
أين الملوك، وأبناء الملوك ومن	كانوا إذا الناس قاموا هيبة جلسوا
ومن سيوفهم في كل معترك	تخشى ودونهم الحجاب والحرس
أضحوا بمهلكة في وسط معركة	صرعى وصاروا ببطن الأرض وانطمسوا
وعمهم جدث وضمهم حدث	ماتوا فهم جثث في الرمس قد حبسوا
كأنهم قطّ ما كانوا وما خلقوا	ومات ذكرهم بين الورى ونسوا
والله لو عاينت عيناك ما صنعت	أيدي البلى بهم والدود يفترس

---

(١) الجامع الأزهر (٣/ ١٢٢أ).

لعاينت منظرًا تشجى القلوب له ... وأبصرت منكرًا من دونه البلس[1]

من أوجه ناضرات حار ناظرها ... في رونق الحسن منها كيف ينطمس؟

وأعظُمٌ باليـاتٌ ما بها رمق ... وليس تبقى لهذا وهي تنتهس

وألسن ناطقات زانها أدب ... ما شأنها شانها بالآفة الخرس

حتام يا ذا النهى لا ترعوي سفهًا ... ودمع عينيك لا يهمي وينبجس

موعظة

يا من يرحل في كل يوم مرحله ... وكتابه قد حوى حتى الخردله

ما ينتفع بالنذير، والنذر متصله ... ولا يصغى إلى ناصح وقد عذله

ودروعه مخرقة والسهام مرسله

ونور الهدى قد بدا ... ولكن ما رآه ولا تأمله

وهو يؤمل البقا ... ويرى مصير من قد أمله

قد انعكف بعد الشيب ... على العيب بصبابة وولـه

كن كيف شئت ... فبين يديك الحساب والزلزله

ونَعِّم جلدك فلا ... بد للديدان أن تأكله

فيا عجبًا من فتور مؤمـ ... ـن موقن بالجزاء والمسأله

استيقن من غرور وبله

ويحك يا هذا من استدعاك وفتح منزله ... فقد أولاك، لو علمت منزلـه

فبادر ما بقي من عمرك، واستدرك أوله ... فبقية عمر المؤمن جوهرة قيمه

---

(١) البلس (بفتحتين): من لا خير عنده أو عنده إبلاس وشر، القاموس. والمعنى: وأبصرت أمرًا فظيعًا يتضاءل دونه الإبلاس وهذا الأمر موضح في قوله: من أوجه ... إلخ.

الكبيرة الثالثة والعشرون
المن بالصدقة

- قال الله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

قال الواحدي: هو أن يمن بما أعطىٰ.

وقال الكلبي: بالمن -علىٰ الله- في صدقته، والأذىٰ لصاحبها.

- وفي الصحيح أن رسول اللهﷺ قال: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب**» رواه مسلم. (٣/ ٩٨)

المسبل: هو الذي يسبل إزاره، أو ثيابه، أو قميصه، أو سراويله حتىٰ تكون إلىٰ القدمين؛ لأنهﷺ قال: «**ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار**» خرجه البخاري عن أبي هريرة. (٣/ ٩٧)

- وفي الحديث أيضًا: «**ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، ومدمن الخمر، والمنان عطاءه، وثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والديوث، والرجلة**»[1] رواه النسائي، والبزار واللفظ له بإسنادين جيدين. (٣/ ٢٢٠)

- وعن أبي بكر الصديق عن النبيﷺ قال: «**لا يدخل الجنة خب ولا منان ولا بخيل**» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن غريب[2].

والخب: هو صاحب المكر والخديعة.

والمنان: هو الذي يعطي شيئًا أو يتصدق به، ثم يمنُّ به.

- وورد: إياكم والمن بالمعروف؛ فإنه يبطل الشكر ويمحق الأجر.

- وسمع ابن سيرين رجلًا يقول لآخر: **أحسنت إليك، وفعلت، وفعلت.**

---

(١) الرَّجُلة: المترجلة، يقال: امرأة رجلة، إذا تشبهت بالرجال في زيهم وهيئاتهم راجع. اللسان (رجل).

(٢) سنن الترمذي (٤/ ٢٤٣).

فقال له ابن سيرين: اسكت فلا خير في معروف إذا أحصي.

- وكان بعضهم يقول: من مَنَّ بمعروفه سقط شكره، ومن أعجب بعمله حبط أجره.
- وأنشد الشافعي رحمه الله تعالىٰ:

لا تحملن من الأنام	بأن يمنوا عليك منة
واختر لنفسك حظها	واصبر فإن الصبر جنة
منن الرجال على القلوب	أشد من وقع الأسنة

- وأنشد أيضًا بعضهم فقال:

وصاحب سلفت منه إليَّ يد	أبطا عليه مكافأتي فعاداني
لما تيقن أن الدهر حاربني	أبدى الندامة مما كان أولاني
أفسدت بالمن ما قدمت من حسن	ليس الكريم إذا أعطى بمنان

موعظة

يا مبادرًا بالخطايا ما أجهلك! إلىٰ متىٰ تغتر بالذي أمهلك، كأنه قد أهملك؟!

فكأنك بالموت وقد جاء بك وأنهلك، وإذا الرحيل وقد أفزعك الملك.

وأسرك البلىٰ بعد الهوىٰ وعقلك، وندمت علىٰ وزر عظيم قد أثقلك.

يا مطمئنًا بالفاني ما أكثر زللك!

ويا معرضًا عن النصح؛ كأن النصح ما قيل لك.

أين حبيبك الذي كان وأين انتقل؟

أما وعظك التلف في جسده والمقل؟

أين كثير المال، أين طويل الأمل؟

أما خلا وحده -في لحده- بالعمل؟!

أين من جرَّ ثوبة الخيلاء غافلًا ورفل[1]؟

أما سافر به وإلى الآن ما وصل؟

أين من تنعم في قصره، فكأنه في الدنيا ما كان، وفي قبره لم يزل.

أين من تفوق واحتفل؟

غاب -والله- نجم سعوده وأفل.

أين الأكاسرة، والجبابرة العتاة الأول؟

ملك أموالهم سواهم والدنيا دول.

---

(١) رفل في ثيابه، يرفل: إذا أطالها وجرها متبخترًا، فهو رافل اهـ اللسان (رفل)

الكبيرة الرابعة والعشرون
منع فضل الماء (والمراد به ما زاد على الحاجة)

- قال الله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا ﴾ أي: قل لهم أخبروني إذا صار الماء غائرًا ذاهبًا في أعماق الأرض، بحيث لا تستطيعون إخراجه ﴿ فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴾ [تبارك: ٣٠] أي: فمن الذي يخرجه لكم حتى يكون ظاهرًا جاريًا على وجه الأرض؟ هل يأتيكم غير الله به؟

- وقال النبي ﷺ: **«لا تمنعوا فضل الماء لتمنعوا به الكلأ»** متفق عليه من حديث أبي هريرة[١].

- وقال النبي ﷺ: **«من منع فضل مائه أو فضل كلئه منعه الله عز وجل فضله يوم القيامة»** خرجه الإمام أحمد[٢].

- وقال رسول الله ﷺ: **«ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: رجل على فضل ماء بفلاة، يمنعه ابن السبيل، ورجل بايع رجلًا بسلعته بعد العصر فحلف بالله لأخذها بكذا وكذا فصدقه فأخذها، وهو على غير ذلك، ورجل بايع إمامًا لا يبايعه إلا للدنيا، فإن أعطاه منها ما يريد وفّى له، وإن لم يعطه لم يفِ»** أخرجاه في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وزاد البخاري: **«ورجل منع فضل مائه، فيقول الله له: اليوم أمنعك فضلي، كما منعت فضل ما لم تعمل يداك»**. (٣/ ٣٠)

---

(١) نيل الأوطار (٥/ ٣٠٣).

(٢) وفي إسناده محمد بن راشد الخزاعي، وهو ثقة، وقد ضعفه بعضهم لكن حديث أبي هريرة يشهد لصحته، أفاده الشوكاني (٥/ ٣٠٤).

الكبيرة الخامسة والعشرون
إفطار يوم من رمضان بلا عذر

- قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ ﴾ [البقرة: ١٨٣-١٨٤].

- وثبت في الصحيحين عن النبيﷺ أنه قال: **«بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان»**.
(٤٣٩)

- ويروى عن أبي هريرة مرفوعًا: **«من أفطر يومًا من رمضان من غير رخصة ولا مرض لم يقضه صوم الدهر كله وإن صامه»** رواه الترمذي وغيره[1].

- وعن ابن عباسﷺ، وقال حماد بن زيد لا أعلمه إلا قد رفعه إلى رسول اللهﷺ قال: **«عرى الإسلام وقواعد الدين ثلاثة عليهن أسس الإسلام، ومن ترك واحدة منهن فهو بها كافر حلال الدم: شهادة أن لا إله إلا الله، والصلاة المكتوبة، وصوم رمضان»** رواه أبو يعلى بإسناد حسن. (٢/ ٧٥)

- [وعن أبي أمامة ﷺ قال: سمعت رسول اللهﷺ يقول: **«بينا أنا نائم أتاني رجلان فأخذا بضبعي[2] فأتيا بي جبلًا وعرًا، فقالا: اصعد؛ فقلت: إني لا أطيقه؛ فقالا: إنا سنسهله لك، فصعدت حتى إذا كنت في سواء الجبل؛ فإذا أنا بأصوات شديدة فقلت: ما هذه الأصوات؟ قالوا: هذا عواء أهل النار، ثم انطلقا بي فإذا أنا بقوم معلقين بعراقيبهم مشققة أشداقهم تسيل أشداقهم دمًا، قال: قلت: من هؤلاء؟ قيل: هؤلاء الذين يفطرون قبل تحلة صومهم»**. رواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما.

(١) في إسناده أبو المطوس: قال البخاري: لا أعرف له غير هذا الحديث، وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج بما انفرد به (٣/ ٧٤) الترغيب.

(٢) الضَّبْع: وسط العضد بلحمه، وقيل: ما بين الإبط إلى نصف العضد من أعلاه، تقول: أخذ بضبعيه. أي: بعضديه اهـ اللسان (ضبع).

قال المنذري: ولا علة له[1].   (٣/ ١٩١)

- وقد أوجب النخعي عن كل يوم فطر من رمضان ثلاثة آلاف يوم.

وقال سعيد بن المسيب: يجب في كل يوم ثلاثون يومًا.

وقال ربيعة شيخ الإمام مالك ﷺ يجب في كل يوم اثنا عشر يومًا[2]].

---

(١) وأخرجه الحاكم (١/ ٤٣٠) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

(٢) الزواجر (٢٦٢)، وذهب أبو حنيفة ومالك والثوري وجماعة إلى أن من أفطر متعمدًا بأكل أو شرب أن عليه القضاء والكفارة: إما بعتق رقبة، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينًا.

قال: ابن رشد: وذهب الشافعي وأحمد وأهل الظاهر إلى أن الكفارة إنما تلزم في الإفطار من الجماع فقط اهـ بداية المجتهد (١/ ٣٠٢).

الكبيرة السادسة والعشرون
ترك الحج مع القدرة عليه

- قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ أي: فرض لازم على المستطيع حج بيت الله العتيق ﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٧]

أي: من ترك الحج فإن الله مستغن عن عبادته وعن الخلق أجمعين؛ وعبر عنه بالكفر تغليظًا عليه؛ قال ابن عباس: من جحد فريضة الحج فقد كفر والله غني عنه[١].

- وقال عمر بن الخطاب ﷺ: من أطاق الحج فلم يحج، فسواء عليه مات يهوديًا أو نصرانيًا. رواه أبو بكر الإسماعيلي بإسناد صحيح[٢].

ومثل هذا الحديث لا يقال من قبل الرأي، فيكون في حكم المرفوع[٣].

- وقال عمر ﷺ أيضًا: لقد هممت أن أبعث رجالًا إلى هذه الأمصار فينظروا من له جِدَة[٤] ولم يحج، فليضربوا عليهم الجزية ما هم بمسلمين. رواه سعيد بن منصور بسند صحيح[٥].

- وقال ابن عباس ﷺ: ما من أحد لم يحج ولم يؤدِّ زكاة ماله إلا سأل الرجعة عند الموت. فقيل له: إنما يسأل الرجعة الكفار!

قال: وإن ذلك في كتاب الله تعالى: ﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ ﴾ أي: أؤدي الزكاة ﴿ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [المنافقون: ١٠] أي: الحج، قيل: فيم تجب الزكاة؟ قال: بمائتي درهم وقيمتها من الذهب.

قيل: فما يوجب الحج؟ قال: الزاد والراحلة.

- وعن سعيد بن جبير ﷺ قال: مات لي جارٌ موسر لم يحج فلم أصلِّ عليه.

---

(١) صفوة التفاسير (٢٠٣).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٣٨٦).

(٣) الزواجر (٢٦٧).

(٤) وجد فلان وجدًا وجدة: صار ذا مال راجع اللسان والمصباح.

(٥) الدر المنثور (١/ ٥٦) وتفسير ابن كثير (١/ ٣٨٦).

الكبيرة السابعة والعشرون
الذبح لغير الله عز وجل

مثل أن يقول: باسم الشيطان، أو الصنم أو باسم الشيخ فلان.

- قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ قال ابن عباس ﷺ: يريد الميتة والمنخنقة إلى قوله: ﴿ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ﴾.

وقال الكلبي: ما لم يذكر اسم الله عليه أو يذبح لغير الله تعالى.

وقال عطاء: ينهى عن ذبائح كانت تذبحها قريش والعرب على الأوثان.

وقولـه: ﴿ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾ يعني: وإن كل ما لم يذكر اسم الله عليه من الميتة فسق، أي خروج عن الحق والدين: ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ﴾ أي: يوسوس الشيطان لوليه؛ فيلقي في قلبه الجدال بالباطل، وهو أن المشركين جادلوا المؤمنين في الميتة.

قال ابن عباس ﷺ: أوحى الشيطان إلى أوليائه من الإنس: كيف تعبدون شيئًا لا تأكلون ما يقتل، وأنتم تأكلون ما قتلتم؟ فأنزل الله هذه الآية ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ ﴾ يعني: في استحلال الميتة، ﴿ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢١] قال الزجاج: وفي هذا دليل على أن كل من أحلَّ شيئًا مما حرم الله أو حرم شيئًا مما أحل الله فهو مشرك.

- فإن قيل: كيف أبحتم ذبيحة المسلم إذا ترك التسمية، والآية كالنص في التحريم؟

قلت: إن المفسرين فسروا ما لم يذكر اسم الله عليه -في هذه الآية- بالميتة، ولم يحمله أحد على ذبيحة المسلم إذا ترك التسمية.

وفي الآية أشياء تدل على أن الآية في تحريم الميتة، فمنها قوله: ﴿ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾ ولا يفسق آكل ذبيحة المسلم التارك للتسمية.

ومنها قوله: ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ﴾

والمناظرة إنما كانت في الميتة بإجماع من المفسرين لا في ذبيحة تارك التسمية من المسلمين.

ومنها قوله: ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ والشرك في استحلال الميتة، لا في استحلال الذبيحة التي لم يذكر الله عليها.

- وعن عائشة ﵂ أن قومًا قالوا: يا رسول الله، إن قومًا يأتوننا باللحم لا ندري أذكر اسم الله عليه أم لا؟

فقال: «**سموا عليه أنتم وكلوا**» رواه البخاري والنسائي وغيرهما[1].

- وعن ابن عباس ﵄ قال: من ذبح فنسي أن يسمي، فليذكر اسم الله عليه، وليأكل، ولا يدعه للشيطان إذا ذبح على الفطرة. رواه البيهقي، وصححه ابن السكن[2].

- ورد في الأثر: اسم الله على فم كل مسلم[3].

---

(١) نيل الأوطار: (٨/ ١٣٩).

(٢) راجع سنن البيهقي (٩/ ٢٤٠) وتلخيص الحبير (٤/ ١٥١).

(٣) نيل الأوطار (٨/ ١٣٩).

الكبيرة الثامنة والعشرون
أكل الربا

- قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٠].

- وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾

أي: لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم الذي قد مسه الشيطان وصرعه. ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي: ذلك الذي أصابهم ﴿ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

أي: حلالًا، فاستحلوا ما حرم الله، فإذا بعث الله الناس يوم القيامة خرجوا مسرعين إلا أكلة الربا، فإنهم يقومون ويسقطون، كما يقوم المصروع كلما قام صُرع؛ لأنهم لما أكلوا الربا الحرام -في الدنيا- أرباه الله في بطونهم حتى أثقلهم يوم القيامة.

فهم كلما أرادوا النهوض سقطوا، ويريدون الإسراع مع الناس فلا يقدرون.

- وعن سمرة بن جندب ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «**رأيت الليلة رجلين أتياني فأخرجاني إلى أرض مقدسة، فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم، وعلى شط النهر رجل بن يديه حجارة فأقبل الرجل الذي في النهر، فإذا أراد أن يخرج رمي الرجل بحجر في فيه فرده حيث كان فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر فيرجع كما كان فقلت: ما هذا الذي رأيته في النهر؟ فقال الذي رأيته في النهر: آكل الربا**» رواه البخاري (٣/ ٤٨-٤٩).

فجعل عذاب آكل الربا من حين يموت إلى يوم القيامة بالسباحة في نهر الدم ويلقم بالحجارة، وهي المال الحرام الذي جمعه في الدنيا، يكلف المشقة فيه، هذا العذاب له في البرزخ -قبل يوم القيامة- مع لعنة الله له كما صح عن رسول الله ﷺ أنه لعن آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه، وقال: «**هم سواء**» رواه مسلم. (٣/ ٤٩)

- وعن ابن مسعود ﷺ ذكر حديثًا عن النبي ﷺ، وقال فيه: «**ما ظهر في قوم الزنا والربا إلا أحلوا بأنفسهم عذاب الله**» رواه أبو يعلى بإسناد جيد. (٣/ ٥١)

- وعن عبد الله بن حنظلة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد من ستة وثلاثين زنية»** رواه الطبراني في الكبير ورجال أحمد رجال الصحيح.
(٣/ ٥٠)

- وعن البراء بن عازب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«الربا اثنان وسبعون بابًا، أدناها مثل إتيان الرجل أمه، وإن أربى الربا استطالة المرء في عرض أخيه»** رواه الطبراني في الأوسط من رواية عمر بن راشد وقد وثق (٣/ ٥١)

فصحَّ أنه باب من أعظم أبواب الربا.

- وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: **«الربا اثنان وسبعون حوبًا، أصغرها حوبًا كمن أتى أمّه في الإسلام، ودرهمٌ من الربا أشد من بضع وثلاثين زنية»**

قال: **«ويأذن الله بالقيام للبرِّ والفاجر يوم القيامة إلا آكل الربا، فإنه لا يقوم إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس»** خرجه ابن أبي الدنيا والبغوي.والحوب: الإثم.
(٣/ ٥٠)

- وعن أبي بكر الصديق ﷺ قال: الزائد والمستزيد في النار؛ يعني الآخذ والمعطي فيه سواء: نسأل الله العافية!

وقال قتادة: إن آكل الربا يبعث يوم القيامة مجنونًا.

وذلك عَلَمٌ لأكلة الربا يعرفهم به أهل الموقف.

وقد ورد أن أكلة الربا يحشرون في صورة الكلاب والخنازير من أجل حيلهم على أكل الربا، كما مُسخ أصحاب السبت حين تحيلوا على إخراج الحيتان التي نهاهم الله عن اصطيادها يوم السبت، فحفروا حياضًا تقع فيها يوم السبت، فيأخذونها يوم الأحد، فلما فعلوا ذلك مسخهم الله قردة وخنازير.

وهكذا الذين يتحيلون على الربا بأنواع الحيل، فإن الله لا تخفى عليه حيل المحتالين.

قال أيوب السختياني: يخادعون الله كما يخادعون صبيًّا!! ولو أتوا الأمر عيانًا كان أهون عليهم.

فصل

- عن ابن مسعود ﷺ قال: إذا كان لك على رجل دين فأهدى لك شيئًا فلا تأخذه فإنه ربا.

- وقال الحسن رحمه الله: إذا كان لك على رجل دين، فما أكلت من بيته فهو سحت.

- وقال ابن مسعود ﷺ أيضًا: من شفع لرجل شفاعة فأهدى إليه هدية فهي سحت.

وتصديقه من قوله ﷺ: «**ومن شفع لرجل شفاعة، فأهدى له عليها فقبلها فقد أتى بابًا عظيمًا من أبواب الربا**» أخرجه أبو داود[1].

نسأل الله العفو العافية في الدين والدنيا والآخرة!!

---

(١) سيأتي تخريجه في الكبيرة السادسة والستين.

الكبيرة التاسعة والعشرون
أكل الحرام وتناوله على أي وجه كان

- قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨]

أي: لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل.

- قال ابن عباس ﵄: يعني باليمين الباطلة الكاذبة، يقتطع بها الرجل مال أخيه بالباطل.

والأكل بالباطل على وجهين:

أحدهما: أن يكون على جهة الظلم؛ نحو: الغصب، والخيانة، والسرقة.

والثاني: على جهة الهزل واللعب، كالذي يؤخذ في القمار والملاهي ونحو ذلك.

- وفي صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «**إن رجالًا يتخوضون -في مال الله- بغير حق، فلهم النار يوم القيامة**». (١١٨)

- وفي صحيح مسلم حين ذكر النبي ﷺ: « **الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك**»؟!. (٣/ ١١)

- وعن عبد الله بن مسعود ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم وإن الله عز وجل يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الدين إلا لمن أحب، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه، والذي نفسي بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه، ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه**» قالوا: وما بوائقه؟

قال: «**غشه وظلمه، ولا يكسب عبد مالًا حرامًا فيتصدق به فيقبل منه، ولا ينفق منه فيبارك له فيه ، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار، إن الله لا يمحو السيئ بالسيئ، ولكن يمحو السيئ بالحسن، إن الخبيث لا يمحو الخبيث**» رواه أحمد وغيره من طريق أبان بن إسحاق عن الصباح بن محمد، وقد حسنها بعضهم والله أعلم. (٣/ ١٣-١٤)

- وعن كعب بن عجرة ﵁ أن النبي ﷺ قال: «**يا كعب بن عجرة إنه لا يدخل الجنة لحمٌ نبت من سحت**» رواه ابن حبان في صحيحه. (٣/ ١٥)

- وعن عائشة ﵂ قالت: كان لأبي بكر الصديق ﵁ غلام يخرج له الخراج، وكان أبو بكر يأكل من خراجه، فجاء يومًا بشيء، فأكل منه أبو بكر.

فقال له الغلام: أتدري ما هذا؟

فقال أبو بكر: وما هو؟

قال: كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية، وما أُحسن الكهانة إلا أني خدعته، فلقيني فأعطاني لذلك، هذا الذي أكلت منه

فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيء في بطنه. رواه البخاري

الخراج: شيء يفرضه المالك على عبده يؤديه إليه كل يوم مما يكتسبه وباقي كسبه يأخذه لنفسه. (٣/ ١٧)

- وعن أبي بكر الصديق ﵁ عن النبي ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة جسد غذي بحرام**» رواه أبو يعلى والبزار وغيرهما بأسانيد بعضها حسن. (٣/ ١٥)

- وروي: أن الدنيا حلوة خضرة، من اكتسب فيها مالًا من حله وأنفقه في حقه أثابه الله عليه وأورده جنته.

ومن اكتسب فيها مالًا من غير حله وأنفقه في غير حقه أحله الله دار الهوان، ورُبَّ متخوض في مال الله ورسوله له النار يوم القيامة. (٣/ ١٥)

- روي «أن من لم يبالِ من أين اكتسب المال لم يبال الله من أي باب أدخله النار».

- وروي أن من اشترى ثوبًا بعشرة دراهم، وفيه درهم من حرام؛ لم يقبل الله له صلاة ما دام عليه. (٣/ ١٣)

- وعن أبي هريرة ﵁ قال: لأن يجعل أحدكم في فيه ترابًا خير من أن يجعل في فيه حرامًا.

- وقد روي عن يوسف بن أسباط ﵀ قال: إن الشاب إذا تعبد قال الشيطان لأعوانه: انظروا من أين مطعمه؟ فإن كان مطعم سوء؛ قال: دعوه يتعب ويجتهد فقد كفاكم نفسه، إن اجتهاده مع أكل الحرام لا ينفعه.

ويؤيد ذلك ما ثبت في الصحيح من قوله ﷺ في: «**الرجل مطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟**»

- وروي أن ملكًا على بيت المقدس ينادي كل يوم وكل ليلة: من أكل حرامًا لم يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا.

الصرف: النافلة، **والعدل**: الفريضة.

- وقال عبد الله بن المبارك: لأن أرد درهمًا من شبهة أحب إليَّ من أن أتصدق بمائة ألف ومائة.

- وقال وهب بن الورد: لو قمت قيام السارية ما نفعك حتى تنظر ما يدخل بطنك أحلال أم حرام؟

- وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لا يقبل الله صلاة امرئ وفي جوفه حرام حتى يتوب إلى الله تعالى منه.

- وقال سفيان الثوري: من أنفق الحرام في الطاعة، كمن طهر الثوب بالبول، والثوب لا يطهره إلا الماء، والذنب لا يكفِّره إلا الحلال.

- وقال عمر رضي الله عنه: كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة الوقوع في الحرام.

- وروي أن من حج بمال حرام فقال: لبيك- قال ملك: لا لبيك ولا سعديك حجك مردود عليك.

- وعن بعض الصالحين أنه رؤي بعد موته في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟

  قال: خيرًا، غير إني محبوس عن الجنة بإبرة استعرتها فلم أردها.

قال العلماء رحمهم الله: ويدخل في هذا الباب: المكَّاس، والخائن، والزغلي، والسارق، والبطال، وآكل الربا وموكله، وآكل مال اليتيم، وشاهد الزور، ومن استعار شيئًا فجحده، وآكل الرشوة، ومنقص الكيل والوزن، ومن باع شيئًا فيه عيب فغطاه، والمقامر، والساحر، والمنجِّم، والمصوِّر، والزانية، والنائحة، والعشرية، والدلَّال إذا أخذ أجرته بغير إذن من البائع، ومخبر المشتري بالزائد، ومن باع حرًّا فأكل ثمنه.

فصل

عن ثوبان رضي الله عنه عن النبيﷺ أنه قال: «**لأعلمن أقواما من أمتي يأتون يوم القيامة بأعمال أمثال جبال تهامة بيضاء، فيجعلها الله هباء منثورا، قال ثوبان: يا رسول الله صفهم لنا، جلهم لنا، لا نكون منهم ونحن لا نعلم، قال: أما هم إخوانكم، ومن جلدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم قوم إذا خلَوْا بمحارم الله انتهكوها**» رواه ابن ماجة ورواته ثقات.

(٣/ ١٧٨)

فنسأل الله تعالى العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى، إنه جواد كريم رءوف رحيم!!

موعظة

عباد الله ...

أما الليالي والأيام تهدم الآجال؟	**أما مآل المقيم -في الدنيا- إلى الزوال؟**
أما آخر الصحة يؤول إلى الاعتلال؟	**أما غاية السلامة نقصان الكمال؟**
أما بعد استقرار المنى هجوم الآجال؟	**أما أنبئتم عن الرحيل وقد قرب الانتقال؟**

أما بانت لكم العبر وضربت لكم الأمثال؟

وعزيز ناعم ذل له	**كل صعب المرتقى وَعْرَ المرام**
فكساه بعد لين ملبس	**خشنًا بالرغم منه في الرغام**
ووجوه ناضرات بدلت	**بعد لون الحسن لونًا كالقتام**
وشموس طالعات أفلت	**بعد ذاك النور منها بالظلام**
ومنيف شامخ بنيانه	**لين الأعطاف مهتز القوام**
أفٍّ للدنيا فما شيمتها	**غير نقض العهد أو خفر الذمام**
فاستمدوا الزاد تنجوا واعملوا	**صالحًا من قبل تقويض الخيام**

يا متعلقًا بزخرف يروق بقاؤه كلمح البروق.

يا مضيعًا في الهوى واجبات الحقوق ... تبارز الخالق، وتستحي من المخلوق؟

يا مؤثرًا أعلى العلالي ساترًا ذلك الفسوق... ألا سترى ذلك الفسوق؟

يا متولهًا مهاد الهوىٰ ... وهو في سجن الردىٰ مرموق.
ابكِ علىٰ نفسك العليلة ... فإنك بالبكاء محقوق.
عجبًا لمن رأىٰ فعل الموت لصحبه ... وأيقن بتلفه، وما قضىٰ نحبه!!
وسكن الإيمان بالآخرة في قلبه ... ونام غافلًا علىٰ جنبه.
ونسي جزاءه علىٰ جرمه وذنبه ... وأعرض إلىٰ ريه من الهوىٰ عن ربه.
كأني به قد سقي كأس حمِام يستغيث من شربه.
وأفرده الموت عن أهله وسربه.
ونقله إلىٰ قبر ... ذل فيه بعد عجبه.
فيا ذا اللب جز علىٰ قبره ... وعج به[1].
لقد خرقت المواعظ المسامع ... وما أراه انتفع به السامع.
لقد بدا نور المطالع لكنه أعمىٰ المطالع ...
ولقد بانت العبر بآثار الغير لمن اغتر بالمصارع ... فما بالها لا تسكب المدامع؟
يا عجبًا لقلب عند ذكر الحق غير خاشع ... لقد نشبت فيه مخالب المطامع!!
يا من شيبه قد أتىٰ .. هل ترىٰ ما مضىٰ من العمر براجع؟
انتبه لما بقي وانته وراجع.
فالهول عظيم ... والحساب شديد ... والطريق شاسع.
إن عذاب ربك لواقع ... ما له من دافع.

(١) عج، يعج (بالكسر) ويعج (بالفتح) عجًّا وعجيجًا: صاح ورفع صوته (١/ ١٩٨) القاموس.

الكبيرة الثلاثون
نقص الكيل والذرع وما أشبه ذلك

- قال الله تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ [المطففين: ١] يعني: الذين ينقصون الناس ويبخسون حقوقهم في الكيل والوزن.

- وقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴾ [المطففين: ٢] يعني: يستوفون حقوقهم منها.

قال الزجاج: المعنى إذا اكتالوا من الناس استوفوا عليهم، وكذلك إذا اتزنوا.

ولم يذكر (إذا اتزنوا)؛ لأن الكيل والوزن بهما الشراء والبيع فيما يكال ويوزن، فأحدهما يدل على الآخر ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ [المطففين: ٣] أي: ينقصون في الكيل والوزن.

وقال السُّدي: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة، وبها رجل يقال له: أبو جهينة له مكيالان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر؛ فأنزل الله هذه الآية.

- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**خمس بخمس**».

قالوا: يا رسول الله، وما خمس بخمس؟

قال: «**ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا أنزل الله بهم الطاعون** -يعني كثرة الموت- **ولا طففوا المكيال إلا حبس عنهم النبات وأخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر**» رواه الطبراني في الكبير وسنده قريب من الحسن وله شواهد.

(١/ ٢٧١)

- وقوله تعالى: ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴾ [المطففين: ٤] قال الزجاج: المعنى: لو ظنوا أنهم مبعوثون ما نقصوا في الكيل والوزن، ﴿ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [المطففين: ٥] أي: يوم القيامة ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ ﴾ [المطففين: ٦] من قبورهم ﴿ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [المطففين: ٦] أي: لأمره ولجزائه وحسابه، وقيل: يقومون بين يديه لفصل القضاء.

- وعن مالك بن دينار قال: دخلت على جار لي، وقد نزل به الموت، وهو يقول: جبلان من نار ... جبلان من نار

قال: قلت: ما تقول؟ قال: يا أبا يحيى كان لي مكيالان كنت أكيل بأحدهما وأكتال بالآخر.

قال مالك بن دينار: فقمت فجعلت أضرب أحدهما بالآخر.

فقال: يا أبا يحيى، كلما ضربت أحدهما بالآخر، ازداد الأمر عظمًا وشدة، فمات في مرضه.

- والمطفف هو الذي ينقص الكيل والوزن مطففًا؛ لأنه لا يكاد يسرق إلا الشيء الطفيف وذلك ضرب من السرقة والخيانة وأكل الحرام، وقد وعد الله من فعل ذلك بويل وهو شدة العذاب، وقيل: واد في جهنم لو سُيِّرت فيه جبالُ الدنيا لذابت من شدة حرِّه.

- وقال بعض السلف: أشهد على كل كيَّال أو وزَّان بالنار؛ لأنه لا يكاد يسلم إلا من عصم الله.

- وقال بعضهم: دخلت على مريض، وقد نزل به الموت، فجعلت ألقِّنه الشهادة، ولسانه لا ينطق بها، فلما أفاق قلت له: يا أخي ما لي ألقنك الشهادة، ولسانك لا ينطق بها.

قال: يا أخي لسان الميزان على لساني يمنعني من النطق بها.

فقلت له: بالله أكنت تزن ناقصًا، قال: لا والله ولكن ما كنت أقف مدة لأختبر صحة ميزاني.

فهذا حال من لا يعتبر صحة ميزانه، فكيف حال من يزن ناقصًا.

- وقال نافع: كان ابن عمر يمر بالبائع، فيقول: (اتَّق الله، وأوف الكيل والوزن؛ فإن المطففين يوقفون حتى إن العرق ليلجمهم إلى أنصاف آذانهم).

وكذا التاجر إذا شد يده في الذراع وقت البيع، وأرخى وقت الشراء.

- وكان بعض السلف يقول: ويل لمن يبيع بحبة يعطيها ناقصة جنة عرضها السموات والأرض، وويح لمن يشتري الويل بحبة يأخذها زائدة.

فنسأل الله العفو والعافية من كل بلاء ومحنة إنه جواد كريم.

الكبيرة الحادية والثلاثون
أكل مال اليتيم وظلمه

- قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [النساء: ١٠].

أي: إذا أكلوا أموال اليتامى بلا سبب، فإنما يأكلون نارًا تتأجج في بطونهم يوم القيامة.

قال السُّدي -رحمه الله تعالى-: يحشر آكل مال اليتيم ظلمًا يوم القيامة، ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه وأنفه وعينه، كل من رآه يعرفه أنه آكل مال اليتيم.

- وقال تعالى في شأن أموال اليتامى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ﴾ [النساء: ٦] أي: مبادرة قبل بلوغهم.

ثم قال تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [النساء: ٦].

قال العلماء: فكل ولي ليتيم إذا كان فقيرًا فأكل من ماله بالمعروف بقدر قيامه عليه في مصالحه، وتنمية ماله فلا بأس عليه، وما زاد على المعروف فسحتٌ حرام.

وقد ذكر ابن الجوزي -في تفسيره- في الأكل بالمعروف أربعة أقوال:

أحدها: أنه الأخذ على وجه القرض.

والثاني: الأكل بقدر الحاجة من غير إسراف.

والثالث: أنه أخذ بقدر إذا عمل لليتيم عملًا.

والرابع: أنه الأخذ -عند الضرورة- فإن أيسر قضاه، وإن لم يوسر فهو في حل.

وفي البخاري أن رسول الله ﷺ قال: **«أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا»** وأشار بالسبابة والوسطى، وفرج بينهما. (١٣٥)

- وفي صحيح مسلم عنه ﷺ قال: **«كافل اليتيم له أو لغيره: أنا وهو كهاتين في الجنة»**، وأشار الراوي وهو مالك بن أنس بالسبابة والوسطى. (١٣٤)

كفالة اليتيم: هي القيام بأموره، والسعي في مصالحه من طعامه وكسوته، وتنمية ماله، إن كان لا مال له أنفق عليه وكساه ابتغاء وجه الله تعالى.

وقوله -في الحديث- «له أو لغيره» أي: سواء كان اليتيم قرابة أو أجنبيًّا منه.

فالقرابة مثل: أن يكفله جده، أو أخوه، أو أمه، أو عمه، أو زوج أمه، أو خاله، أو غيره من أقاربه، والأجنبي من ليس بينه وبينه قرابة.

- وعن ابن عباس ﷺ أن نبي الله ﷺ قال: «**من قبض يتيمًا من بين مسلمين إلى طعامه وشرابه أدخله الله الجنة ألبتة إلا أن يعمل ذنبًا لا يغفر**» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح. (٣/ ٢٣٠)

- [وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا أول من يفتح باب الجنة، إلا أني أرى امرأة تبادرني، فأقول لها: ما لك، ومن أنت؟ فتقول: أنا امرأة قعدت على أيتام لي**» رواه أبو يعلي وإسناده حسن إن شاء الله]. (٣/ ٢٣١)

- وعن أبي هريرة ﷺ أن رجلًا شكا إلى رسول الله ﷺ قسوة قلبه، فقال: «**امسح رأس اليتيم وأطعم المسكين**» رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. (٣/ ٢٣١)

حكاية

وحكي عن بعض السلف قال: كنت -في بداية أمري- مُكبًّا على المعاصي وشرب الخمر، فظفرت يومًا بصبي يتيم فقير فأخذته وأحسنت إليه وأطعمته وكسوته، وأدخلته الحمام، وأزلتُ شعثه وأكرمته كما يكرم الرجل ولده بل أكثر، فبت ليلة بعد ذلك، فرأيت في النوم أن القيامة قامت، ودعيت إلى الحساب، وأمر بي إلى النار لسوء ما كنت عليه من المعاصي فسحبتني الزبانية ليمضوا بي إلى النار، وأنا بين أيديهم حقير ذليل يجرونني سحبًا إلى النار.

وإذا بذلك اليتيم قد اعترضني بالطريق، وقال: خلوا عنه يا ملائكة ربي حتى أشفع له إلى ربي؛ فإنه قد أحسن إليَّ وأكرمني.

فقالت الملائكة: إنا لم نؤمر بذلك.

وإذا النداء من قبل الله -تعالى- يقول: خلوا عنه فقد وهبت له ما كان منه بشفاعة

اليتيم وإحسانه إليه.

قال: فاستيقظت وتبت إلى الله -عزَّ وجلَّ- وبذلت جهدي في إيصال الرحمة إلى الأيتام.

- ولهذا قال أنس بن مالك ﷺ خادم رسول الله ﷺ: «**خير البيوت بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر البيوت بيت فيه يتيم يساء إليه، وأحب عباد الله إلى الله -تعالى- من اصطنع صنعًا إلى يتيم أو أرملة**».

- وروي أن الله -تعالى- أوحى إلى داود عليه السلام يا داود كن لليتيم كالأب الرحيم، وكن للأرملة كالزوج الشفيق، واعلم كما تزرع كذا تحصد.

معناه: أنك كما تفعل، كذلك يفعل معك.

أي لا بد أن تموت، ويبقى لك ولد يتيم أو امرأة أرملة.

- وقال داود عليه السلام في مناجاته: إلهي ما جزاء من أسند اليتيم والأرملة ابتغاء وجهك؟

قال: جزاؤه أن أظله في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي.

معناه: ظل عرشي يوم القيامة.

حكاية أخرى

- أن بعض العلويين -كان نازلًا ببلخ من بلاد العجم-وله زوجة علوية، وله منها بنات، وكانوا في سعة ونعمة؛ فمات الزوج، وأصاب المرأة وبناتها بعده الفقر والقلة.

فخرجت ببناتها إلى بلدة أخرى خوف شماتة الأعداء، واتفق خروجها في شدة البرد، فلما دخلت ذلك البلد أدخلت بناتها في بعض المساجد المهجورة ومضت تحتال لهم في القوت، فمرت بجمعين: جمع على رجل مسلم، وهو شيخ البلد، وجمع على رجل مجوسي، وهو ضامن البلد.

فبدأت بالمسلم وشرحت حالها له، وقالت: أنا امرأة علوية، ومعي بنيات أيتام أدخلتهم بعض المساجد المهجورة، وأريد الليلة قوتهم.

فقال لها: أقيمي عندي البينة أنك علوية شريفة.

فقالت: أنا امرأة غريبة ما في البلد من يعرفني، فأعرض عنها.

فمضت من عنده منكسرة القلب، فجاءت إلى ذلك الرجل المجوسي فشرحت له

حالها، وأخبرته أن معها بنات أيتامًا، وهي امرأة شريفة غريبة، وقصَّت عليه ما جرىٰ لها مع الشيخ المسلم.

فقام وأرسل بعض نسائه، وأتوا بها وبناتها إلىٰ داره فأطعمهن أطيب الطعام، وألبسهن أفخر اللباس، وباتوا عنده في نعمة وكرامة.

قال: فلما انتصف الليل رأىٰ ذلك الشيخ المسلم في منامه كأن القيامة قد قامت وقد عُقد اللواء علىٰ رأس النبي ﷺ، وإذا القصر من الزمرد الأخضر شرفاته من اللؤلؤ والياقوت، وفيه قباب اللؤلؤ والمرجان، فقال: يا رسول الله، لمن هذا القصر؟ قال: لرجل مسلم موحد، فقال: يا رسول الله أنا رجل مسلم موحد. فقال رسول الله ﷺ: لما قصدتك المرأة العلوية قلت: أقيمي عندي البينة أنك علوية، فكذا أنت أقم عندي البينة أنك مسلم؛ فانتبه الرجل حزينًا علىٰ رده المرأة خائبة، ثم جعل يطوف بالبلد ويسأل عنها، حتىٰ دل عليها أنها عند المجوسي، فأرسل إليه فأتاه. فقال له: أريد منك المرأة الشريفة العلوية وبناتها. فقال: ما إلىٰ هذا من سبيل وقد لحقني من بركاتهم ما لحقني. قال: خذ مني ألف دينار وسلمهن إليَّ، فقال: لا أفعل، فقال: لا بد منهن، فقال: الذي تريده أنت أنا أحق به، والقصر الذي رأيته في منامك خُلق لي، أتدل عليَّ بالإسلام؟ فوالله ما نمت البارحة أنا وأهل داري حتىٰ أسلمنا كلنا علىٰ يد العلوية، ورأيت مثل الذي رأيت في منامك، وقال لي رسول الله ﷺ: العلوية وبناتها عندك؟ قلت: نعم يا رسول الله، قال: القصر لك، ولأهل دارك، وأنت وأهل دارك من أهل الجنة، خلقك الله مؤمنًا في الأزل، قال: فانصرف المسلم وبه من الحزن والكآبة ما لا يعلمه إلا الله، فانظر رحمك الله إلىٰ بركة الإحسان إلىٰ الأرملة والأيتام ما أعقب صاحبه من الكرامة في الدنيا.

- ولهذا ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله**».

قال الراوي: وأحسبه قال: «**وكالقائم لا يفتر، وكالصائم لا يفطر**».

والساعي عليهم: هو القائم بأمورهم ومصالحهم ابتغاء وجه الله تعالىٰ. (٣/ ٢٣٢)

وفقنا الله لذلك بمنه وكرمه، إنه جواد كريم رءوف غفور رحيم.

الكبيرة الثانية والثلاثون
أذى الجار

- ثبت في الصحيحين -من حديث أبي هريرة- أن رسول الله ﷺ قال: «**والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن**»، قيل من يا رسول الله؟ قال: «**الذي لا يأمن جاره بوائقه**» أي: غوائله وشروره.

وفي رواية لمسلم: «**لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه**».

- وسئل رسول الله ﷺ: أي الذنب أعظم عند الله؟

فذكر ثلاث خلال وقال: «**أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك، وأن تقتل ولدك مخافة أن يطعمه معك، وأن تزاني حليلة جارك**» متفق عليه. (٣/ ١٩٤-١٩٥)

- وفي الحديث الصحيح: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره**» متفق عليه. (٣/ ٢٣٣)

- والجيران ثلاثة:

جار مسلم قريب: له حق الجوار، وحق الإسلام، وحق القرابة.

وجار مسلم: له حق الجوار، وحق الإسلام.

والجار الكافر: له حق الجوار.

- وكان ابن عمر ﷺ له جارٌ يهودي، فكان إذا ذبح الشاة، يقول: «**احملوا إلى جارنا اليهودي منها**».

- وروي: (أن الجار الفقير يتعلق بالجار الغني يوم القيامة، ويقول: يا ربِّ سَلْ هذا لِمَ أغلق عني بابه، ومنعني فضله).

- وينبغي للجار أن يتحمل أذى الجار، فهو من جملة الإحسان إليه.

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله دلني على عمل إذا عملت به دخلت الجنة! قال: «**كن محسنًا**»، قال: كيف أعلم أني محسن؟

قال: «**سل جيرانك، فإن قالوا: إنك محسن فأنت محسن، وإن قالوا إنك مسيء فأنت**

مسيء» ذكره البيهقي من رواية أبي هريرة[1].

- وروي: (من أغلق بابه دون جاره مخافة على أهله وماله، فليس ذلك بمؤمن، وليس بمؤمن من لا يأمن جاره بوائقه).

- وعن المقداد بن الأسود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**ما تقولون في الزنا؟**» قالوا: حرام حرمه الله ورسوله فهو حرام إلى يوم القيامة، قال: فقال رسول الله ﷺ: «**لأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسر من أن يزني بامرأة جاره**».

قال: «**ما تقولون في السرقة؟**» قالوا: حرمها الله ورسوله فهي حرام، قال: «**لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر عليه من أن يسرق من جاره**» رواه أحمد واللفظ له ورواته ثقات. (٣/ ٢٣٣)

- وفي سنن أبي داود -من رواية أبي هريرة- ﷺ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يشكو جاره فقال له: «**اذهب فاصبر**» فأتاه مرتين، أو ثلاثًا.

فقال: «**اذهب فاطرح متاعك في الطريق**» ففعل، فجعل الناس يمرون ويسألونه فيخبرهم خبر جاره، فجعلوا يلعنونه: فعل الله به وفعل، وبعضهم يدعو عليه، فجاء إليه جاره، فقال: ارجع فإنك لن ترى مني شيئًا تكرهه.

وصححه ابن حبان، والحاكم على شرط مسلم[2]. (٣/ ٢٣٥)

- وينبغي أن يحتمل أذى جاره، وإن كان ذميًّا.

فقد روي عن سهل بن عبيد الله التستري ﷺ أنه كان له جارٌ ذميٌّ، وكان قد انبثق من كنيفه إلى بيت في دار سهل بثق، فكان سهل يضع كل يوم جفنة تحت ذلك البثق فيجتمع ما يسقط فيه من كنيف المجوسي، ويطرحه بالليل حيث لا يراه أحد، فمكث ﷺ على هذا الحال زمانًا طويلًا إلى أن حضرت سهلًا الوفاةُ، فاستدعى جاره المجوسي، وقال له: ادخل ذلك البيت وانظر ما فيه، فدخل فرأى ذلك البثق والقذر يسقط منه في الجفنة، فقال: ما

---

(١) وخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٣٧١) وصححه على شرط الشيخين، وأقره الذهبي.

(٢) وأقره الذهبي (٤/ ١٦٦) وراجع عمدة التفسير (٤/ ٢٤).

هذا الذي أرىٰ؟

قال سهل: هذا منذ زمان طويل يسقط من دارك إلىٰ هذا البيت، وأنا أتلقاه بالنهار وألقيه بالليل، ولولا أنه حضرني أجلي، وأنا أخاف أن لا تتسع أخلاق غيري لذلك، وإلا لم أخبرك، فافعل ما ترىٰ.

فقال المجوسي: أيها الشيخ أنت تعاملني بهذه المعاملة منذ زمان طويل، وأنا مقيم علىٰ كفري؟ مد يدك، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ثم مات سهل رحمه الله.

فنسأل الله أن يهدينا وإياكم لأحسن الأخلاق والأعمال والأقوال، وأن يحسن عاقبتنا إنه جواد كريم رءوف رحيم.

الكبيرة الثالثة والثلاثون
أذى المسلمين وشتمهم

- قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ ﴾ أي: يؤذون أهل الإيمان بغير ما فعلوه، وبغير جناية واستحقاق للأذى ﴿ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٨] أي: فقد حملوا أنفسهم البهتان، والكذب، والزور، والذنب الواضح الجلي[1].

- وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ أي: يا من اتصفتم بالإيمان وصدقتم بالله ورسوله ﴿ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴾ أي: لا يهزأ جماعة بجماعة، ولا يسخر أحد من أحد، فقد يكون المستهزأ به خيرًا عند الله من المستهزئ ﴿ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ﴾ أي: ولا يسخر نساء من نساء فعسى أن تكون المحتقرة منهن خيرًا عند الله وأفضل من الساخرة ﴿ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴾ أي: ولا يعب بعضكم بعضًا، وإنما قال: أنفسكم: أن المسلمين كأنهم نفس واحدة: ﴿ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ﴾ أي: ولا يدع بعضكم بعضًا بلقب السوء.

﴿ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ﴾ أي: بئس أن يسمى الإنسان فاسقًا بعد أن صار مؤمنًا ﴿ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الحجرات: ١١] أي: ومن لم يتب عن اللمز والتنابز والسخرية فأولئك هم الظالمون بتعريض أنفسهم للعذاب[2].

- وقال ﷺ: **«عباد الله، وضع الله الحرج إلا من اقترض من عرض أخيه شيئًا فذلك الذي حرج وهلك»** خرجه الحاكم في المستدرك وصححه[3].

---

(١) صفوة التفاسير (١١٢٢).

(٢) صفوة التفاسير (١٤٠٠) بتصرف.

(٣) وأقره الذهبي (٤/١٩٨-١٩٩).

- وقال ﷺ: «**إن من شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من ودعه الناس أو تركه الناس اتقاء فحشه**» رواه البخاري عن عائشة ومسلم[1] واللفظ له.

- وفي الحديث: «**كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه، التقوى ههنا، بحسب امرئٍ من الشر أن يحقر أخاه المسلم**» رواه الترمذي وقال: حديث حسن. (١٢١)

- وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يحقره، ولا يخذله، والتقوى ههنا** -ويشير إلى صدره ثلاث مرات- **بحسب امرئٍ من الشر أن يحق أخاه المسلم**». (١٢١)

- وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**سباب المسلم فسوقٌ وقتاله كفر**» رواه البخاري ومسلم وغيرهما. (٣/ ٢٨٥)

- وعن أبي هريرة ﷺ قال: قيل لرسول الله ﷺ: إن فلانة تصلي الليل وتصوم النهار، وفي لسانها شيء تؤذي جيرانها؛ سليطة. قال: «**لا خير فيها، هي في النار**» صححه الحاكم[2].

- وفي الحديث أيضًا: «**اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم**» صححه الحاكم[3].

- وقال رسول الله ﷺ: «**من دعا رجلًا بكفر، أو قال: يا عدو الله** -وليس كذلك- **إلا حار عليه**» رواه البخاري ومسلم.

وحار (بالحاء المهملة والراء): أي رجع. (٣/ ٢٨٤)

- وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما عُرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم**» رواه أبو داود مسندًا ومرسلًا والمسند أصح[4].

---

(١) مسلم (٤/ ٢٠٠٢).

(٢) وأقره الذهبي (٤/ ١٦٦).

(٣) وأقره الذهبي (١/ ٣٨٥).

(٤) قاله العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٣/ ١٣٩).

فصل

في الترهيب من الإفساد والتحريش بين المؤمنين وبين البهائم والدواب

- صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم**» رواه مسلم[1].

فكل من حرَّش بين اثنين من بني آدم، ونقل بينهما ما يؤذي أحدهما فهو نمام من حزب الشيطان من أشر الناس.

- كما قال النبي ﷺ: «**ألا أخبركم بشراركم؟ المشاءون بالنميمة، المفسدون بين الأحبة، الباغون للبرآء العنت**» رواه أحمد عن أسماء بنت يزيد، وفيه شهر بن حوشب وثقه غير واحد، وبقية رجاله رجال الصحيح[2] والعنت: المشقة.

- وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا يدخل الجنة نمام**» متفق عليه من حديث حذيفة.

(٥٤٢)

والنمام: هو الذي ينقل الحديث بين الناس، أو بين اثنين بما يؤذي أحدهما، أو يوحش قلبه على صاحبه أو صديقه بأن يقول له: قال عنك فلان كذا وكذا، وفعل كذا وكذا، إلا أن يكون في ذلك مصلحة أو فائدة، كتحذيره من شر يحدث أو يترتب.

وأما التحريش بين البهائم والدواب والطير وغيرها، فحرام؛ كمناقرة الديوك، ونطاح الكباش، وتحريش الكلاب بعضها على بعض، وما أشبه ذلك وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك، فمن فعل ذلك فهو عاصٍ لله ورسوله.

- ومن ذلك إفساد قلب المرأة على زوجها، والعبد على سيده.

لما روي أن رسول الله ﷺ قال: «**ليس منا من خبب امرأة على زوجها، أو عبدًا على سيده**» رواه أبو داود، والنسائي، وابن حبان في صحيحه بنحوه. (٣/ ٩٣)

---

(١) صحيح مسلم (٤/ ٢١٦٦).

(٢) الجامع الأزهر (١/ ١٨٣).

خَبَّب (بفتح الخاء المعجمة وتشديد الباء الموحدة الأولى) معناه: خدع وأفسد نعوذ بالله من ذلك.

فصل

في الترغيب في الإصلاح بين الناس

- قال الله تعالى: ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٤]

قال مجاهد: هذه الآية عامة بين الناس، يريد أنه لا خير فيما يتناجى فيه الناس ويخوضون فيه من الحديث إلا ما كان من أعمال الخير وهو قوله: ﴿ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ ﴾ ثم حذف المضاف[1] ﴿ أَوْ مَعْرُوفٍ ﴾ قال ابن عباس: بصلة الرحم وبطاعة الله، ويقال لأعمال البر كلها معروف؛ لأن العقول تعرفها.

قوله تعالى: ﴿ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ قال ابن جرير: وهو الإصلاح بين المتباينين أو المختصمين بما أباح الله الإصلاح بينهما ليتراجعا إلى ما فيه الألفة واجتماع الكلمة[2].

- وروت أم حبيبة ﵂ أن النبي ﷺ قال: «**كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو ذكر الله**» رواه الترمذي، وابن ماجه، وابن أبي الدنيا، رواته ثقات[3].
(٤/ ١٠)

- وروي أن رجلًا قال لسفيان: ما أشد هذا الحديث!

قال سفيان: ألم تسمع إلى قوله تعالى: ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ الآية، هذا هو بعينه[4].

---

(١) والتقدير: إلا نجوى مَنْ أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس.

(٢) تفسير الطبري (٩/ ٢٠١).

(٣) وعبارة المنذري: وفي محمد بن يزيد كلام قريب لا يقدح، وهو شيخ صالح.

(٤) عزاه ابن كثير إلى ابن مردويه (١/ ٥٥٤) وراجع الدر المنثور (٢/ ٢٤٢)، الزهد (٢٢-٢٣).

- ثم أعلم الله -سبحانه- أن ذلك إنما ينفع من ابتغى به ما عند الله .

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ أي: ثوابًا لا حد له.

- وفي الحديث: «**ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيرًا، أو يقول خيرًا**» رواه البخاري. (٥٥١)

وقالت أم كلثوم: ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث، تعني الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها.

- وعن سهل بن سعد الساعدي ﷺ: أن رسول الله ﷺ بلغه أن بني عمرو بن عوف كان بينهم شرٌّ، فخرج رسول الله ﷺ يصلح بينهم في أناس معه من أصحابه. رواه البخاري[1].

- وروي أن: «**ما عمل شيء أفضل من مشي إلى الصلاة، أو إصلاح ذات البين وحلف جائز بين المسلمين**».

- وروي كذلك: «**أن من أصلح بين اثنين؛ أصلح الله أمره، وأعطاه بكل كلمة تكلم بها عتق رقبة، ورجع مغفورًا له ما تقدم من ذنبه**» وبالله التوفيق.

اللهم عاملنا بلطفك، وتداركنا بعفوك يا أرحم الراحمين.

---

(١) البخاري (٣/ ٢٣٩).

الكبيرة الرابعة والثلاثون
أذية أولياء الله

- قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ ﴾ أي: يؤذون أهل الإيمان بغير ما فعلوه، وبغير جناية واستحقاق للأذى ﴿ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٨] أي: فقد حملوا أنفسهم البهتان، والكذب، والزور، والذنب الواضح الجلي(١).

- وقال تعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٥] أي: تواضع وألِن جانبك لأتباعك المؤمنين(٢).

- وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله تعالى قال: من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب»** رواه البخاري.

ومعنى آذنته: أعلمته بأني محارب له. (١٨١)

وفي رواية: **«فقد بارزني بالمحاربة»**.

- وفي الحديث أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر، فقالوا: ما أخذت سيوف الله من عدو الله مأخذها.

فقال أبو بكر ﷺ: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟

فأتى النبي ﷺ فأخبره، فقال: **«يا أبا بكر لعلك أغضبتهم! لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك»**.

فأتاهم فقال: يا إخوتاه آغضبتكم؟ قالوا: لا؛ يغفر الله لك يا أخي. رواه مسلم.

وقوله (مأخذها): أي لم تستوف حقها منه. (١٣٥)

---

(١) صفوة التفاسير (١١٢٢).

(٢) صفوة التفاسير (٩٨٢).

فصل

في قوله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ... ﴾ الآيات [الكهف: ٢٨]

وهذه الآيات في تفضيل الفقراء.

وسبب نزولها: أن النبي ﷺ أول من آمن به الفقراء -وكذلك كل نبي أُرسل، أول من آمن به الفقراء- فكان رسول الله ﷺ يجلس مع فقراء أصحابه، مثل سلمان وصهيب، وبلال وعمار بن ياسر ﷺ، فأراد المشركون أن يحتالوا عليه في طرد الفقراء لما سمعوا أن علامة الرسل أن يكون أتباعهم من الفقراء فجاء بعض رؤساء المشركين، فقالوا: يا محمد اطرد الفقراء عنك، فإن نفوسنا تأنف أن تجالسهم، فلو طردتهم عنك لآمن بك أشراف الناس ورؤساؤهم؛ فأنزل الله تعالى: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ [الأنعام: ٥٢].

فلما أيس المشركون من طردهم قالوا: يا محمد إن لم تطردهم فاجعل لنا يومًا ولهم يومًا، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾.

أي: لا تتعداهم ولا تتجاوز بنظرك رغبة عنهم، وطلبًا لصحبة أبناء الدنيا.

﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا ﴾ أي: لا تطع كلام الذين سألوك طرد المؤمنين فقلوبهم غافلة عن ذكر الله، وقد شغلوا عن الدين وعبادة ربهم بالدنيا ﴿ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾ أي: سار مع هواه وترك أمر الله ﴿ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ أي: كان أمره ضياعًا وهلاكًا ودمارًا ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف: ٢٩] ظاهره أمر، وحقيقته وعيد وإنذار.

ثم ضرب لهم مثل الغنى والفقر، بقوله: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ ﴾ [الكهف: ٣٢] وقوله: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الكهف: ٤٥]

فكان رسول الله ﷺ يعظِّم الفقراء ويكرمهم.

ولما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة هاجروا معه، فكانوا في صُفَّة المسجد مقيمين متبتلين فسموا أصحاب الصُّفَّة، فكان ينتمي إليهم من يهاجر من الفقراء حتى كثروا ﷺ

هؤلاء شاهدوا ما أعد الله لأوليائه من الإحسان وعاينوه بنور الإيمان فلم يعلقوا قلوبهم بشيء من الأكوان.

بل قالوا: إياك نعبد .. ولك نخضع ونسجد .. وبك نهتدي ونسترشد.. وعليك نتوكل ونعتمد.

وبذكرك ننعم ونفرح .. وفي ميدان وِدّك نرتع ونسرح .. ولك نعمل ونكدح.. وعن بابك أبدًا لا نبرح.

فحينئذٍ عمر لهم سبيله .. وخاطب فيهم رسوله فقال: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾.

أي: لا تطرد قومًا أمسوا على ذكر ربهم يتقلبون، وإن أصبحوا فلبابه ينقلبون، لا تطرد قومًا المساجد مأواهم .. والله مطلوبهم ومولاهم .. والجوع طعامهم والسهر -إذا نام الناس- إدامهم .. والفقر والفاقة شعارهم .. والمسكنة والحياء دثارهم: ربطوا خيل عزمهم على باب مولاهم .. وبسطوا وجوههم في محاريب نجواهم.

فالفقر عام وخاص، **فالعام**: الحاجة إلى الله تعالى، وهذا وصف كل مخلوق مؤمن وكافر، وهو معنى قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [فاطر: ١٥].

والخاص: وصف أولياء الله وأحبائه: خلو اليدين من الدنيا، وخلو القلب من التعلق بها، اشتغالًا بالله -عزَّ وجلَّ- وشوقًا إليه، وأنسًا بالفراغ والخلوة مع الله عز وجل.

اللهم أذقنا حلاوة مناجاتك، وأن تسلك بنا طريق مرضاتك، واقطع عنا كل ما يبعدنا من حضرتك ويسِّر لنا ما يسَّرته لأهل محبتك، واغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين.

الكبيرة الخامسة والثلاثون
الإضرار في الوصية

- قال الله تعالى: ﴿ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرٖ ﴾ أي: غير مدخل الضرر على الورثة، وهو أن يوصي بدين ليس عليه، يريد بذلك ضرر الورثة فمنع الله منه ﴿ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ ﴾ بالضار وغيره ﴿ حَلِيمٞ ﴾ لا يعاجل بعقوبته ﴿ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ﴾ قال ابن عباس: يريد ما أحل الله من فرائضه في الميراث ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ في شأن المواريث ﴿ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [النساء: ١٣-١٤] قال مجاهد: فيما فرض الله من المواريث، وقال عكرمة عن ابن عباس: من لم يرضَ بقسم الله ويتعد ما قال الله ﴿ يُدۡخِلۡهُ نَارًا ﴾ وقال الكلبي: يعني يكفر بقسمة الله المواريث ويتعد حدوده استحلالاً ﴿ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾ [النساء:١٢- ١٤].

- وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل ليعمل أو المرأة بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما النار» ثم قرأ أبو هريرة ﷺ : ﴿ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرٖ ﴾ حتى بلغ ﴿ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن غريب. (٤/ ١٦٦)

- وقال ﷺ: «إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث» صححه الترمذي[1].

- وروي أن «من فرَّ بميراث وارثه قطع الله ميراثه من الجنة يوم القيامة».

(١) الترمذي (٤/ ٤٣٣)

الكبيرة السادسة والثلاثون
الخيانة في الأمانة

- قال الله تعالىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٧].

قال الواحدي رحمه الله: نزلت هذه الآية في أبي لبابة حين بعثه رسول الله ﷺ إلىٰ بني قريظة لما حاصرهم -وكأن أهله وولده فيهم- فقالوا: يا أبا لبابة ما ترىٰ لنا إن نزلنا علىٰ حكم سعد فينا؟ فأشار أبو لبابة إلىٰ حلقه، أي: إنه الذبح، فلا تفعلوا فكانت تلك منه خيانة لله ورسوله.

قال أبو لبابة: فما زالت قدماي من مكاني حتىٰ عرفت أني خنت الله ورسوله.

وقوله: ﴿ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ عطف علىٰ النهي، أي: ولا تخونوا أماناتكم.

قال ابن عباس: الأمانات: الأعمال التي ائتمن الله عليها العباد يعني الفرائض، يقول: لا تنقضوها.

قال الكلبي: أما خيانة الله ورسوله: فمعصيتهما.

وأما خيانة الأمانة: فكل واحد مؤتمن علىٰ ما افترضه الله عليه، إن شاء خانها وإن شاء أداها، لا يطلع عليه أحد إلا الله تعالىٰ، وقوله: ﴿ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أنها أمانة من غير شبهة.

- وقال تعالىٰ: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ [يوسف: ٥٢].

أي: لا يرشد كيد من خان أمانته، يعني: أنه يفتضح في العاقبة بحرمان الهداية.

وقال ﷺ: «آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، إذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان» رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (٤/ ٤٣).

- وعن أنس ﷺ قال: ما خطبنا رسول الله ﷺ إلا قال: «**لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له**» رواه أحمد والبزار والطبراني في الأوسط[1] وابن حبان في صحيحه. (٤/ ٤٤)

- والخيانة قبيحة في كل شيء وبعضها شرٌّ من بعض، وليس من خانك في فلس، كمن خانك في أهلك ومالك وارتكب العظائم.

- وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «**أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك**» حسنه الترمذي وغيره[2].

- وفي الحديث أيضًا: «**يطبع المؤمن على كل خلة إلا الخيانة والكذب**» رواه أبو يعلي والبزار عن سعد بن أبي وقاص مرفوعًا، ورجاله رجال الصحيح[3].

- وقال رسول الله ﷺ: «**يقول الله: أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه، فإذا خانه خرجت من بينهما**» رواه أبو داود وصححه الحاكم[4]. (٣/ ٣١)

- ومن دعاء النبي ﷺ أنه كان يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة**» رواه أبو داود بإسناد صحيح من حديث أبي هريرة. (٥١٩)

- وقال عليه الصلاة والسلام: «**وأهل النار خمسة ...**» فذكر أصنافًا إلى أن قال: «**والخائن الذي لا يخفى[5] له طمع -وإن دق- إلا خانه**» رواه مسلم من حديث عياض بن حمار المجاشعي[6].

---

(١) قال الهيثمي (١/ ٩٦): وفيه أبو هلال: وثقه ابن معين، وغيره، وضعفه النسائي وغيره.

(٢) نقله المناوي (١/ ٢٢٣) ونقل قول الهيثمي في بعض طرقه: رجاله ثقات.

(٣) الجامع الأزهر (٣/ ٣١٧٩).

(٤) وأقره الذهبي (٢/ ٥٢).

(٥) أي: لا يظهر.

(٦) صحيح مسلم (٤/ ٢١٩٨).

- وعن ابن مسعود ﷺ قال: (القتل في سبيل الله يُكفِّر الذنوب كلها إلا الأمانة، قال: يؤتىٰ بالعبد يوم القيامة، وإن قتل في سبيل الله، فيقال: أدِّ أمانتك فيقول: أي رب كيف وقد ذهبت الدنيا؟ فيقال: انطلقوا به إلىٰ الهاوية فينطلق به إلىٰ الهاوية، وتمثل له أمانته، كهيئتها يوم دفعت إليه فيراها فيعرفها، فيهوي في أثرها حتىٰ يدركها، فيحملها علىٰ منكبيه، حتىٰ إذا ظن أنه خارج زَلَّت عن منكبيه فهو يهوي في أثرها أبد الآبدين).

ثم قال: (الصلاة أمانة، والوضوء أمانة، والوزن أمانة، والكيل أمانة، وأشياء عدَّدها، وأشدُّ ذلك الودائع) رواه أحمد والبيهقي موقوفًا.

وذكر عبد الله ابن الإمام أحمد في كتاب الزهد أنه سأل أباه عنه فقال: إسناده جيد[1].

(٤/ ٤٢)

- وقد روي: «**إن أول ما يرفع من الناس الأمانة: وآخر ما يبقى الصلاة، ورُبَّ مصلٍّ لا خير فيه**».

فاللهم عاملنا بلطفك، وتداركنا بعفوك

(١) ساقه مرفوعًا بإسناده إلىٰ ابن أبي الدنيا الحافظ ابن كثير في النهاية (٢/ ٨٨) وقال: إسناد جيد، ولم يروه أحمد ولا من الستة أحد.

موعظة

عباد الله ...

ما أشرف الأوقات وقد ضيعتموها! ... وما أجهل النفوس وقد أطعتموها!

وما أدق السؤال عن الأموال فانظروا كيف جمعتموها؟! ...

وما أحفظ الصحف بالأعمال فتدبروا ما أودعتموها.

قبل الرحيل عن القليل ... والمناقشة عن النقير والفتيل.

قبل أن تنزلوا بطون اللحود ... وتصيروا طعامًا للدود ... في بيت بابه مسدود.

ولو قيل للعاصي ما تختار؟ ... لقال: أعود ولا أعود .

أين أهل الديار من قوم نوح؟ ... ثم عاد من بعدهم وثمود

بينما القوم في النمارق والاستبرق أفضت إلى التراب الخدود

وصحيح أضحى يعود مريضًا ... وهو أدنى للموت ممن يعود

الكبيرة السابعة والثلاثون
النميمة

- وهي نقل الحديث بين الناس على جهة الإفساد بينهم، هذا بيانها.

وأما حكمها: فهي حرام بإجماع المسلمين.

وقد تظاهرت على تحريمها الدلائل الشرعية من الكتاب والسُّنَّة.

- قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ ﴾ كثير الحلف بالحق والباطل، والذي يكثر الحلف مستهينًا بعظمة الله ﴿ مَّهِينٍ ﴾ أي فاجر حقير﴿ هَمَّازٍ ﴾ أي مغتاب يأكل لحوم الناس بالطعن والعيب ﴿ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ [القلم: ١١] أي: يمشي بالنميمة بين الناس[(١)].

- وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة نمام**». (٣/ ٢٩٤)

- وفي الحديث أن رسول الله ﷺ مرَّ بقبرين فقال: «**إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما: فكان لا يستبرئ من بوله، وأما الآخر: فكان يمشي بالنميمة**».

ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين ثم غرز في كل قبر واحدة، فقالوا: يا رسول الله لِمَ صنعت هذا؟ فقال: «**لعلهما أن يخفف عنهما ما لم ييبسا**» رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عباس[(٢)].

وقوله: «**وما يعذبان في كبير**» أي: ليس بكبير تركه عليهما، أو ليس بكبير في زعمهما، ولهذا قال في رواية أخرى: «**بلى إنه كبير**».

- وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**وتجدون شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه**» متفق عليه. (٥٤٤)

---

(١) صفوة التفاسير (١٥٩١).

(٢) البخاري (١/ ٦٤) ومسلم (١/ ٢٤٠) والنسائي (٤/ ١٠٦) واللفظ له.

- وعن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة**» رواه أبو داود بسند حسن[١].

- وروي أنه «**من كان ذا لسانين جعل الله له يوم القيامة لسانين من نار**» ومعنى «**من كان ذا لسانين**» أي: يتكلم مع هؤلاء بكلام، وهؤلاء بكلام، وهو بمعنى صاحب الوجهين.

- قال الإمام أبو حامد الغزالي[٢] رحمه الله: النميمة إنما تطلق -في الغالب- على من ينم قول الغير إلى المقول فيه، كقوله: فلان يقول فيك: كذا، وليست النميمة: مخصوصة بذلك.

بل حدُّها: كشف ما يكره كشفه، سواء كرهه المنقول عنه، أو المنقول إليه أو ثالث، وسواء كان الكشف بالقول أو الكتابة أو الرمز، أو الإيماء، أو نحوها.

وسواء أكان المنقول من الأقوال أو الأعمال، وسواء كان عيبًا أو غيره.

فحقيقة النميمة: إفشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه.

وينبغي للإنسان أن يسكت عن كل ما رآه من أحوال الناس، إلا ما في حكايته فائدة لمسلم، أو دفع معصية.

- قال: وكل من حملت إليه نميمة، وقيل له: قال فيك فلان كذا وكذا لزمه ستة أمور:

الأول: أن لا يصدقه؛ لأن النمام فاسق، وهو مردود الخبر.

الثاني: أن ينهاه عن ذلك، وينصحه، ويقبح فعله.

الثالث: أن يبغضه في الله -عز وجل- فإنه بغيض عن الله، والبغض في الله واجب.

الرابع: أن لا يظن في المنقول عنه السوء لقوله تعالى: ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

---

(١) قاله العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٣/ ١٥٤).

(٢) الإحياء (٣/ ١٥٢) والأذكار (٣٠٩).

الخامس: أن لا يحمله ما حكي له على التجسس والبحث عن تحقق ذلك، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحجرات: ١٢].

السادس: أن لا يرضى لنفسه ما نهى النمام عنه، فلا يحكي نميمته.

وقد جاء أن رجلًا ذكر لعمر بن عبد العزيز رجلًا بشيء، فقال عمر: يا هذا إن شئت نظرنا في أمرك، فإن كنت كاذبًا فأنت من أهل هذه الآية: ﴿إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦] وإن كنت صادقًا فأنت من أهل هذه الآية: ﴿هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ﴾ [القلم: ١١] وإن شئت عفونا عنك.

فقال: العفو يا أمير المؤمنين، لا أعود إليه أبدًا.

- ورفع إنسان رقعة إلى الصاحب بن عباد رحمه الله يحثه فيها على أخذ مال يتيم وكان له مال كثير، فكتب على ظهر الرقعة:

النميمة قبيحة، وإن كانت صحيحة، والميت رحمه الله، واليتيم جبره الله والمال ثمرة الله، والساعي لعنه الله.

- وقال الحسن البصري: من نقل إليك حديثًا فاعلم أنه ينقل إلى غيرك حديثك.

- وهذا مثل قول الناس: من نقل عليك نقل عنك، فاحذره.

- وقال ابن المبارك: ولد الزنا لا يكتم الحديث.

أشار به إلى أن كل من لا يكتم الحديث ومشى بالنميمة دل على أنه ولد الزنا استنباطًا من قول الله تعالى: ﴿عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم: ١٣] والزنيم: الدعي.

- وروي أن بعض السلف الصالحين زار أخًا له، وذكر له عن بعض إخوانه شيئًا يكرهه، فقال له: يا أخي أطلت الغيبة، وأتيتني بثلاث جنايات: بغَّضت إلي أخي، وشغلت قلبي بسببه، واتهمت نفسك الأمينة.

- وجاء رجل إلى علي بن الحسن رضي الله عنه فقال: إن فلانًا شتمك، وقال عنك كذا وكذا فقال: اذهب بنا إليه فذهب -معه- وهو يرى أن ينتصر لنفسه، فلما وصل إليه قال: يا أخي إن كان ما قلت فيَّ حقًّا فغفر الله لي وإن كان ما قلت فيَّ باطلًا فغفر الله لك.

- وقيل في قوله تعالى: ﴿ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ [المسد: ٤] يعني: امرأة أبي لهب أنها كانت تنقل الحديث بالنميمة.

سمى النميمة حطبًا؛ لأنها سبب العداوة، كما أن الحطب سبب لاشتعال النار.

- ويقال: عمل النمام أضر من عمل الشيطان؛ لأن عمل الشيطان بالوسوسة وعمل النمام بالمواجهة.

حكاية

روي أن رجلًا رأى غلامًا يباع، وهو ينادى عليه: ليس به عيب إلا أنه نمام فقط فاستخف بالعيب واشتراه، فمكث -عنده- أيامًا، ثم قال لزوجة سيده: إن سيدي يريد أن يتزوج عليك أو يتسرى، وقال: إنه لا يحبك، فإن أردت أن يعطف عليك ويترك ما عزم عليه، فإذا نام فخذي الموسي واحلقي شعرات من تحت لحيته، واتركي الشعرات معك، فقالت في نفسها: نعم. واشتغل قلب المرأة، وعزمت على ذلك إذا نام زوجها.

ثم جاء إلى زوجها، وقال: سيدي، إن سيدتي -زوجتك- قد اتخذت لها صديقًا ومحبًا غيرك ومالت إليه، وتريد أن تتخلص منك، وقد عزمت على ذبحك الليلة، وإن لم تصدقني فتناوم لها الليلة، وانظر كيف تجيء إليك، وفي يدها شيء تريد أن تذبحك به، وصدقه سيده.

فلما كان الليل جاءت المرأة بالموسي لتحلق الشعرات من تحت لحيته والرجل يتناوم لها، فقال في نفسه: والله صدق الغلام بما قال.

فلما وضعت المرأة الموسي وأهوت إلى حلقه قام وأخذ الموسي منها وذبحها به؛ فجاء أهلها فرأوها مقتولة فقتلوه، فوقع القتال بين الفريقين، بشؤم ذلك العبد المشئوم.

فلذلك سمى الله النمام فاسقًا في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴾ [الحجرات: ٦].

موعظة

يا من أسره الهوىٰ، فما يستطيع له فكاكًا ...

يا غافلًا عن التلف وقد أدركه إدراكًا

يا مغرورًا بسلامته، وقد نصب له الموت إشراكًا ...

تفكر في ارتحالك، وأنت علىٰ حالك، فإن لم تبك فتباكىٰ ...

بكيت فما تبكي شباب صباك ... كفاك نذير الشيب فيك كفاك

ألم ترَ أن الشيب قد قام ناعيًا ... مكان الشباب الغض ثم نعاك

ألم ترَ يومًا مر إلا كأنه ... بإهلاكه للهالكين عناك

ألا أيها الفاني وقد حان حينه ... أتطمع أن تبقى فلست هناك

ستمضي ويبقى ما تراه كما ترى ... فينساك ما خلفته هو ذاك

تموت كما مات الذين نسيتهم ... وتنسى ويهوي الحي بعد هواك

كأنك قد أقصيت بعد تقرب ... إليك وإن باك عليك بكاك

كأن الذي يحثو عليك من الثرى ... يريد بما يحثو عليك رضاك

كأن خطوب الدهر لم تجرِ ساعة ... عليك إذ الخطب الجليل أتاك

ترى الأرض كم فيها رهون دفينة ... غلقن فلم يقبل لهن فكاكا

الكبيرة الثامنة والثلاثون
رضا المطلق بالتحليل وطواعية المرأة المطلقة عليه ورضا الزوج المحلل به

- صح من حديث ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لعن المحلل والمحلل له**» رواه الترمذي، وصححه[1].

قال الترمذي: والعمل على هذا عند أهل العلم: منهم عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعبد الله بن عمر، وهو قول الفقهاء من التابعين.

ورواه الإمام أحمد في مسنده، والنسائي في سننه -أيضًا- بإسناد صحيح.

- وعن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم بالتيس المستعار؟**» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**هو المحلل، لعن الله المحلل والمحلل له**» رواه ابن ماجه بإسناد صحيح[2].

- وعن ابن عباس ﷺ قال: سئل رسول الله ﷺ عن المحلل، فقال: «**لا، إلا نكاح رغبة؛ لا نكاح دلسة، ولا استهزاء بكتاب الله -عز وجل- حتى يذوق العسيلة**» رواه أبو إسحاق الجوزجاني[3].

---

(١) سنن الترمذي (٣/ ٤١٩-٤٢٠).

(٢) ابن ماجه (١/ ٦٢٣).

(٣) قال شيخ الإسلام في (إقامة الدليل) ورواه ابن شاهين في غرائب السنن، والدلسة: من التدليس، وهو الكتمان والتغطية للعيوب، والمدالسة المخادعة، ويقال: فلان لا يدالسك، أي: لا يخادعك، ولا يخفي عليك الشيء، فكأنه يأتيك به في الظلام، والدلس (بالتحريك): الظلمة. وذلك لأن من قصد التحليل فقد دلس مقصودة الذي يبطل العقد، وكتم النية الردية. بمنزلة المخادع المدلس الذي يكتم الشر ويظهر الخير.

وإسناد هذا الحديث جيد إلى إبراهيم بن إسماعيل، فإنه قد اختلف فيه ... إلى أن قال: قال أبو أحمد بن عدي: هو صالح في باب الرواية، ويكتب حديثه على ضعفه، وهذا الذي قاله ابن عدي: عدل من القول، فإن في الرجل ضعفًا لا محالة، وضعفه إنما هو من جهة الحفظ وعدم الإتقان لا من جهة التهمة، وله عدة أحاديث بهذا الإسناد روى منها الترمذي وابن ماجه فمثل هذا يكتب للاعتبار به (٣/ ١٩٥) الفتاوى الكبرى.

- وجاء رجلٌ إلى ابن عمر ﷺ فسأله عن رجل طلق امرأته ثلاثًا، فتزوجها أخٌ له من غير مؤامرة منه، ليحلها لأخيه، هل تحل للأول؟ قال: (لا، إلا نكاح رغبة، كنا نعد هذا سفاحًا على عهد رسول الله ﷺ) صححه الحاكم على شرط البخاري ومسلم[1].

وأما الآثار عن الصحابة والتابعين:

- فقد روى الأثرم وابن المنذر عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: (لا أوتي بمحلل ولا محلل له إلا رجمتهما).

- وسئل عمر بن الخطاب عن تحليل المرأة لزوجها فقال: (ذلك السفاح).

- وعن عبد الله بن شريك العامري قال: سمعت ابن عمر ﷺ وقد سئل عن رجل طلق ابنة عم له، ثم ندم ورغب فيها، فأراد أن يتزوجها ليحلها له فقال ابن عمر: (كلاهما زانٍ، وإن مكثا عشرين سنة، أو نحو ذلك، إذا كان يعلم أنه يريد أن يحللها).

- وعن ابن عباس ﷺ أنه سأله رجل فقال: ابن عمي طلق امرأته ثلاثًا ثم ندم، فقال: (ابن عمك عصى ربه فأندمه، وأطاع الشيطان فلم يجعل له مخرجًا) فقال: كيف ترى في رجل يحلها له؟ فقال: (من يخادع الله يخدعه).

- وقال ابراهيم النخعي: (إذا كان نية أحد الثلاثة: الزوج الأول، أو الزوج الآخر أو المرأة التحليل، فنكاح الآخر باطل، ولا تحل للأول).

- قال الحسن البصري: (إذا هم أحد الثلاثة بالتحليل فقد أفسد).

- وقال سعيد بن المسيب -إمام التابعين- في رجل تزوج امرأة ليحلها لزوجها الأول فقال: (لا تحل).

وممن قال بذلك مالك بن أنس، والليث بن سعد، وسفيان الثوري، والإمام أحمد.

- وقال إسماعيل بن سعيد: سألت الإمام أحمد عن الرجل يتزوج المرأة، وفي نفسه أن يحللها لزوجها الأول، ولم تعلم المرأة بذلك؟

---

(١) وأقره الذهبي (٢/ ١٩٩)

فقال: (هو محلل، وإذا أراد بذلك الإحلال فهو ملعون).

- ومذهب الشافعي ﷺ: إذا شُرط التحليل في العقد بطل العقد؛ لأنه عقد بشرط قطعه دون غايته فبطل كنكاح المتعة.

وإن وجد الشرط -قبل العقد- فالأصح الصحة.

وإن عقد كذلك ولم يشرط في العقد، ولا قبله: لم يفسد العقد.

وإن تزوجها على أنه إذا أحلها طلقها ففيه قولان:

أصحهما: أنه يبطل، ووجه البطلان: أنه شرط يمنع صحته دوام النكاح فأشبه التأقيت وهذا هو الأصح عند الرافعي.

ووجه الثاني: أنه شرط فاسد قارن العقد، فلا يبطل كما لو تزوجها بشرط أن لا يتزوج عليها ولا يسافر بها والله أعلم.

فنسأل الله أن يوفقنا لما يرضيه، ويجنبنا معاصيه، إنه جواد كريم غفور رحيم.

موعظة

لله در قوم تركوا الدنيا قبل تركها ... وأخرجوا قلوبهم بالنفر عن ظلام شكلها.

التقطوا أيام السلامة فغنموا ... وتلذذوا بكلام مولاهم فاستسلموا لأمره وسلموا.

وأخذوا مواهبه بالشكر وسلموا.

هجروا -في طاعته- لذيذ الكرى ... وهربوا إليه من جميع الورى.

وآثروا طاعته إيثار من علم ودرى .. ورضوا فلم يعترضوا على ما جرى.

وباعوا أنفسهم، فيا نعم البيع ويا نعم الشرا.

سلموا إليه لما أسلموا الروح ... وخدموه والصدر لخدمته مشروح.

وقرعوا بابه، وإذا الباب مفتوح ... وواصلوا البكا فالجفن بالدمع مقروح.

وقاموا بالأسحار قيام من يبكي وينوح ... وصبروا على مقطعات الصوف ولبس المسوح.

وراضوا أنفسهم، فإذا المذموم ممدوح ... تعرفهم بسيماهم، عليهم آثار الصدق تلوح.

قد عبقوا بنشر أنسه برائحة ارتياحهم تفوح.

من طيب الثنا روائح لهم بكل مكان تستنشق.

ممسكة النفحات إلا أنها وحشية لسواهم لا تعبق.

الكبيرة التاسعة والثلاثون
التصوير في الثياب والحيطان والحجر والدراهم وسائر الأشياء سواء كانت من شمع أو عجين أو حديد أو نحاس أو صوف أو غير ذلك والأمر بإتلافها

- قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٧].

قال عكرمة: هم الذين يصنعون الصور.

- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة، ويقال لهم: أحيوا ما خلقتم**» مخرج في الصحيحين. (٤/ ٥٤)

- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قدم رسول الله ﷺ من سفر، وقد سترت سهوة لي بقرام فيه تماثيل، فلما رآه رسول الله ﷺ تلون وجهه، ثم تناول الستر فهتكه، وقال: «**يا عائشة أشد الناس عذابًا -عند الله- يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله**».

قالت: فقطعناه فجعلنا منه وسادة أو وسادتين، مخرج في الصحيحين[1]. (٤/ ٥٤)

القرام (بكسر القاف): وهو الستر، والسهوة (كالصفة) تكون بين يدي البيت (قيل: هي الطاق النافذ في الحائط). (٥٩٤)

- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كل مصوِّر في النار يجعل له بكل صورة صورها نفسًا، فتعذبه في جهنم**» مخرج في الصحيحين. (٤/ ٥٥)

- وعنه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من صور صورة في الدنيا كُلِّف أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة وليس بنافخ**» مخرج في الصحيحين كذلك. (٥٩٤)

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله تعالى: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي؟ فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة**» مخرج في الصحيحين. (٥٩٤)

---

(١) مختصر البخاري (٤/ ٥٧)، مختصر مسلم (٣٦٤).

- وعنه قال ﷺ: **«يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان يبصر بهما، وأذنان يسمعان، ولسان ينطق به يقول: إني وكلت بثلاثة: بمن جعل مع الله إلهًا آخر، وبكل جبار عنيد، وبالمصورين»**.

رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

عُنُق (بضم العين والنون): أي طائفة وجانب من النار. (٤/ ٥٦)

- وقال رسول الله ﷺ: **«لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلبٌ ولا صورة»** مخرج في الصحيحين [عن أبي طلحة]. (٤/ ٥٥)

- وفي سنن أبي داود عن علي بن أبي طالب ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تدخل الملائكة بيتًا فيه صورة، ولا جنب، ولا كلب»**. (٤/ ٥٦)

وقال الخطابي رحمه الله تعالى: قوله ﷺ: **«لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب، ولا صورة، ولا جنب»** يريد الملائكة الذين ينزلون بالرحمة والبركة، دون الملائكة الذين هم الحفظة؛ فإنهم لا يفارقون الجنب وغير الجنب.

وقد قيل: إنه لم يرد الجنب الذي أصابته الجنابة، فأخر الاغتسال إلى أوان حضور الصلاة؛ ولكنه الذي يجنب ولا يغتسل، يتهاون بالغسل ويتخذه عادة، فإن النبي ﷺ كان يطوف على نسائه بغسل واحد.

وفي هذا تأخير الاغتسال عن أول وقت وجوبه.

وقالت عائشة ﵂ كان رسول الله ﷺ ينام وهو جنب من غير أن يمس ماء[1].

وأما الكلب فهو أن يقتني كلبًا لا لزرع، ولا لضرع، ولا صيد، فأما إذا اضطر إليه فلا حرج للحاجة إليه في بعض الأمور، أو لحراسة داره إذا اضطر إليه، فلا حرج عليه إن شاء الله[2].

---

(١) عزاه في المنتقى إلى أبي داود والترمذي، وفي تصحيحه اختلاف بين أهل الصنعة، نقله الشوكاني (١/ ٢١٧)، وقد روى أحمد بإسناد رجاله رجال الصحيح عن أم سلمة قالت كان رسول ﷺ يجنب ثم ينتبه ثم ينام، كما في مجمع الزوائد (١/ ٢٧٥).

(٢) يعني على الأصح في مذهب الشافعي؛ لأنه في معنى الثلاثة المنصوص عليها، فيقاس عليها الوجه الثاني: المنع من اتخاذه، وهو مذهب الحنابلة للحديث الصحيح؛ ولأنه ليس في معنى المنصوص عليها فقد يحتال اللص لإخراجه بشيء يطعمه إياه ثم يسرق المتاع وراجع: المهذب (١/ ٢٦١)، المغني (٤/ ١٩١)، فتح الباري (٥/ ٥).

وأما الصور فهي كل مصورٍ من ذوات الأرواح، سواء كانت لها أشخاص منتصبة أو كانت منقوشة في سقف أو جدار، أو موضوعة في نمط، أو منسوجة في ثوب أو مكان، فإن قضية العموم تأتي عليه فليجتنب، وبالله التوفيق[1].

- ويجب إتلاف الصور لمن قدر على إتلافها وإزالتها.

روى مسلم في صحيحه عن حيان بن حصين، قال: قال لي علي بن أبي طالب ﷺ: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ ألا تدع صورة إلَّا طمستها، ولا قبرًا مشرفًا إلَّا سويته (٥٩٥)، فنسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى، إنه جواد كريم.

(١) معالم السنن (١/ ٧٥) وفيه اختلاف ولعل مرجعه اختلاف النسخ.

الكبيرة الأربعون
نشوز المرأة على زوجها

- قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ [النساء: ٣٤]

قال الواحدي رحمه الله تعالى: النشوز -ههنا- معصية الزوج، وهو الترفع عليه بالخلاف.

وقال عطاء: هو أن لا تتعطر له وتمنعه نفسها، وتتغير عما كانت تفعله من الطواعية: ﴿ فَعِظُوهُنَّ ﴾ بكتاب الله، وذكروهن ما أمرهن الله به، ﴿ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ قال ابن عباس: هو أن يوليها ظهره -في الفراش- ولا يكلمها.

وقال الشعبي ومجاهد: هو أن يهجر مضاجعتها، فلا يضاجعها.

﴿ وَٱضْرِبُوهُنَّ ﴾ ضربًا غير مبرح، وقال ابن عباس: أدبًا مثل اللكزة[1].

وللزوج أن يتلافى نشوز امرأته بما أذن الله له مما ذكره الله في هذه الآية ﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ ﴾ فيما يلتمس منهن ﴿ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ ﴾ قال ابن عباس: فلا تتجنوا عليهن العلل.

- وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته فبات غضبان عليها، لعنتها الملائكة حتى تصبح**».

وفي رواية لهما: «**والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها، فتأبى عليه إلَّا كان الذي في السماء ساخطًا عليها، حتى يرضى عنها**».

وفي رواية لهما والنسائي: «**إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح**». (٣/ ٧٨)

- وعن جابر ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**ثلاثة لا تقبل لهم صلاة، ولا تصعد لهم إلى السماء حسنة: العبد الآبق حتى يرجع إلى مواليه، فيضع يده في أيديهم والمرأة الساخط عليها**

---

(١) لكزه (بفتح اللام والكاف والزاي)، لكزًا: ضربه بجمع كفه في صدره. المعجم الوجيز (٥٦٣).

-**زوجها حتى يرضى، والسكران حتى يصحو**» رواه ابن حبان وابن خزيمة في صحيحهما. (٣/ ٧٨-٧٩)

- وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلَّا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلَّا بإذنه**» أخرجه البخاري. (٣/ ٧٧)

ومعنى (شاهد): أي حاضر، غير غائب.

وذلك في صوم التطوع، فلا تصوم حتى تستأذنه؛ لأجل وجوب حقه وطاعته.

- وقال ﷺ: «**لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها**» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. (٣/ ٧٦)

- وعن عمة حصين بن محصن وذكرت زوجها للنبي ﷺ فقال: «**فكيف أنت له؟ فإنه جنتك ونارك**» رواه أحمد والنسائي بإسنادين جيدين. (٤/ ٧٤)

- وعن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا ينظر الله -تبارك وتعالى- إلى امرأة لا تشكر لزوجها، وهي لا تستغني عنه**» رواه النسائي والبزار بإسنادين: رواة أحدهما رواة الصحيح. (٣/ ٧٨)

- وعن أم سلمة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راضٍ دخلت الجنة**» رواه ابن ماجه، والترمذي وحسنه، وصححه الحاكم[1]. (٣/ ٧٣)

- وروي «**أن أول ما تسأل عنه المرأة يوم القيامة عن صلاتها وعن بعلها**».

- وروي كذلك «**أن المرأة إذا خرجت من بيتها وزوجها كاره لعنها كل ملك في السماء، وكل شيء مرت عليه غير الجن والإنس حتى ترجع**».

- فالواجب على المرأة أن تطلب رضا زوجها، وتجتنب سخطه، ولا تمتنع منه متى أرادها لقول النبي ﷺ: «**إذا دعا الرجل زوجته لحاجته؛ فلتأته وإن كانت على التنور**» رواه الترمذي وقال: حديث حسن والنسائي وابن حبان في صحيحه. (٣/ ٧٨)

---

(١) وأقره الذهبي (٤/ ١٧٣).

قال العلماء: إلَّا أن يكون لها عذر من حيض أو نفاس، فلا يحل لها أن تجيئه ولا يحل للرجل -أيضًا- أن يطلب ذلك منها في حال الحيض والنفاس، ولا يجامعها حتىٰ تغتسل، لقول الله تعالىٰ: ﴿ فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، أي: لا تقربوا جماعهن حتىٰ يطهرن.

قال ابن قتيبة ﴿ يَطۡهُرۡنَ ﴾: ينقطع عنهن الدم، ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ ﴾: أي اغتسلن بالماء والله أعلم.

لما روي أن «**من أتى حائضًا أو امرأة في دبرها أو كاهنا فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ**»[١].

وفي حديث آخر: «**لعن الله الذين يأتون النساء في محاشهن**» رواه الطبراني من رواية عبد الصمد بن الفضل[٢]. (٢/ ٢٠١)

والنفاس مثل الحيض إلىٰ الأربعين: فلا يحل للمرأة أن تطيع زوجها إذا أراد إتيانها في حال الحيض والنفاس، وتطيعه فيما عدا ذلك.

- وينبغي للمرأة أن تعرف أنها كالمملوك للزوج، فلا تتصرف في نفسها، ولا في ماله إلَّا بإذنه، وتقدم حقه علىٰ حقها، وحقوق أقاربه علىٰ حقوق أقاربها، وتكون مستعدة لتمتعه بها، بجميع أسباب النظافة، ولا تفتخر عليه بجمالها، ولا تعيبه بقبح إن كان فيه.

- قال الأصمعي: دخلت البادية، فإذا امرأة حسناء لها بعل قبيح، فقلت لها: كيف ترضين لنفسك أن تكوني تحت مثل هذا؟

فقالت: اسمع يا هذا، لعله أحسن فيما بينه وبين الله خالقه فجعلني جزاءه ولعلي أسأت؛ فجعله عقوبتي.

- وقالت عائشة ﵂: يا معشر النساء، لو تعلمن بحق أزواجكن عليكن لجعلت المرأة منكن تمسح الغبار عن قدمي زوجها بخد وجهها.

---

(١) أعله المنذري بجهالة حكيم الأثرم والانقطاع بين أبي تميمة وأبي هريرة (٣/ ٢٠١).

(٢) قال المنذري: لا بأس به، لم أرَ فيه جرحًا، ونقل المناوي عن الذهبي نحوه (٢/ ١٠٢أ).

- وروي أن «**نساءكم في الجنة: كل ودود ولود، إذا غضبت أو أسيء إليها أو غضب زوجها، قالت: هذه يدي في يدك، لا أكتحل بغمض**[1] **حتى ترضى**».

- ويجب على المرأة -أيضًا- دوام الحياء من زوجها، وغض طرفها قدامه، والطاعة لأمره والسكوت عند كلامه، والقيام عند قدومه، والابتعاد عن جميع ما يسخطه، القيام معه عند خروجه، وعرض نفسها عليه عند نومه، وترك الخيانة له في غيبته في فراشه وماله وبيته.

ويجب عليها أن تحرص على طيب الرائحة وتعاهد الفم بالسواك وبالمسك والطيب ودوام الزينة بحضرته، وتركها لغيبته، وإكرام أهله وأقاربه، وترى القليل منه كثيرًا.

فصل
في فضل المرأة الطائعة لزوجها، وشدة عذاب العاصية

- ينبغي للمرأة الخائفة من الله تعالى أن تجتهد لطاعة الله وطاعة زوجها، وتطلب رضاه جهدها فهو جنتها ونارها.

- لقول النبي ﷺ: «**أيما امرأة ماتت، وزوجها عنها راضٍ دخلت الجنة**» حسنه الترمذي وصححه الحاكم. (٣/ ٧٣)

- وفي الحديث أيضًا: «**إذا صلت المرأة خمسها، وحصنت فرجها، وأطاعت بعلها دخلت من أي أبواب الجنة شاءت**» رواه ابن حبان في صحيحه. (٣/ ٧٣)

- وروي أنه يستغفر للمرأة المطيعة لزوجها الطير في الهواء، والحيتان في الماء، والملائكة في السماء، والشمس والقمر ما دامت في رضا زوجها.

وأيما امرأة عصت زوجها فعليها لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

وأيما امرأة كلحت في وجه زوجها فهي في سخط الله إلى أن تضاحكه وتسترضيه.

وأيما امرأة خرجت من دارها بغير إذن زوجها؛ لعنتها الملائكة حتى ترجع.

---

(١) قال في الوجيز: ما اكتحلت عيني بغمض (بضم فسكون): لم أنم (٥٢٩).

- وقال النبي ﷺ: «**اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء**» وذلك بسبب قلة طاعتهن لله ورسوله، ولأزواجهن، وكثرة تبرجهن.

والتبرج: إذا أرادت الخروج لبست أفخر ثيابها، وتجملت وتحسنت، وخرجت تفتن الناس بنفسها، فإن سلمت هي بنفسها لم يسلم الناس منها.

- ولهذا قال النبي ﷺ: «**المرأة عورة، وإنها إذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان**» رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح. (١/ ١٣٥)

وأعظم ما تكون المرأة [قربًا] من الله ما كانت في بيتها.

- وفي الحديث أيضًا: «**النساء عورة وإن المرأة لتخرج من بيتها، وما بها بأس، فيستشرفها الشيطان، فيقول: إنك لا تمرين بأحد إلَّا أعجبته، وإن المرأة لتلبس ثيابها، فيقال: أين تريدين؟ فتقول: أعود مريضًا، أو أشهد جنازة، أو أصلي في مسجد، وما عبدت امرأة ربها مثل أن تعبده في بيتها**» رواه الطبراني، وإسناد هذه [الرواية] حسن. (١/ ١٣٦)

قوله: «**فيستشرفها الشيطان**» أي: ينتصب ويرفع بصره إليها ويهم بها؛ لأنها قد تعاطت سببًا من أسباب تسلطه عليها، وهو خروجها من بيتها.

فلا يزال بها الشيطان حتى تخرج عن دارها، وما التمست المرأة رضا الله بمثل أن تقعد في بيتها، وتعبد ربها وتطيع بعلها.

- وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال لزوجه فاطمة رضي الله عنها: يا فاطمة، ما خير للمرأة؟ قالت: أن لا ترى الرجال ولا يروها.

- وكان علي رضي الله عنه يقول: ألا تستحيون! ألا تغارون! يترك أحدكم امرأته تخرج بين الرجال تنظر إليهم، وينظرون إليها.

- وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كنت عند رسول الله ﷺ وعنده ميمونة فأقبل ابن أم مكتوم، وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب، فقال النبي ﷺ: «**احتجبا منه**» فقلنا: يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا؟ فقال النبي ﷺ: «**أفعمياوان أنتما؟! ألستما تبصرانه؟!**» رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح. (٥٧٩)

فكما أنه ينبغي للرجل أن يغض طرفه عن النساء، فكذلك ينبغي للمرأة أن تغض طرفها عن الرجال كما تقدم من قول فاطمة ﵂: إن خير ما للمرأة أن لا ترى الرجال ولا يروها.

فإن اضطرت للخروج لزيارة والديها وأقاربها، ولأجل حمام ونحوه مما لا بد لها منه، فلتخرج بإذن زوجها غير متبرجة في ملحفة وسخة وفي ثياب بيتها، وتغض طرفها في مشيتها، وتنظر إلى الأرض لا يمينًا ولا شمالًا، فإن لم تفعل ذلك، وإلا كانت عاصية.

- وقد حكي أن امرأة كانت من المتبرجات في الدنيا، كانت تخرج من بيتها متبرجة، فماتت فرآها بعض أهلها في المنام، وقد وردت على الله -عز وجل- في ثياب رقاق، فهبت ريح فكشفتها فأعرض الله عنها، وقال: خذوا بها ذات الشمال إلى النار، فإنها كانت من المتبرجات في الدنيا.

- وعن معاذ بن جبل ﵁ عن النبي ﷺ قال: «**لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلَّا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك الله، فإنما هو عندك دخيل، يوشك أن يفارقك إلينا**» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن. (١٤٣)

فصل

وإذا كانت المرأة مأمورة بطاعة زوجها وبطلب رضاه؛ فالزوج -أيضًا- مأمور بالإحسان إليها واللطف بها والصبر على ما يبدو منها من سوء خلق وغيره، وإيصالها حقها من النفقة والكسوة والعشرة الجميلة لقوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ [النساء: ١٩].

ولقول النبي ﷺ: «**ألا واستوصوا بالنساء خيرًا، فإنما هن عوانٍ عندكم، ليس تملكون منهن شيئًا غير ذلك، إلَّا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربًا غير مبرح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلًا.**

ألا إن لكم على نسائكم حقًّا، ولنسائكم عليكم حقًّا، فحقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن» رواه ابن ماجه، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح. (٣/ ٧٣)

وقوله ﷺ: «**عوان**» أي: أسيرات، جمع عانية، وهي الأسيرة، شبه رسول الله ﷺ المرأة -في دخولها- تحت حكم الرجل بالأسير.

- وقال ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله**» رواه ابن حبان في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها. (٤/ ٤٢)

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا وخياركم، خياركم لنسائهم**» رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. (٣/ ٧٢)

- وجاء في الأثر: «**أيما رجل صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب على بلائه**».

وأيما امرأة صبرت على سوء خُلق زوجها أعطاها الله من الأجر مثل ما أعطى آسية بنت مزاحم امرأة فرعون)

- وقد روي أن رجلًا جاء إلى عمر رضي الله عنه يشكو سوء خلق زوجته، فوقف على باب عمر ينتظر خروجه فسمع امرأة عمر تستطيل عليه بلسانها، وتخاصمه وعمر ساكت لا يرد عليها، فانصرف الرجل راجعًا، وقال: إن كان هذا حال عمر مع شدته وصلابته، وهو أمير المؤمنين فكيف حالي؟ فخرج عمر فرآه موليًا عن بابه، فناداه، وقال: ما حاجتك يا رجل؟

فقال: يا أمير المؤمنين جئت أشكو إليك سوء خلق امرأتي، واستطالتها عليَّ فسمعت زوجتك كذلك فرجعت، وقلت: إذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالي؟ فقال عمر: يا أخي إني احتملتها لحقوق لها عليَّ؛ إنها طباخة لطعامي خبازة لخبزي، غسالة لثيابي، مرضعة لولدي، وليس ذلك كله بواجب عليها، ويسكن قلبي بها عن الحرام، فأنا احتملتها لذلك، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، وكذلك زوجتي، قال عمر: فاحتملها يا أخي، فإنما هي مدة يسيرة.

حكاية

وحكي أن بعض الصالحين كان له أخٌ في الله، وكان من الصالحين يزوره في كل سنة مرة، فجاء لزيارته فطرق الباب، فقالت امرأته: من؟ فقال: أخو زوجك في الله، جئت لزيارته، فقالت: راح يحتطب لا رده الله ولا سلمه، وفعل به وفعل، وجعلت تتمذم عليه، فبينما هو واقف على الباب وإذا بأخيه قد أقبل من نحو الجبل وقد حمل حزمة الحطب على ظهر أسد وهو يسوقه بين يديه فجاء فسلَّم على أخيه ورحَّب به ودخل المنزل وأدخل الحطب، وقال للأسد: اذهب بارك الله فيك ثم أدخل أخاه والمرأة على حالها تتمذم وتأخذ بلسانها وزوجها لا يرد عليها، فأكل مع أخيه شيئًا ثم ودعه وانصرف وهو متعجب من صبر أخيه على تلك المرأة.

قال: فلما كان العام الثاني جاء أخوه لزيارته على عادته فطرق الباب فقالت امرأته: من بالباب؟ قال: أخو زوجك فلان في الله، فقالت: مرحبًا بك وأهلًا وسهلًا اجلس فإنه سيأتي إن شاء الله بخير وعافية.

قال: فتعجب الرجل من لطف كلامها وأدبها، إذ جاء أخوه وهو يحمل الحطب على ظهره فتعجب أيضًا لذلك، فجاء فسلَّم عليه ودخل الدار وأدخله، وأحضرت المرأة طعامًا لهما وجعلت تدعو لهما بكلام لطيف فلما أراد أن يفارقه قال: يا أخي أخبرني عما أريد أن أسألك عنه قال: وما هو يا أخي؟

قال: العام الأول أتيتك فسمعت كلام امرأة بذيئة اللسان قليلة الأدب تذم كثيرًا ورأيتك قد أتيت من نحو الجبل والحطب على ظهر الأسد، وهو مسخر بين يديك، ورأيت العام كلام المرأة لطيفًا ولا تذمذم، ورأيتك قد أتيت بالحطب على ظهرك فما السبب؟

قال: يا أخي توفيت تلك المرأة الشرسة، وكنت صابرًا على خُلقها وما يبدو منها، كنت معها في تعب وأنا أحتملها كأن الله قد سخر لي الأسد الذي رأيت يحمل عني الحطب بصبري عليها، واحتمالي لها، فلما توفيت تزوجت هذه المرأة الصالحة، وأنا في راحة معها، فانقطع عني الأسد فاحتجت أن أحمل الحطب على ظهري لأجل راحتي مع هذه المرأة المباركة الطائعة.

فنسأل الله أن يرزقنا الصبر على ما يحب ويرضى إنه جواد كريم.

الكبيرة الحادية والأربعون
الدياثة والقيادة بين الرجال والنساء

- قال تعالى: ﴿ **ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [النور: ٣].

أفادت هذه الآية: أن الفاسق الخبيث -الذي من شأنه الزنا والفسق- لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء، وإنما يرغب في فاسقة خبيثة مثله أو في مشركة، والفاسقة الخبيثة لا يرغب في نكاحها الصلحاء من الرجال، وإنما يرغب فيها الفسقة والمشركون[1].

وأفادت تحريم نكاح الزانية؛ لأن الله أخبر أن من نكحها فهو إمَّا زان أو مشرك، فإنه إمَّا أن يلتزم حكمه سبحانه ويعتقد وجوبه عليه أو لا، فإن لم يلتزمه ولم يعتقده فهو مشرك، وإن التزمه واعتقد وجوبه وخالفه فهو زان، ثم صرح بتحريمه فقال: ﴿ **وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [النور: ٣][2].

- عند عبد الله بن عمر ﵄ عن النبي ﷺ قال: « **ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه والديوث، ورجلة النساء** » إسناده صحيح، رواه النسائي، والبزار وصححه الحاكم[3].
(٣/ ١٠٦)

- وعن عمار بن ياسر ﵁ عن رسول الله ﷺ قال: «**ثلاثة لا يدخلون الجنة أبدًا: الديوث والرجلة من النساء ومدمن الخمر**» قالوا: يا رسول الله، أما مدمن الخمر فقد عرفناه، فما الديوث؟ قال: «**الذي لا يبالي من دخل على أهله**».

قلنا: فما الرجلة من النساء؟ قال: «**التي تشبه بالرجال**» رواه الطبراني، ورواته ليس فيهم مجروح.
(٣/ ١٠٦-١٠٧)

---

(١) أفاد الرازي ونقله في صفة التفاسير (٩٢٢).

(٢) قرره ابن القيم في زاد المعاد (٤/ ٧).

(٣) وأقره الذهبي (١/ ٧٢)، ونقله المناوي (٣/ ٣٢٧)، ونقل تصحيحه عنه في الكبائر أيضًا، وهو في الكبائر وتبيين المحارم (١٠٠/ ١٠١).

- وقال المصنف رحمه الله تعالىٰ: فمن كان يظن بأهله الفاحشة، ويتغافل لمحبته فيها أو لأن لها عليه دينًا وهو عاجز أو صداقًا ثقيلًا، أو له أطفال صغار فترفعه إلىٰ القاضي وتطلب فرضهم، فهو دون من يعرس عليها، ولا خير فيمن لا غيرة له [والقَوَّادة التي لا تزال بالحرة حتىٰ تصير بغيًّا، عليها وزران]، فنسأل الله العافية من كل بلاء ومحنة، إنه جواد كريم.

موعظة

أيها المشغول بالشهوات الفانيات... متىٰ تستعد لمهات آت؟

حتىٰ متىٰ لا تجتهد في لحق القوافل الماضيات؟

أتطمع وأنت رهين الوساد في لحاق السادات؟ ...هيهات هيهات هيهات.

يا آملًا في زعمه اللذات... احذر هجوم هازم اللذات، احذر مكائده، فهي كوامن في عدة الأنفاس واللحظات.

تمضي حلاوة ما كتمت وبعدها ... تبقى عليك مرارة التبعات

يا حسرة العاصين يوم معادهم ... لو أنهم سبقوا إلى الجنات

لو لم يكن إلّا الحياء من الذي ... ستر العيوب لأكثروا الحسرات

يا من صحيفته بالذنوب قد حُفَّت.. وموازينه بكثرة الذنوب قد خَفَّت.

أما رأيت أكفاء عن مطامعها كفت؟.. أما رأيت عرائس آحاد إلىٰ اللحود قد زفت؟

أما عاينت أبدان المترفين، وقد أدرجت في الأكفان ولُفَّت؟

أما عاينت طور الأجسام في الأرحام؟

ومتىٰ تنتبه لخلاص نفسك أيها الناعس؟

متىٰ تعتبر بربع غيرك الدارس؟ .. أين الأكاسرة الشجعان الفوارس؟

وأين المنعمون بالجواري والظباء الخنس الكوانس؟

أين المتكبرون ذوو الوجوه العوابس؟

أين من اعتاد سعة القصور؟.. حبس في القبور في أضيق المحابس.

أين الرافل في أثوابه؟ عرىً في ترابه عن الملابس.

أين الغافل في أمله وأهله؟.. عن أجله سلبته أكف الخالس[1].

أين جامع الأموال؟.. سلب المحروس وهلك الحارس.

حق لمن علم مكر الدنيا أن يهجرها.. ولمن جهل نفسه أن يزجرها.

ولمن تحقق نقلته أن يذكرها.. ولمن غمر بالنعماء أن يشكرها.

ولمن دعا إلى دار السلام أن يقطع مفاوز الهوىٰ ليحضرها.

---

(١) الخلس: الأخذ في نهزة ومخاتلة، والمراد الموت الذي يخلس الإنسان روحه (اللسان).

الكبيرة الثانية والأربعون
قذف المحصنات

- قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النور: ٢٣-٢٤].

- وقال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٤].

بيَّن الله تعالى أن من قذف امرأة محصنة حرة عفيفة عن الزنا والفاحشة أنه ملعون في الدنيا والآخرة، وله عذاب عظيم، وعليه في الدنيا الحد ثمانون جلدة، وتسقط شهادته، وإن كان عدلًا.

- وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**اجتنبوا السبع الموبقات...**» فذكر منها: «**قذف المحصنات الغافلات المؤمنات**». (٣/ ٢٨٩)

- والقذف: أن يقول لامرأة أجنبية حرة عفيفة مسلمة: يا زانية، أو يا باغية، أو يا قحبة، أو يقول لزوجها: يا زوج القحبة، أو يقول لولدها: يا ولد القحبة، أو يا ابن القحبة، أو يقول لبنتها: يا بنت الزانية، أو يا بنت القحبة؛ فإن القحبة عبارة عن الزانية.

- فإذا قال ذلك أحد من رجل أو امرأة لرجل أو امرأة، كمن قال لرجل: يا زاني، أو قال لصبي حر: يا علق، أو يا منكوح وجب عليه الحد ثمانون جلدة، إلَّا أن يقيم بينة بذلك.

والبينة -كما قال الله- أربعة شهداء يشهدون على صدقه فيما قذف به تلك المرأة، أو ذاك الرجل، فإن لم يقم بينة جلده إذا طالبَتْه بذلك التي قذفها، أو إذا طالبه بذلك الذي قذفه.

- وكذلك إذا قذف مملوكه أو جاريته؛ بأن قال لمملوكه: يا زاني، أو لجاريته: يا زانية، أو يا باغية، أو يا قحبة.

لما ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من قذف مملوكه بالزنا يقام عليه الحد يوم القيامة إلَّا أن يكون كما قال**» (٣/ ٢٨٩)

- وكثير من الجهال واقعون في هذا الكلام الفاحش الذي عليهم فيه العقوبة في الدنيا والآخرة.

- ولهذا ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب**»؛ قوله: «**ما يتبين فيها**»، أي: ما يتفكر هل هي خير أو شر؟، و«**يزل**»: يهوي. (٤/ ٩)

- وعن عبد الله بن مسعود س قال: سمعت رسول الله ج يقول: «**أكثر خطأ ابن آدم في لسانه**» رواه الطبراني، ورواته رواة الصحيح، وأبو الشيخ في الثواب، والبيهقي بإسناد حسن. (٤/ ٨)

- وفي الحديث: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا، أو ليصمت**» متفق عليه. (٥٣٢)

- وعن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**طوبى لمن ملك لسانه، ووسعه بيته، وبكى على خطيئته**» رواه الطبراني في الأوسط والصغير وحسَّن إسناده. (٤/ ٣)

- وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان، ولا الفاحش، ولا البذي**» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن. (٥٥٣)

والفاحش: ذو الفحش والخنا من قول وفعل، وهو كل ما يشتد قُبحه من الذنوب والمعاصي.

والبذي: هو الذي يتكلم بالفحش ورديء الكلام.

وقانا الله وإياكم شر ألسنتنا بمنه وكرمه إنه جواد كريم.

فائدة:

قال المصنف في الصغرى: وأما من قذف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بعد نزول براءتها من السماء، فهو كافر مكذب للقرآن؛ فيقتل[1].

(١) هذه الفائدة زيادة من الكبائر وتبيين المحارم (٨٣).

الكبيرة الثالثة والأربعون
اللعن

- قال النبي ﷺ: «**سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر**» رواه البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود. (٥٥٦)

- وقال ﷺ: «**لعن المؤمن كقتله**» رواه البخاري ومسلم. (٥٥٣)

- وفي صحيح مسلم عن أبي الدرداء ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا يكون اللعانون شفعاء، ولا شهداء يوم القيامة**».

- وفيه أيضًا: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال عليه الصلاة والسلام: «**لا ينبغي لصديق أن يكون لعانًا**». (٥٥٣)

- وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان، ولا الفاحش، ولا البذي**» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن. (٥٥٣)

- وعن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن العبد إذا لعن شيئًا صعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها، ثم تهبط إلى الأرض، فتغلق أبوابها، ثم تأخذ يمينًا وشمالًا، فإذا لم تجد مساغًا، رجعت إلى الذي لعن فإن كان أهلًا لذلك، وإلا رجعت إلى قائلها**» رواه أبو داود. (٥٥٣)

- وقد عاقب النبي ﷺ من لعنت ناقتها بأن سلبها إياها.

قال عمران بن حصين: (بينما رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، وامرأة من الأنصار على ناقة فضجرت فلعنتها، فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**خذوا ما عليها، ودعوها فإنها ملعونة**». قال عمران: فكأني أراها الآن تمشي بين الناس ما يعرض لها أحد) رواه مسلم. (٥٥٤)

- وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إن أربى الربا استطالة المرء في عرض أخيه**» رواه البزار بإسنادين أحدهما قوي. (٣/ ٢٩٦)

- وعن عمرو بن قيس، قال: إذا ركب الرجل دابته قالت: اللهم اجعله بي رفيقًا رحيمًا فإذا لعنها قالت: على أعصانا لله ورسوله لعنة الله عزَّ وجلَّ.

فصل

في جواز لعن أصحاب المعاصي غير المعينين المعروفين

- قال الله تعالىٰ: ﴿ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود: ١٨]

- وقال: ﴿ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [آل عمران: ٦١].

- وثبت عن رسول الله ﷺ أنه: «**لعن آكل الربا، وموكله، وكاتبه، وشاهديه**» رواه مسلم. (٣/ ٤٩)

- وأنه قال: «**لعن الله المحلل والمحلل له**» رواه ابن ماجه بإسناد صحيح.

- وأنه: «**لعن الواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة**» رواه البخاري ومسلم وغيرهما. (٣/ ١١٤)

و(الواصلة): هي التي تصل شعرها؛ و(المستوصلة): هي التي يوصل لها.

- وعن ابن عباس ﭭ، قال: لعنت الواصلة والمستوصلة والمتنمصة والواشمة من غير داء. رواه أبو داود وغيره. (٣/ ١١٤)

و(النامصة): هي التي تنتف الشعر من الحاجبين، و(المتنمصة): التي يُفْعَل بها ذلك.

- وعن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ: «**لعن الخامشة وجهها، والشاقة جيبها، والداعية بالويل والثبور**»[(١)] رواه ابن ماجه، وابن حبان في صحيحه. (٤/ ١٧٩)

- وعن أبي موسىٰ أنهﷺ: «**لعن من حلق، أو خرق، أو سلق**» رواه أحمد والنسائي[(٢)].

قوله (من حلق): أي رأسه، أو لحيته لمصيبة، (أو سلق) بالتخفيف، أي: رفع صوته بالعويل والندب، (أو خرق)، أي: ثوبه[(٣)].

---

(١) قال في الزوائد: إسناده صحيح (١/ ٥٠٥).

(٢) أحمد (٤/ ٤٠٥)، والنسائي (٤/ ٢١) وقد ذكر الذهبي هذا الحديث في أصل الكتاب بلفظ أنه صلىٰ الله عليه وسلم لعن الصالقة والحالقة والشاقة. وكأنه -رحمه الله- ذكر الحديث بالمعنىٰ.

(٣) وكل هذه الأفعال مشعرة بعدم الرضا بالقضاء والسخط فامتنعت لذلك (٢/ ١٧١) إحكام الأحكام.

- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «**ملعون من سب أباه، ملعون من سب أمه، ملعون من ذبح لغير الله، ملعون من غيَّر تخوم الأرض، ملعون من كمه أعمى عن طريق، ملعون من وقع على بهيمة، ملعون من عمل بعمل قوم لوط**» خرَّجه الإمام أحمد[1].

- [وأنه ﷺ قال: «**لعن الله العاق لوالديه**» رواه الطبراني، وصححه الحاكم[2] وإسناده حسن].

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ملعون من أتى امرأته في دبرها**» خرَّجه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه[3].

- **ولعن النائحة ومَنْ حولها:**

فعن أبي سعيد الخدري قال: لعن رسول الله ﷺ النائحة والمستمعة. رواه أبو داود وليس في إسناده من ترك. (٤/ ١٧٧)

- **ولعن السارق:**

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «**لعن الله السارق: يسرق البيضة فتقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده**».

قال الأعمش: (كانوا يرون أنه بيض الحديد، والحبل: كانوا يرون أن منها ما يساوي دراهم) رواه البخاري ومسلم وأحمد[4].

- **ولعن من سَبَّ الصحابة:**

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي، لعن الله من سب أصحابي**» رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير علي بن سهل وهو ثقة[5].

---

(١) قال الشيخ شاكر (٣/ ٢٦٦): إسناده صحيح.

(٢) المستدرك (٤/ ١٥٣).

(٣) مختصر السنن (٣/ ٧٧-٧٩).

(٤) نيل الأوطار (٧/ ١٢٤).

(٥) مجمع الزوائد (١٠/ ٢١).

- **ولعن المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء، وراكب الفلاة وحده:**

فعن أبي هريرة ﷺ قال: (لعن رسول الله ﷺ مخنثي الرجال الذين يتشبهون بالنساء، والمترجلات من النساء المتشبهات بالرجال، وراكب الفلاة وحده) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح إلَّا طيب بن محمد، وفيه مقال، والحديث حسن. (٣/ ١٠٦)

- **ولعن المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال:**

فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: (لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال) رواه البخاري وغيره. (٣/ ١٠٥)

- **ولعن المرأة تلبس لبسة الرجل، والرجل يلبس لبسة المرأة:**

فعن أبي هريرة ﷺ قال: (لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل) رواه أبو داود بإسناد صحيح. (٥٨١)

- **ولعن من سل سخيمته على الطريق، يعني: يتغوط على طريق الناس:**

فعن حذيفة بن أسيد أن النبي ﷺ قال: «**من آذى المسلمين في طرقهم وجبت عليه لعنتهم**» رواه الطبراني في الكبير بإسناد حسن. (١/ ٨٣)

- **ولعن من أشار إلى أخيه بحديدة:**

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو القاسم ﷺ: «**من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى ينتهي، وإن كان أخاه لأبيه وأمه**» رواه مسلم. (٣/ ٢٩١)

- **ولعن مانع الصدقة، يعني: الزكاة:**

فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: (آكل الربا وموكله وشاهداه، إذا علماه، والواشمة والموتشمة، ولاوي الصدقة، والمرتد أعرابيًّا بعد الهجرة ملعونون على لسان محمد ﷺ يوم القيامة) رواه ابن خزيمة[1].

- **ولعن من أخفر مسلمًا، يعني: خذله ولم ينصره، ومن انتسب إلى غير أبيه، أو تولى غير مواليه:**

---

(١) صحيح ابن خزيمة (٤/ ٨)، قال الشيخ ناصر: إسناده حسن لغيره.

فعن علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «وذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم فمن أخفر مسلمًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة عدلًا ولا صرفًا».

«ومن ادعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة عدلًا ولا صرفًا» رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

(٣/ ٨٨)

- ولعن من كوى دابة في وجهها:

فعن ابن عباس ﷺ: أن النبي ﷺ مر على حمار قد وسم في وجهه، فقال: «لعن الله الذي وسمه في وجهه» رواه مسلم.

ورواه الطبراني بإسناد جيد، مختصرًا أن رسول الله ﷺ: «لعن من يسم الوجه».

(٣/ ٦٥)

- ولعن المرأة إذا باتت هاجرة فراش زوجها حتى ترجع، ولعنها إذا باتت وزوجها عليها ساخط:

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته، فبات غضبان عليها، لعنتها الملائكة حتى تصبح» رواه البخاري ومسلم وأبو داود.

(٣/ ٧٨)

- لعن المرأة إذا خرجت بغير إذن زوجها:

فعن ابن عمر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن المرأة إذا خرجت من بيتها، وزوجها كاره، لعنها كل ملك في السماء، وكل شيء مرت عليه، غير الجن والإنس، حتى ترجع» رواه الطبراني في الأوسط[١] ورواته ثقات إلَّا سويد بن عبد العزيز. (٣/ ٧٩)

- ولعن تارك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر إذا أمكنه:

---

(١) قال الهيثمي (٤/ ٣١٣): وفيه سويد بن عبد العزيز وهو متروك، وقد وثقه دحيم وغيره، وبقية رجاله ثقات.

فعن أبي موسىٰ عن النبيﷺ قال: «إن من كان قبلكم من بني إسرائيل إذا عمل فيهم العامل الخطيئة فنهاه الناهي تعذيرًا، فإذا كان من الغد جالسه وواكله وشاربه كأنه لم يره على خطيئة بالأمس؛ فلما رأى الله تعالى ذلك منهم ضرب قلوب بعضهم على بعض ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم؛ ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر، ولتأخذن على أيدي المسيء، ولتأطرنه على الحق أطرًا، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض، ويلعنكم كما لعنهم» رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح[1]. قوله: «لتأطرنه»، أي: تعطفوه عليه.

- ولعن الوالي إذا لم يكن فيه رحمة:

فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قام رسول اللهﷺ علىٰ بيت فيه نفر من قريش، فأخذ بعضادتي الباب، فقال: «هل في البيت إلَّا قرشي؟»، فقالوا: لا إلَّا ابن أخت لنا، قال: «ابن أخت القوم منهم»، ثم قال: «إن هذا الأمر في قريش ما إذا استرحموا رحموا، وإذا حكموا عدلوا، وإذا قسموا أقسطوا، ومن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» رواه الطبراني في الأوسط، ورواته ثقات. (٣/ ١٥٥)

- ولعن الشافع والمشفع في حد من حدود الله إذا بلغ الحاكم:

فرُوِي عن عروة بن الزبير عن أبيه قال: لقي الزبير سارقًا، فشفع فيه، فقيل له: حتىٰ تبلغه الإمام.

فقال: (إذا بلغ الإمام فلعن الله الشافع والمشفع كما قال رسول اللهﷺ) رواه الطبراني في الأوسط والصغير، وفيه أبو غزية محمد بن موسىٰ الأنصاري ضعَّفه أبو حاتم وغيره، وعبد الرحمن بن أبي الزناد ضعيف[2].

- ولعن الراشي والمرتشي في الحكم، والرائش يعني: الساعي بينهما:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (لعن رسول اللهﷺ الراشي والمرتشي في الحكم)

---

(١) مجمع الزوائد (٧/ ٢٦٩).
(٢) مجمع الزائد (٦/ ٢٥٩) قال الحافظ: وهو عند ابن أبي شيبة بسند حسن عن الزبير موقوفًا (١٢/ ٧٢) فتح الباري.

رواه الترمذي وحسنه، وابن حبان في صحيحه، والحاكم، وزادوا: «... **والرائش**».
(٣/ ١٤٣)

- **ولعن ناكح الأم وابنتها:**

فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**ملعون من جمع بين امرأة وابنتها**» رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح إلَّا محرز بن هارون التيمي... قد حسَّن له الترمذي، ومشاه بعضهم.
(٣/ ١٩٨)

وروىٰ الإمام أحمد بسند صحيح من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أتاني جبريل فقال: يا محمد إن الله لعن الخمر، وعاصرها، ومعتصرها، وشاربها، وحاملها، والمحمولة إليه، وبائعها، ومبتاعها، وساقيها، ومسقاها**» وصححه ابن حبان، والحاكم[1].
(٣/ ١٨١)

- **ولعن المصورين:**

فعن أبي جحيفة ﷺ قال: (نهىٰ النبي ﷺ عن ثمن الكلب وثمن الدم، ونهىٰ عن الواشمة والموشومة، وآكل الربا وموكله، ولعن المصوِّر) خرَّجه البخاري[2].

- **ولعن من كتم العلم:**

ففي التنزيل: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ** ﴾ [البقرة: ١٥٩].

- **ولعن المتبتلين من الرجال؛ الذين يقولون: لا نتزوج، والمتبتلات من النساء، ولعن راكب الفلاة وحده:**

فعن أبي هريرة قال: (لعن رسول الله ﷺ مخنثي الرجال؛ الذين يتشبهون بالنساء، والمترجلات من النساء المتشبهين بالرجال، والمتبتلين من الرجال؛ الذين يقولون: لا

---

(١) رواه الحاكم (١/ ٣٦) وصححه وأقره الذهبي، لكنه أعلَّه (٤/ ٩٠) بعبد الله بن وهب، ولم يحتج به أحد، قال: والحديث واهٍ بمرة اهـ، وخرَّجه الترمذي (٤/ ٤٥٧)، ورجح إرساله.
(٢) صحيح البخاري (٣/ ٧٨).

نتزوج، والمتبتلات من النساء؛ اللائي يقلن ذلك، وراكب الفلاة وحده، فاشتد ذلك علىٰ أصحاب رسول الله ﷺ حتىٰ استبان ذلك في وجوههم، وقال: «**والبائت وحده**» رواه الإمام أحمد[1].

نعوذ بالله من لعنته ولعنة رسوله[2].

فصل

- اعلم أن لعن المسلم المصون حرام بإجماع المسلمين، ويجوز لعن أصحاب الأوصاف المذمومة كقولك: لعن الله الظالمين، لعن الله الكافرين، لعن الله اليهود والنصارىٰ، لعن الله الفاسقين، لعن الله المصوِّرين، ونحو ذلك مما تقدم.

- وأما لعن إنسان بعينه ممن اتصف بشيء من المعاصي؛ كيهودي، أو نصراني، أو ظالم، أو زان، أو سارق، أو آكل الربا؛ فظواهر الأحاديث أنه ليس بحرام، وأشار الغزالي رحمه الله إلىٰ تحريمه إلَّا في حق من علمنا أنه مات علىٰ الكفر؛ كأبي لهب، وأبي جهل، وفرعون، وهامان، وأشباههم.

قال: وأما الذين لعنهم رسول الله ﷺ بأعيانهم كما قال: «**اللهم العن رعلًا وذكوان وعصية عصوا الله ورسوله**[3]» وهذه ثلاث قبائل من العرب فيجوز أنه ﷺ علم موتهم علىٰ الكفر.

---

(١) المسند (١٥/ ١٠)، قال الشيخ شاكر: إسناده صحيح.

(٢) وقد ذكر الإمام الذهبي أنه ﷺ لعن من أمَّ قومًا وهم له كارهون، ولعن رجلًا سمع حي علىٰ الصلاة حي علىٰ الفلاح، ثم لم يجب.

ولعله استند إلىٰ ما خرَّجه الترمذي من حديث أنس بن مالك: (لعن رسول الله ﷺ ثلاثة: رجل أمَّ قومًا وهم له كارهون، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، ورجل سمع حي علىٰ الفلاح ثم لم يجب).

لكن ضعَّفه ورجَّح إرساله فقال: حديث أنس لا يصح؛ لأنه قد روىٰ هذا الحديث عن الحسن عن النبي ﷺ مرسل، (٢/ ١٩١-١٩٢).

وذكر كذلك لعن السلتاء، قال: والمرأة السلتاء التي لا تخضب يدها والمرأة المرهاء التي لا تكتحل.

لكن لم أجد مستندًا لذلك، ولعل الله يهدينا للوصول إليه.

(٣) صحيح مسلم (١/ ٤٦٧-٤٧٠).

قال: ويَقْرب من اللعن الدعاء علىٰ الإنسان بالشر حتىٰ الدعاء علىٰ الظالم؛ كقول الإنسان: لا أصح الله جسمه، ولا سلَّمه الله، وما جرىٰ مجراه وكل ذلك مذموم.

وكذلك لعن جميع الحيوانات والجمادات فهذا كله مذموم.

قال بعض العلماء: من لعن من لا يستحق اللعن فليبادر بقوله: إلَّا أن يكون لا يستحق.

فصل

ويجوز للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر وكل مؤدب أن يقول لمن يخاطبه في ذلك: ويلك، أو يا ضعيف الحال، أو يا قليل النظر لنفسه، أو يا ظالم نفسه، أو ما أشبه ذلك بحيث لا يتجاوز إلىٰ الكذب ولا يكون فيه لفظ قذف صريح كان، أو كناية أو تعريضًا ولو كان صادقًا في ذلك، وإنما يجوز ما قدمناه، ويكون الغرض منه التأديب والزجر، وليكون الكلام أوقع في النفس والله أعلم.

اللهمَّ نزِّه قلوبنا عن التعلق بمن دونك، واجعلنا من قوم تحبهم ويحبونك، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين.

موعظة

يا قليل الزاد والطريق بعيد...

يا مقبلًا علىٰ ما يضر ... تاركًا لما يفيد

أتراك يخفىٰ عليك الأمر الرشيد؟

إلىٰ متىٰ تضيع الزمان، وهو يحصي برقيب وعتيد؟

مضى أمسك الماضي شهيدًا[1] معدلًا	وأعقبه يوم عليك شهيد[1]
فإن كنت بالأمس اقترفت إساءة	فبادر بإحسان وأنت حميد
ولا تبق فضل الصالحات إلى غد	فرب غد يأتي وأنت فقيد
إذا ما المنايا أخطأتك وصادفت	حميمك[2] فاعلم أنها ستعود

(١) شهيد (في الموضعين) بمعنىٰ: شاهد عليك.

(٢) الحميم: القريب الذي توده، ويودك.

الكبيرة الرابعة والأربعون
تبرؤ الإنسان من نسبه

- عن سعد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من ادعى إلى غير أبيه -وهو يعلم أنه غير أبيه- فالجنة عليه حرام**» رواه البخاري. (٣/ ٨٧)

- وعن أبي هريرة ﷺ عن النبيِّ ﷺ قال: «**لا ترغبوا عن آبائكم فمن رغب عن أبيه فهو كفر**» رواه البخاري(١).

- وعن يزيد بن شريك قال: رأيت عليًّا ﷺ على المنبر يخطب فسمعته يقول: لا والله ما عندنا من كتاب نقرؤه إلَّا كتاب الله، وما في هذه الصحيفة، فنشرها، فإذا فيها أسنان الإبل وأشياء من الجراحات، وفيها قال رسول الله ﷺ: «المدينة حرم ما بين عير إلى ثور فمن أحدث فيها حدثًا أو آوى محدثًا، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة عدلًا ولا صرفًا، ومن ادعى إلى غير أبيه، أو انتمى إلى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة عدلًا ولا صرفًا» رواه البخاري.
(٣/ ٨٨)

- وعن أبي ذر ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**ليس من رجل ادعى لغير أبيه -وهو يعلم- إلَّا كفر، ومن ادعى ما ليس له فليس منا، وليتبوأ مقعده من النار ومن دعا رجلًا بالكفر، أو قال: عدو الله، وليس كذلك إلَّا حار عليه**»، أي: رجع عليه رواه مسلم.
(٣/ ٨٨)

فنسأل الله العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم.

---

(١) صحيح البخاري (٨/ ١٩٤).

الكبيرة الخامسة والأربعون
عقوق الوالدين

- قال الله تعالىٰ: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾، أي: برًّا وشفقة وعطفًا عليهما: ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا ﴾ [الإسراء: ٢٣] [أي: قد أوصيناك بهما، وبخاصة إذا كبرا، أو كبر أحدهما، وإنما خص حالة الكبر؛ لأنهما حينئذٍ أحوج إلىٰ البر والقيام بحقوقهما، ومعنىٰ ﴿ عِندَكَ ﴾، أي: في كنفك وكفالتك، ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾، أي: لا تقل للوالدين أقل كلمة تُظْهِر الضجر؛ ككلمة أفٍّ، ولا تسمعهما قولًا سيئًا حتىٰ ولو بكلمة التأفيف ﴿ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴾، أي: لا تزجرهما بإغلاظ فيما لا يعجبك منهما][1].

وينبغي أن تتولىٰ خدمتهما ما توليا من خدمتك علىٰ أن الفضل للمتقدم، وكيف يقع التساوي؟ وقد كانا يحملان أذاك راجين حياتك، وأنت إن حملت أذاهما رجوت موتهما.

ثم قال تعالىٰ: ﴿ وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾، أي: لينًا لطيفًا، ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢٤].

- وقال تعالىٰ: ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [لقمان: ١٤].

فانظر -رحمك الله- كيف قرن شكرهما بشكره؟

- قال ابن عباس رضي الله عنهما: (ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث لا تقبل واحدة بغير قرينتها:

إحداها: قوله تعالىٰ: ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ [محمد: ٣٣].

فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه.

الثانية: قوله تعالىٰ: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [البقرة: ٤٣].

فمن صلىٰ ولم يزكِّ لم يقبل منه.

---

(١) صفوة التفاسير (٧٤١).

الثالثة: قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤].

فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه)

ولذا قال النبي ﷺ: «**رضا الرب في رضا الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد**»، صححه الحاكم على شرط مسلم[١]. (٣/ ٢١٨)

- وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى نبي الله ﷺ فاستأذنه في الجهاد، فقال: «**أحيٌّ والداك؟**» قال: نعم، قال: «**فيهما فجاهد**» مُخرَّج في الصحيحين. (٣/ ٢١٣)

فانظر كيف فَضَّل بر الوالدين وخدمتهما على الجهاد؟

- وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ الإشراك بالله وعقوق الوالدين**». (١٦٠)

فانظر كيف قرن الإساءة إليهما وعدم البر والإحسان بالإشراك؟

- وفي سنن النسائي وغيره بإسناد جيد أن رسول الله ﷺ قال: «**ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، ومدمن الخمر، والمنان عطاءه**». (٣/ ٢٢٠)

- وفي مستدرك الحاكم[٢] قال رسول الله ﷺ: «**لعن الله العاق لوالديه**» وإسناده حسن.

- وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**من الكبائر شتم الرجل والديه**» قالوا: يا رسول الله، وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: «**نعم، يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه**». (٣/ ٢٢١)

- **ومن بر الوالدين أن ينفق عليهما إذا احتاجا:**

- فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رجلًا قال: يا رسول الله إن لي مالًا وولدًا، وإن أبي يريد أن يجتاح مالي، فقال: «**أنت ومالك لأبيك**» رواه ابن ماجه، وقال في الزوائد: إسناده صحيح، ورجاله ثقات على شرط البخاري[٣].

---

(١) ووافقه الذهبي (٤/ ١٥٢).

(٢) المستدرك (٤/ ١٥٣).

(٣) سنن ابن ماجه (٢/ ٧٦٩).

- وجاء رجل إلى أبي الدرداء ﷺ فقال: يا أبا الدرداء إني تزوجت امرأة، وإن أمي تأمرني بطلاقها.

فقال أبو الدرداء: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الوالد أوسط أبواب الجنة فإن شئت فأَضِعْ ذلك الباب أو احفظه**» رواه الترمذي والحاكم[1]، وصححاه. (٣/ ٢١٤)

- وعن عمرو بن مرة الجهني ﷺ قال: (جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله شهدت أن لا إله إلَّا الله وأنك رسول الله، وصليت الخمس، وأديت زكاة مالي، وصمت رمضان، ما لي؟)

فقال النبي ﷺ: «**من مات على هذا كان مع النبيين، والصديقين، والشهداء يوم القيامة** هكذا ونصب أصبعيه **ما لم يعق والديه**» رواه أحمد، والطبراني بإسنادين أحدهما صحيح. (٣/ ٢٢١)

- وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث دعوات لا شك في إجابتهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده**» رواه الترمذي وحسنه. (٢/ ٢٧٧)

- ورُوِي مرفوعًا: «**كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة إلَّا عقوق الوالدين، فإن الله يعجله لصاحبه في الحياة قبل الممات**»[2].

- وسئل ابن عباس ﷺ عن أصحاب الأعراف: من هم؟ وما الأعراف؟ فقال: (أما الأعراف فهو جبل بين الجنة والنار، وإنما سمي الأعراف؛ لأنه مشرف على الجنة والنار، وعليه أشجار وثمار وأنهار وعيون.

وأما الرجال الذين يكونون عليه فهم رجال خرجوا إلى الجهاد بغير رضا آبائهم وأمهاتهم فقتلوا في الجهاد، فمنعهم القتل في سبيل الله من دخول النار، ومنعهم عقوق الوالدين عن دخول الجنة فهم على الأعراف حتى يقضي الله فيهم أمره).

- وقال كعب الأحبار رحمه الله: (إن الله ليعجل هلاك العبد إذا كان عاقًّا لوالديه ليعجل

---

(١) وصححه وأقره الذهبي (٤/ ١٥٢).

(٢) خرَّجه الحاكم (٤/ ١٥٦)، وفي إسناده بكار بن عبد العزيز بن أبي بكرة، قال الذهبي: ضعيف.

له العذاب، وإن الله ليزيد في عمر العبد إذا كان بارًّا بوالديه ليزيده برًّا وخيرًا).

- وعن وهب بن منبه قال: (إن الله تعالىٰ أوحىٰ إلىٰ موسىٰ صلوات الله وسلامه عليه: يا موسىٰ وقِّرْ والديك، فإن من وقَّر والديه مددت في عمره، ووهبت له ولدًا يوقره، ومن عَقَّ والديه قصرت في عمره ووهبت له ولدًا يعقه).

- وقال أبو بكر بن أبي مريم: قرأت في التوراة (أن من يضرب أباه يُقتَل).

- وقال وهب: قرأت في التوراة (علىٰ من صك والده الرجم).

- ورُوِي أنه من شتم والديه ينزل عليه في قبره جمر من نار بعدد كل قطر ينزل من السماء إلىٰ الأرض.

- ويروىٰ أنه إذا دفن عاق والديه عصره القبر حتىٰ تختلف فيه أضلاعه فأشد الناس عذابًا يوم القيامة ثلاثة: المشرك، والزاني، والعاق لوالديه.

فائدة:

سُئل كعب الأحبار عن عقوق الوالدين، وما هو؟

قال: إذا أقسم عليه أبوه أو أمه لم يبرَّ قسمهما، وإذا أمراه بأمر لم يطع أمرهما، وإذا سألاه شيئًا لم يعطهما، وإذا ائتمناها خانهما.

خصوصية الأم

- في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ قال: جاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟

قال: «**أمك**» قال: ثم من؟ قال: «**أمك**» قال: ثم من؟ قال: «**أمك**» قال: ثم من؟ قال: «**أبوك**». (١٥٣)

فحض علىٰ بر الأم ثلاثة مرات، وعلىٰ بر الأب مرة واحدة.

وما ذاك إلّا لأن عناءها أكثر وشفقتها أعظم، مع ما تقاسيه من حمل وطلق وولادة، ورضاعة، وسهر ليل.

- وعن معاوية بن جاهمة، أن جاهمة أتىٰ النبي ﷺ فقال: إني أردت أن أغزو وجئت

أستشيرك، فقال: «**ألك والدة؟**» قال: نعم.

قال: «**اذهب فألزمها فإن الجنة عند رجليها**» خرَّجه الحاكم في المستدرك وصححه[1].

(٣/ ٢١٤)

- عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو ﷺ: (أن امرأة: قالت: يا رسول الله إن ابني هذا كان بطني له وعاء، وحجري له حواء، وثديي له سقاء، وزعم أبوه أنه ينتزعه مني فقال: «**أنت أحق به ما لم تنكحي**» رواه أحمد، وأبو داود، والبيهقي، والحاكم[2] وصححه[3].

- وقال ﷺ: «**الخالة بمنزلة الأم**» خرَّجه أحمد، والبخاري، ومسلم[4]، أي: في البر، والإكرام، والصلة، والإحسان.

- ورأى ابن عمر رجلًا قد حمل أمه على رقبته وهو يطوف بها حول الكعبة فقال: يا ابن عمر أتراني جازيتها، قال: ولا بطلقة واحدة من طلقاتها، ولكن قد أحسنت، والله يثيبك على القليل كثيرًا.

- وقال بشر: ما من رجل يقرب من أمه حيث يسمع كلامها إلَّا كان أفضل من الذي يضرب بسيفه في سبيل الله.

والنظر إليها أفضل من كل شيء.

فنسأل الله أن يوفقنا لرضاه، وأن يجنبنا سخطه إنه جواد كريم رءوف رحيم.

---

(١) ووافقه الذهبي (٤/ ١٥١).

(٢) نيل الأوطار (٦/ ٣٦٨).

(٣) ووافقه الذهبي (٢/ ٢٠٧).

(٤) نيل الأوطار (٦/ ٣٢٨).

موعظة

أيها المضيع لآكد الحقوق، المعتاض من بر الوالدين بالعقوق..

الناسي لما يجب عليه، الغافل عما بين يديه: بر الوالدين عليك دين.

وأنت تتعاطاه باتباع الشَّيْن[1]، تطلب الجنة بزعمك، وهي تحت أقدام أمك.

حملتك في بطنها تسعة أشهر كأنها تسع حجج..

وكابدت عند الوضع ما يذيب المهج.

وأرضعتك من ثديها لبنًا، وأطارت لأجلك وسنًا.

وغسلت بيمينها عنك الأذىٰ وآثرتك علىٰ نفسها بالغذاء..

وصيرت حجرها لك مهدًا، وأنالتك إحسانًا ورفدًا[2]..

فإن أصابك مرض أو شكاية، أظهرت من الأسف فوق النهاية.

وأطالت الحزن والنحيب، وبذلت مالها للطبيب..

ولو خُيرت بين حياتك وموتها، لطلبت حياتك علىٰ موتها..

هذا وكما عاملتها بسوء الخلق مرارًا، فدعت لك بالتوفيق سرًّا وجهارًا..

فلما احتاجت عند الكبر إليك، جعلتها من أهون الأشياء عليك..

فشبعتَ وهي جائعة، ورويتَ وهي قانعة..

وقدَّمت عليها أهلك وأولادك بالإحسان، وقابلت أياديها بالنسيان..

وصعب عليك أمرها وهو يسير، وطال عليك عمرها وهو قصير..

وهجرتها، ومالها سواك نصير..

هذا ومولاك قد نهاك عن التأفيف، وعاتبك في حقها بعتاب لطيف..

---

(١) الشَّين (بتشديد الشين وسكون الياء) ضد الزين، أي: القبيح، وراجع: اللسان (شين).

(٢) الرِّفد (بكسر الراء): العطاء والصلة، مختار الصحاح (٢٥٠).

ستعاقب في دنياك بعقوق البنين، وفي أخراك بالبعد عن رب العالمين..

يناديك بلسان التوبيخ والتهديد: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾.

لأمِّك حق لو علمت كبير … كثيرك يا هذا لديه يسير

فكم ليلة باتت بثقلك تشتكي … لها من جواها أنّة وزفير

وفي الوضع لو تدري عليها مشقة … فمن غصص منها الفؤاد يطير

وكم غسلت عنك الأذى بيمينها … وما حجرها إلا لديك سرير

وتفديك مما تشتكيه بنفسها … ومن ثديها شرب لديك نمير[1]

وكم مرة جاعت وأعطتك قوتها … حنانًا وإشفاقًا وأنت صغير

فآهًا لذي عقل ويتّبع الهوى … وآهًا لأعمى القلب وهو بصير

فدونك فارغب في عميم دعائها … فأنت لما تدعو إليه فقير..

فنسأل الله أن يوفقنا لرضاه وأن يجنبنا سخطه إنه جواد كريم رءوف رحيم.

---

(١) النَّمِيرُ: الطَّيِّب الناجع في الرِّيِّ، الوجيز (٦٣٥)

الكبيرة السادسة والأربعون

هجر الأقارب

- قال الله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ﴾ [النساء: ١]، أي: خافوا الله الذي يناشد بعضكم بعضًا به؛ حيث يقول: أسألك بالله وأنشدك بالله، واتقوا الأرحام أن تقطعوها.

- وقال تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٢٢]، أي: فلعلكم وإن أعرضتم عن الإسلام أن ترجعوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية من الإفساد في الأرض بالمعاصي وقطع الأرحام: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾ [محمد: ٢٣].

قال القرطبي: أخبر تعالى أن من فعل ذلك حقَّت عليه اللعنة، وسلبه الانتفاع بسمعه وبصره، حتى لا ينقاد للحق، وإن سمعه، فجعله كالبهيمة التي لا تعقل[١].

- وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ﴾ [الرعد: ٢٠]، أي: يُتمّون عهد الله الذي وصاهم به، وهو أوامره ونواهيه التي كلف بها عباده: ﴿ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴾، أي: لا يخالفون ما وثقوه على أنفسهم من العهود المؤكدة بينهم وبين الله، وبينهم وبين العباد، ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾ [الرعد: ٢١]، أي: يصلون الأرحام التي أمر الله بصلتها ﴿ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾، أي: يهابون ربهم إجلالًا وتعظيمًا، ﴿ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴾، أي: يخافون الحساب السيئ المؤدي لدخول النار، فهم لرهبتهم جادون في طاعة الله محافظون على حدوده[٢].

- وقال تعالى: ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ ﴾، أي: بالقرآن، ﴿ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٦-٢٧].

وأعظم ذلك: ما بين العبد وبين الله، ما عهده الله على العبيد.

---

(١) صفوة التفاسير (١٣٧٧).

(٢) صفوة التفاسير (٦٧٦-٦٧٧).

- وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة قاطع**»[1]. (١٦١)

يعني قاطع رحم: كالأخت والخالة والعمة وبنت الأخت وغيرهم من الأقارب.

فمن قطع أقاربه الضعفاء، وهجرهم، وتكبر عليهم، ولم يصلهم ببره وإحسانه وكان غنيًّا وهم فقراء فهو داخل في هذا الوعيد محروم من دخول الجنة، إلا أن يتوب إلى الله عزَّ وجلَّ ويحسن إليهم.

- وقد ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**والذي بعثني بالحق لا يقبل الله صدقة من رجل وله قرابة يحتاجون إلى صلته ويصرفها إلى غيرهم، والذي نفسي بيده لا ينظر الله إليه يوم القيامة**» رواه الطبراني ورواته ثقات. (٢/ ٣٣)

وإن كان فقيرًا، وصل رحمه بزيارتهم والتفقد لأحوالهم؛ لما ورد من الأمر بصلة الأرحام، ولو بالسلام.

- [وقال ﷺ: «**ما من ذي رحم يأتي ذا رحمه فيسأله فضلًا أعطاه الله إياه فيبخل عليه إلا أخرج الله له من جهنم حيَّة يقال لها: شجاع يتلمظ فيطوق به**» رواه الطبراني بإسناد جيد].

(٢/ ٣٣)

- **[وصلة الأرحام من الإيمان]:**

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه**» متفق عليه. (١٥٢)

- [وهي سبب لزيادة الرزق وطول العمر، وتدفع ميتة السوء:

فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**من سرَّه أن يُمَدَّ له في عمره، ويوسَّع له في رزقه، ويُدفع عنه ميتة السوء فليتق الله وليصل رحمه**» رواه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائده، والبزار بإسناد جيد.

(٣/ ٢٢٣)

---

(١) كرر المصنف ذكر هذا الحديث في آخر الكبيرة استشهادًا لحكاية لا أصل لها.

- وعن عائشة ﵂ عن النبي ﷺ قال: «**الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله**» متفق عليه. (٢/ ٢٢٥)

- **وقطيعة الرحم من أعظم أسباب تعجيل العقوبة:**

فعن أبي بكرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من ذنب أجدر أن يعجِّل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم**» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح]. (٣/ ٢٢٨)

- وعن عبد الله بن عمرو ﵄ عن النبي ﷺ: «**ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذي إذا قُطعت رحمه وصلها**» رواه البخاري وغيره. (٣/ ٢٢٦)

- [وعن أم كلثوم بنت عقبة ﵂ أن النبي ﷺ قال: «**أفضل الصدقة الصدقة على ذي رحم الكاشح**» رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح وابن خزيمة في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم[1]. (٢/ ٣٣)

ومعنى الكاشح: أنه الذي يضمر عداوته في كشحه، وهو خصره، يعني: أن أفضل الصدقة .. الصدقة على ذي الرحم المضمر العداوة في باطنه، وهو في معنى قوله ﷺ: «**وتصل من قطعك**»]. (٣/ ٢٢٧)

- وعن سليمان مولى عثمان بن عفان قال: جاءنا أبو هريرة عشية الخميس ليلة الجمعة فقال: أحرج[2] على كل قاطع رحم لَمَّا قام من عندنا! فلم يقم أحد حتى قالها ثلاثًا، فأتى فتى عمةً له قد صرمها[3] منذ سنتين، فدخل عليها فقالت له: يابن أخي ما جاء بك؟ قال: سمعت أبا هريرة يقول: كذا وكذا، قالت: ارجع فاسأله: لِمَ قال ذاك؟.. قال سمعت النبي ﷺ يقول: «**إن أعمال بني آدم تعرض على الله تبارك وتعالى عشية كل خميس ليلة الجمعة، فلا يَقبل عمل قاطع رحم**» خرَّجه البخاري في الأدب المفرد[4]، فنسأل الله التوفيق لطاعته إنه جواد كريم.

---

(١) وأقره الذهبي (١/ ٤٠٦-٤٠٧).

(٢) أحرج: أوقع في الضيق والإثم.

(٣) صرمها: تركها.

(٤) فضل الله الصمد (١/ ١٤٢-١٤٣)، وأورده الهيثمي المرفوع منه، وقال: رواه أحمد ورجاله ثقات (٨/ ١٥١).

الكبيرة السابعة والأربعون

إباق العبد

- روىٰ مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا أبق العبد لم تُقْبَل له صلاة**».

(٣/ ٦٠)

- وقال ﷺ: «**أيما عبد أبق فقد برِئَت منه الذمة**» رواه مسلم عن جرير. (٣/ ٦٠)

- وروىٰ ابن خزيمة في صحيحه من حديث جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة، ولا تَصعد لهم إلى السماء حسنة: السكران حتى يصحو، والمرأة الساخط عليها زوجها، والعبد الآبق حتى يرجع فيضع يده في يد مواليه**» رواه الطبراني في الأوسط من رواية عبد الله بن محمد بن عقيل واللفظ له، وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما من رواية زهير بن محمد. (٣/ ٦٠)

- وعن فضالة بن عبيد ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «**ثلاثة لا يُسأل عنهم: رجل فارق الجماعة وعصى إمامه، وأمة أو عبد أبق من سيده ومات عاصيًا، وامرأة غاب عنها زوجها وقد كفاها مئونة الدنيا فتبرجت بعده**» رواه ابن حبان والحاكم، وقال: صحيح علىٰ شرطهما ولا أعلم له علة[1]. (٣/ ٦٠)

قوله: «**فتبرجت بعده**»، أي: أظهرت محاسنها، كما يفعل أهل الجاهلية، وهم ما بين عيسىٰ وسيدنا محمدﷺ، كذا ذكره الواحدي رحمه الله.

(١) المستدرك (١/ ١١٩) وسكت عنه الذهبي.

الكبيرة الثامنة والأربعون

الاستطالة على الضعيف والمملوك والجارية والزوجة والدابة

- لأن الله تعالى قد أمر بالإحسان إليهم بقوله تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ [النساء: ٣٦].

قوله تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾، أي: وحِّدوه، وعظموه، ولا تشركوا به شيئًا من الأشياء صنمًا أو غيره، وقوله تعالى: ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ يريد البر بهما مع اللطف، ولين الجانب، ولا يُغلِظ لهما الجواب، ولا يَحِد النظر إليهما، ولا يرفع صوته عليهما، بل يكون بين أيديهما، مثل العبد بين يدي السيد تذللًا لهما.

وقوله: ﴿ وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ قال: يصلهم ويتعطف عليهم، ﴿ وَٱلْيَتَٰمَىٰ ﴾ يرفق بهم ويدنيهم ويمسح رءوسهم، ﴿ وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴾ ببذل يسير، ورد جميل، ﴿ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ يعني الذي بينك وبينه قرابة فله حق القرابة، وحق الجوار، وحق الإسلام، ﴿ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ ﴾ هو الذي ليس بينك وبينه قرابة يقال: رجل جنب إذا كان غريبًا متباعدًا أهله، وقوم أجانب، والجنابة البعد.

- وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: **«ما زال جبريل يوصيني بالجار، حتى ظننت أنه سيورثه»** متفق عليه. (١٤٨)

- وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع»** رواه الطبراني وأبو يعلى ورواته ثقات. (٣/ ٢٣٧)

﴿ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ ﴾ قال ابن عباس ومجاهد: هو الرفيق في السفر، له حق الجوار وحق الصحبة، ﴿ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ هو الضعيف يجب إيواؤه حتى يبلغ حيث يريد، وقال ابن عباس: هو عابر السبيل تؤويه وتطعمه حتى يرحل عنك، ﴿ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ يريد المملوك يحسن رزقه، ويعفو عنه فيما يخطئ.

وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ قال ابن عباس: يريد بالمختال: العظيم في نفسه الذي لا يقوم بحقوق الله، والفخور: هو الذي يفخر على عباد الله، بما خوَّله الله من كرامته، وما أعطاه من نعمه.

- وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مرجل رأسه يختال في مشيته إذ خسف الله به وهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة**» رواه البخاري ومسلم. (١٩/٤)

- وعن ابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جرَّ ثوبه خيلاءً**» رواه مالك والبخاري ومسلم. (٩٨/٣)

- وكان رسول الله ﷺ عند خروجه من الدنيا في آخر مرضه يوصي بالصلاة وبالإحسان إلى المملوك ويقول: «**الصلاة الصلاة، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم**» رواه أبو داود وابن ماجه عن الإمام علي ﷺ. (١٦٣/٣)

- ورُوِي أن حسن الملكة نماء، وسوء الخلق شؤم. (١٦١/٣)

- وفي الحديث: «**لا يدخل الجنة سيئ الملكة**» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن غريب. (١٦١/٣)

- وقال أبو مسعود البدري ﷺ قال: كنت أضرب غلامًا لي بالسوط، فسمعت صوتًا من خلفي: «**اعلم أبا مسعود**»، فلم أفهم الصوت من الغضب، فلما دنا مني إذا هو رسول الله ﷺ فإذا هو يقول: «**اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام**» فقلت: لا أضرب مملوكًا بعده أبدًا.

وفي رواية: فسقط السوط من يدي من هيبته، وفي رواية: فقلت: يا رسول الله هو حرٌّ لوجه الله، فقال: «**أما لو لم تفعل للفحتك النار**» رواه مسلم. (٥٧٠-٥٧١)

- وروى مسلم أيضًا من حديث ابن عمر ﷺ قال: «**من ضرب غلامًا له حدًّا لم يأته، أو لطمه فكفارته أن يعتقه**». (٥٧١)

- ومن حديث حكيم بن حزام قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا**». (٥٧١)

- وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من ضرب سوطًا ظلمًا اقتُص منه يوم القيامة**» رواه البزار والطبراني بإسناد حسن. (٣/ ١٦٤)

- قيل لرسول الله ﷺ: كم أعفو عن الخادم؟ قال: «**كل يوم سبعين مرة**» رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن غريب. (٣/ ١٦٣)

- وكان في يد النبي ﷺ يومًا سواك فدعا خادمًا له فأبطأ عليه، فقال: «**لولا خشية القود لأوجعتك بهذا السواك**» رواه أحمد بأسانيد أحدها جيد. (٣/ ١٦٤)

- وكان لأبي هريرة ﷺ جارية زنجية فرفع يومًا عليها السوط فقال: لولا القصاص لأغشيتكيه، ولكن سأبيعك لمن يوفيني ثمنك اذهبي، فأنت حرة لوجه الله.

- وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**من قذف مملوكه بريئًا مما قال أُقيم عليه الحد يوم القيامة إلا أن يكون كما قال**» (٣/ ١٦١)

- وفي الحديث: «**للملوك طعامه وكسوته، ولا يكلَّف من العمل إلا ما يطيق**» خرَّجه مسلم عن أبي هريرة[١].

- وعن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من لاءَمكم من مملوكيكم فأطعموه مما تأكلون واكسوه مما تلبسون، ومن لم يلائمكم منهم فبيعوه ولا تعذبوا خلق الله**» رواه أبو داود وإسناده صحيح[٢].

- ودخل جماعة على سلمان الفارسي ﷺ وهو أمير على المدائن فوجدوه يعجن عجين أهله، فقالوا له: ألا تترك الجارية تعجن؟ فقال ﷺ: إنا أرسلناها في عمل، فكرهنا أن نجمع عليها عملًا آخر.

- وقال بعض السلف: لا تضرب المملوك في كل ذنب، ولكن احفظ له ذلك فإذا عصى الله فاضربه على معصية الله، وذكِّره الذنوب التي بينك وبينه.

---

(١) صحيح مسلم (٣/ ١٢٨٤).

(٢) قاله الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٢/ ٢١٩).

فصل

- ومن أعظم الإساءة إلى المملوك والجارية: التفريق بينه وبين ولده، أو بينه وبين أخيه.

لِمَا جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «**من فرَّق بين والدة وولدها، فرَّق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة**» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن غريب، وصححه الحاكم[1]. (٣/ ٣٢)

- وعن علي رضي الله عنه قال أمرني رسول الله ﷺ أن أبيع غلامين أخوين، فبعتهما وفرقت بينهما، فذكرت ذلك له، فقال: «**أدركهما وارتجعهما ولا تبعهما إلا جميعًا**» رواه أحمد[2].

- ومن ذلك أن يجوع المملوك والجارية والدابة، لقول رسول الله ﷺ: «**كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يعول**» خرَّجه الحاكم وصححه[3]، ورواه أبو داود والنسائي بنحوه. (٣/ ٨٢)

- ومن ذلك أن يضرب الدابة ضربًا وجيعًا أو يحبسها، ولا يقوم بكفايتها، أو يحمِّلها فوق طاقتها.

فقد رُوِي في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم**﴾ [الأنعام: ٣٨].

قيل: يؤتى بهم والناس وقوف يوم القيامة، فيقضي بينهم، حتى إنه ليؤخذ للشاة الجلحاء من الشاة القرناء، حتى يقاد للذرة من الذرة ثم يقال لهم: كونوا ترابًا فهنالك يقول الكافر: يا ليتني كنت ترابًا.

وهذا من الدليل على القضاء بين البهائم، وبينها وبين بني آدم، حتى إن الإنسان لو ضرب دابة بغير حق، أو جوَّعها، أو عطَّشها، أو كلَّفها فوق طاقتها فإنها تقتص منه يوم القيامة بقدر ما ظلمها أو جوَّعها.

---

(١) أي على شرط الشيخين وأقره الذهبي (٢/ ٥٥).

(٢) قال الشوكاني (٥/ ١٦٢): رجال إسناده ثقات كما قال الحافظ، وقد صححه ابن خزيمة وابن الجارود وابن حبان والحاكم والطبراني وابن القطان – المستدرك (٢/ ٥٤) وأقره الذهبي.

(٣) على شرط الشيخين أقره الذهبي (٤/ ٥٠٠، ٥٠١).

- والدليل على ذلك ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**عُذِّبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت، فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها ولا سقتها إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض**»[1]، أي: من حشراتها.

- كذلك إذا حمَّلها فوق طاقتها تقتص منه يوم القيامة؛ لما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**بينما رجل يسوق بقرةً إذ ركبها فضربها، فقالت: إنا لم نخلق لهذا، إنما خلقنا للحرث**»[2].

فهذه بقرة أنطقها الله في الدنيا تدافع عن نفسها بأنها لا تُؤذَى، ولا تُستعمل في غير ما خُلِقت له، فمن كلفها غير طاقتها، أو ضربها بغير حق، فيوم القيامة تَقتص منه بقدر ضربه وتعذيبه.

- قال أبو سليمان الداراني: ركبت مرةً حمارًا فضربته مرتين أو ثلاثًا، فرفع رأسه ونظر إليَّ، وقال: يا أبا سليمان هو القصاص يوم القيامة، فإن شئت فأقلل، وإن شئت فأكثر. قال: فقلت: لا أضرب شيئًا بعده أبدًا.

- ومَرَّ ابن عمر بصبيان من قريش، قد نصبوا طيرًا، وهم يرمونه، وقد جعلوا لصاحبه كل خاطئة من نبلهم، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا، فقال: (من فعل هذا؟ لعن الله من فعل هذا، إن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئًا فيه روح غرضًا) متفق عليه (٥٧٠). والغرض كالهدف وما يُرمَى إليه.

- و(نهى رسول الله ﷺ أن تُصبَّر البهائم) متفق عليه (٥٧٠) يعني أن تحبس للقتل.

- وإن كان مما أذن الشرع بقتله؛ كالحية والعقرب والفأرة والكلب العقور، قتله بأول دفعة، ولا يعذبه؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «.. **فإذا قتلتم فأحسنوا القِّتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبحة، وليحدَّ أحدكم شفرته وليُرح ذبيحته**» رواه مسلم وغيره. (٢/ ١٠٣)

- وكذلك لا يحرقه بالنار؛ لما ثبت في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «إني كنت

---

(١) اللؤلؤ والمرجان (٧٠٩).

(٢) اللؤلؤ والمرجان (٦٣٣).

أمرتكم أن تحرقوا فلانًا وفلانًا، فإن النار لا يعذِّب بها إلا الله فإن وجدتموهما فاقتلوهما» رواه البخاري. (٥٧٢)

- وعن ابن مسعود ﷺ قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فانطلق لحاجته فرأينا حُمَّرة[1] معها فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمرة تعرش[2] فجاء النبي ﷺ فقال: «من فجع[3] هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها»، ورأىٰ قرية نمل قد حرقناها فقال: «من حرَّق هذه؟» قلنا: نحن. قال: «إنه لا ينبغي أن يعذِّب بالنار إلا رب النار» رواه أبو داود بإسناد صحيح (٥٧٢)، وفيه من النهي عن القتل بالنار حتىٰ في القملة والبرغوث وغيرهما.

فصل

- ويكره قتل الحيوان عبثًا؛ لما رواه الشريد ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قتل عصفورًا عبثًا عجَّ إلى الله يوم القيامة، يقول: يا ربِّ إن فلانًا قتلني عبثًا ولم يقتلني منفعةً» رواه النسائي وابن حبان في صحيحه. (٢/ ١٠٤)

- ويكره صيد الطير أيَّام إفراخه؛ لِّمَا رُوِي ذلك في الأثر.

- ويكره ذبح الحيوان بين يدي أُمِّه؛ لما رُوِي عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله قال: ذبح رجلٌ عجلًا بين يدي أمه، فأيبس الله يده.

فصل

في فضل عتق المملوك

- عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «من أعتق رقبةً مسلمةً أعتق الله بكل عضو منه عضوًا من النار حتى فرجه بفرجه» أخرجه البخاري[4].

---

(١) الحمرة (بضم فسكون): طائر صغير كالعصفور.

(٢) التعريش: أن ترتفع وتظلل بجناحيها علىٰ من تحتها. اللسان (عرش).

(٣) الفجيعة: الرزية، أي: رزأ هذه بولدها، وراجع اللسان (فجع).

(٤) صحيح البخاري (٨/ ١٨١).

- وعن أبي أمامة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**أيما امرئ مسلم أعتق امرءًا مسلمًا كان فكاكه من النار يجزي كل عضو منه عضوًا منه، وأيما امرئ مسلم أعتق امرأتين مسلمتين كانتا فكاكه من النار يجزي كل عضو منهما عضوًا منه، وأيما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمةً كانت فكاكها من النار يجزي كل عضو منها عضوًا منها**» رواه الترمذي[1] وصححه.

---

(١) الترمذي (٤/ ١١٧).

الكبيرة التاسعة والأربعون
قتل النفس

- قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا ﴾، أي: بأن يقصد قتله بما يقتل غالبًا عالمًا بإيمانه: ﴿ فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا ﴾، والخلود: المكث الطويل، ﴿ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ ﴾، أي: أبعده من رحمته، ﴿ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٣].

- وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٨]، أي: أودية في جهنم يُعذب فيها الزناة، ﴿ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴾ [الفرقان: ٦٩]، أي: حقيرًا ذليلًا، ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ [الفرقان: ٧٠]، أي: فإن الله يتوب عليه.

- وقال تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة: ٣٢]، أي: من قتل نفسًا بغير سبب من قصاص أو فساد في الأرض، واستحل قتلها بلا سبب ولا جناية، فكأنما قتل الناس جميعًا؛ لأنه لا فرق -عنده- بين نفس ونفس، ومن أحياها، أي: حرَّم قتلها وكف عنه واعتقد ذلك، فقد سلم الناس كلهم منه بهذا الاعتبار[1].

- وقال النبي ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات ...**»، فذكر «**قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق**».

- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «**أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك**»، قلت: إن ذلك لعظيم، ثم أي؟ قال: «**أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك**»، قلت: ثم أي؟ قال: «**أن تزاني حليلة جارك**» متفق عليه. الحليلة: هي الزوجة. (٣/ ١٩٤-١٩٥)

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٧).

- وقال ﷺ: «**إذا التقى المسلمان بسيفهما، فالقاتل والمقتول في النار**». قيل: يا رسول الله هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: «**إنه كان حريصًا على قتل صاحبه**» متفق عليه. (٨)

قال الإمام أبو سليمان الخطابي رحمه الله: هذا إنما يكون كذلك إذا لم يكونا يقتتلان على تأويل، إنما يقتتلان على عداوة بينهما وعصبية، أو طلب دنيا، أو رئاسة، أو علو.

فأما من قاتل أهل البغي على الصفة التي يجب قتالهم بها، أو دفع عن نفسه، أو حريمه، فإنه لا يدخل في هذا الوعيد؛ لأنه مأمور بالقتال للذب عن نفسه، غير قاصد به قتل صاحبه، ألا تراه يقول: إنه كان حريصًا على قتل صاحبه، ومن قاتل باغيًا أو قاطع طريق من المسلمين، فإنه لا يحرص على قتله، إنما يدفعه عن نفسه، فإن انتهى صاحبه كف عنه ولم يتبعه، فالحديث لم يرد في أهل هذه الصفة، فلا يدخلون فيه بخلاف من كان على غير هذه الصفة فإنهم المرادون منه[1] والله أعلم.

- وقال رسول الله ﷺ: «**ألا فلا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**» متفق عليه. (١١٥)

- وقال رسول الله ﷺ: «**لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دمًا حرامًا**» رواه البخاري ومسلم. (٤/ ٥١)

- وقال ابن عمر: «من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله» رواه البخاري. الورطات: جمع ورطة، وهي الهلكة، وكل أمر تعسر النجاة منه. (٣/ ٢٠٢)

- وقال ﷺ: «**أول ما يُقضَى بين الناس يوم القيامة في الدماء**» متفق عليه. (٣/ ٢٠١)

- وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «**لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم**» رواه مسلم وغيره. (٣/ ٢٠٢)

- وقال ﷺ: «**الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس**» رواه البخاري. (٦٠٢)

---

(١) قد أصلحت بعض عباراته من الزواجر (٤٩١).

وسُمِّيت غموسًا؛ لأنها تغمس صاحبها في النار.

- وقال ﷺ: **«ليس من نفس تُقتل ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول كِفلٌ من دمها؛ لأنه كان أول من سن القتل»** مخرَّج في الصحيحين. (٩٥)

- وقال ﷺ: **«من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عامًا»** أخرجه البخاري. (٣/ ٢٠٤)

لم يرح، أي: يجد ريحها ولم يشمها، فإذا كان هذا في قتل المعاهد، وهو الذي أُعطِي عهدًا من اليهود والنصارىٰ في دار الإسلام، فكيف بقتل المسلم؟

- وقال ﷺ **«ألا من قتل نفسًا معاهدة -لها ذمة الله وذمة رسوله- فقد أخفر الله فلا يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفًا»** صحَّحه الترمذي. (٤/ ٤٥)

- وعن معاوية ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافرًا، أو الرجل يقتل مؤمنًا متعمدًا»** رواه النسائي والحاكم، وقال: صحيح الإسناد[1].

- ورُوِي أن: **«من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة، لقي الله مكتوب بين عينيه: آيس من رحمة الله»** نسألِ الله العافية.

(١) وأقره الذهبي (٤/ ٣٥١).

الكبيرة الخمسون
قتل الإنسان نفسه

- قال الله تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾ [النساء: ٢٩] بالبخع[١] كما تفعله جهلة الهند، أو بإلقاء النفس إلىٰ الهلكة، ويؤيده ما رُوِي أن عمرو بن العاص تأوله في التيمم لخوف البرد، فلم ينكر عليه النبي ﷺ، أو بارتكاب ما يؤدي إلىٰ قتلها، وقيل: المراد بالأنفس من كان من أهل دينهم، فإن المؤمنين كنفس واحدة: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾، أي: أمر بما أمر ونهىٰ عما نهىٰ لفرط رحمته عليكم[٢].

وقال الواحدي في تفسير هذه الآية ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾، أي: لا يقتل بعضكم بعضًا؛ لأنكم أهل دين واحد، فأنتم كنفس واحدة هذا قول ابن عباس والأكثرين، وذهب قوم إلىٰ أن هذا نهي عن قتل الإنسان نفسه، ويدل علىٰ صحة هذا أن عمرو بن العاص قال: احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل، فأشفقت أن أغتسل فأهلك، فتيممت ثم صليت بأصحابي الصبح فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: «**يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟**»، فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال، وقلت: إني سمعت الله يقول: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئًا، رواه أبو داود[٣].

فدل هذا الحديث علىٰ أن عمرًا تأول هذه الآية هلاك نفسه لا نفس غيره ولم ينكر ذلك عليه النبي ﷺ.

وقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ﴾ كان ابن عباس يقول: الإشارة تعود إلىٰ كل ما نهىٰ عنه من أول السورة إلىٰ هذا الموضع، وقال قوم: الوعيد راجع إلىٰ أكل المال بالباطل وقتل النفس المحرمة، وقوله: ﴿ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا ﴾ معنىٰ العدوان، أي: يعدو ما أمر الله به: ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾، أي: إنه قادر علىٰ إيقاع ما توعد به من إدخال النار.

---

(١) بخع نفسه: قتلها غيظًا أو غمًا، الوجيز (٣٨).

(٢) تفسير البيضاوي (٩٥).

(٣) مختصر السنن (١/ ٢٠٧)، ورواه الحاكم (١/ ١٧٧)، وصححه وأقره الذهبي.

- وعن جندب بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: «**كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع، فأخذ سكينًا، فحز بها يده، فما رقأ الدم حتى مات، فقال الله: بادرني عبدي بنفسه، حرمت عليه الجنة**» مخرَّج في الصحيحين. (٣/ ٢٠٥)

- وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من تردى من جبل، فقتل نفسه، فهو في نار جهنم يتردى فيه خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن تحسى سُمًّا فقتل نفسه، فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدًا مخلَّدًا فيها أبدًا، ومن قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده يتوجأ بها في نار جهنم مخلدًا فيها أبدًا**» رواه البخاري ومسلم وغيرهما. (٣/ ٢٠٥)

تردىٰ: أي رمىٰ بنفسه من الجبل أو غيره فهلك، يتوجأ بها (مهموزًا)، أي: يضرب بها نفسه.

- وفي حديث ثابت بن الضحاك قال: قال رسول الله ﷺ: «**ولعن المؤمن كقتله ومن رمى مؤمنًا بكفر فهو كقتله، ومن ذبح نفسه بشيء عُذِّب به يوم القيامة**» رواه البخاري ومسلم وغيرهما. (٣/ ٢٠٦)

- وفي الحديث الصحيح عن الرجل الذي آلمته الجراح فاستعجل الموت، فقتل نفسه بذباب سيفه، وقد قال النبي ﷺ فيه: «**أما إنه من أهل النار**» رواه البخاري ومسلم. (٣/ ٢٠٦)

- فنسأل الله أن يلهمنا رشدنا، وأن يعيذنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا إنه جواد كريم غفور رحيم.

موعظة

ابن آدم، كيف تظن أعمالك مشيدة، وأنت تعلم أنها مكيدة؟

وكيف تترك معاملة المولىٰ، وتعلم أنها مفيدة؟

وكيف تقصر في زادك وقد تحققت أن الطريق بعيدة؟

يا معرضًا عنًّا .. إلىٰ متىٰ هذا الجفا والإعراض؟

يا غافلًا عن الموت والعمر -لا شك- في انقراض.

يا مغترًّا في أمله وأيدي المنايا في أجله تقرضه بمقراض، يا مغرورًا بصحته، وبدنه كل يوم في انتقاض.

يا من يفنى كل يوم بعضه، ستفنى -والله- الأبعاض.

يا غافلًا عن الزاد، وقد أنذره بعد السواد البياض.

يا قليل الاحتراس .. ونبل المنايا طوال عراض.

يا من يساق إلى موار التلف .. وقد نزحت الحياض.

ياضاحكًا وعيون الفنا غير غماض.

يا من هذه الأوقات بين يديه .. كيف يقدر جفنه على الإغماض؟

الكبيرة الحادية والخمسون
السحر

- لأن الساحر لا بد وأن يكفر.

- قال الله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾، وما للشيطان الملعون غرض في تعليمه الإنسان السحر إلا ليشرك به.

- وقال الله تعالى مخبرًا عن هاروت وماروت: ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾ [البقرة: ١٠٢]، أي: من نصيب.

فترى خلقًا كثيرًا من الضُّلَّال يدخلون في السحر، ويظنونه حرامًا فقط، وما يشعرون أنه الكفر وذلك كعقد الرجل عن زوجته، ومحبة الرجل للمرأة وبغضها له وأشباه ذلك [يتوصلون إليه] بكلمات مجهولة أكثرها شرك وضلال.

وحدُّ الساحر: القتل؛ لأنه كفر بالله أو مضارع الكفر، قال النبي ﷺ: **«اجتنبوا السبع الموبقات»** فذكر منها **«السحر»**، والموبقات: المهلكات، رواه البخاري ومسلم. (٤/ ٥١)

فليتقِ العبد ربه، ولا يدخل فيما يخسر به الدنيا والآخرة.

- وقد صح عن جندب ﷺ أنه قال: حد الساحر ضربه بالسيف[١].

- وعن بجالة بن عبدة أنه قال: أتانا كتاب عمر ﷺ قبل موته بسنة: **«أن اقتلوا كل ساحر وساحرة»** رواه أحمد وأبو داود[٢].

---

(١) قال الترمذي: فالصحيح عن جندب موقوفًا، والعمل على هذا عند بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم، وهو قول مالك بن أنس، وقال الشافعي: إنما يقتل السحر إذا كان يعمل في سحره ما يبله به الكفر، فإذ عمل عملًا دون لكفر فلم نر عليه قتل، سنن الترمذي تعليق الشيخ ناصر (٣٤٦).

(٢) المسند (٣/ ١٢٣-١٢٤)، وأبو داود (٣/ ١٦٨)، وصححه الشيخ ناصر (٥٤٦).

- وعن وهب بن منبه قال: قرأت في بعض الكتب: يقول الله عزَّ وجلَّ: لا إله إلا أنا ليس مني من سحر، ولا من سُحِرَ له، ولا من تكهن ولا من تُكهِن له، ولا من تطير، ولا من تُطيِّر له.

- وعن علي بن أبي طالب ﷺ قال: الكاهن ساحر، والساحر كافر.

- وعن أبي موسىٰ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر وقاطع الرحم ومصدق بالسحر»** رواه الإمام أحمد في مسنده، وابن حبان في صحيحه، والحاكم[1]. **(٣/ ١٨٢)**

- وعن ابن مسعود ﷺ مرفوعًا قال: **«إن الرقى والتمائم والتولة شرك»** رواه ابن حبان في صحيحه، والحاكم، وصححه علىٰ شرط الشيخين[2].

(٤/ ١٥٨)

التمائم: (جمع تميمة) وهي خرزات أو حروز يعلقها الجهال علىٰ أنفسهم وأولادهم ودوابهم يزعمون أنها ترد العين، وهذا من فعل الجاهلية، ومن اعتقد ذلك فقد أشرك.

والتِّوَلة (بكسر التاء وفتح الواو): نوع من السحر، وهي تحبيب المرأة إلىٰ زوجها؛ وجعل ذلك من الشرك لاعتقاد الجهال أن ذلك يؤثر بخلاف ما قدر الله تعالىٰ.

قال الخطابي رحمه الله: وأما إذا كانت الرقية بالقرآن، أو بأسماء الله تعالىٰ فهي مباحة؛ لأن النبي ﷺ كان يرقي الحسن والحسين ﷺ فيقول: **«أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة»** خرَّجه الحاكم في المستدرك من حديث ابن عباس وصححه علىٰ شرط الشيخين[3]، والله المستعان وعليه التكلان.

---

(١) وأقره الذهبي (٤/ ١٤٦).

(٢) وأقره الذهبي (٤/ ٤١٨).

(٣) وأقره الذهبي (٣/ ١٦٧).

الكبيرة الثانية والخمسون
تصديق الكاهن والمنجم

- قال الله تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا** ﴾ [الإسراء: ٣٦]، قال الواحدي في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ** ﴾.

قال الكلبي: لا تقل ما ليس لك به علم، وقال قتادة: لا تقل: سمعت ولم تسمع، ورأيت ولم تر، وعلمت ولم تعلم، والمعنى: لا تقولن في شيء بما لا تعلم، ﴿ **إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا** ﴾.

قال الوالبي عن ابن عباس: يسأل الله العباد فيم استعملوها؟ وفي هذا زجر عن النظر إلى ما لا يحل، والاستماع إلى ما يحرم وإرادة ما لا يجوز والله أعلم.

- وقال الله تعالى: ﴿ **عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ** ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧].

قال ابن الجوزي: ﴿ **عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ** ﴾ هو الله عزَّ وجلَّ وحده لا شريك له في ملكه ﴿ **فَلَا يُظْهِرُ** ﴾، أي: فلا يطلع على غيبه الذي يعلمه أحدًا من الناس: ﴿ **إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ** ﴾؛ لأن من الدليل على صدق الرسل إخبارهم بالغيب، والمعنى: أن من ارتضاه للرسالة أطلعه على ما شاء من الغيب، ففي هذا دليل على أن من زعم أن النجوم تدل على الغيب فهو كافر والله أعلم[*].

- وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أتى عرافًا أو كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**» رواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه والحاكم[1] وقال صحيح على شرطهما. (٤/ ٥٣)

(*) زاد المسير (٨/ ٣٨٥).

(١) المستدرك (١/ ٨) وصححه الذهبي في كتاب الكبائر وتبين المحارم (١٢٣).

فمن أتى كاهنًا وهو المنجم ومن يدعي معرفة الشيء المسروق، ويتكلم على الأمور المغيبات فسأله عن شيء منها، فصدقه فهو داخل في هذا الوعيد الشديد.

- وروينا في الصحيحين عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح في أثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «**هل تدرون ماذا قال ربكم؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: «**أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مُطِرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب، وأما من قال: مُطِرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب**». (٦٠٧-٦٠٨)

قال العلماء: إن قال مسلم: مطرنا بنوء كذا؛ يريد أن النوء هو الموجد والفاعل المحدث للمطر صار كافرًا مرتدًّا بلا شك.

وإن قال مريدًا أنه علامة نزول المطر، فينزل المطر عند هذه العلامة، ونزوله بفضل الله وخلقه لم يكفر، واختلفوا في كراهته، والمختار: أنه مكروه؛ لأنه من ألفاظ الكفار، وهذا ظاهر الحديث، وقوله: «**في أثر السماء**» هنا: المطر، والله أعلم.

- وقال رسول الله ﷺ: «**من أتى عرَّافًا فسأله عن شيء فصدقه، لم تقبل له صلاة أربعين يومًا**» رواه مسلم عن بعض أزواج النبي ﷺ. (٥٩١)

- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سأل رسولَ الله ﷺ أناسٌ عن الكهان فقال: «**ليسوا بشيء**» فقالوا: يا رسول الله إنهم يحدِّثونا أحيانًا بشيء فيكون حقًّا؟ فقال رسول الله ﷺ: «**تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني، فيَقُرُّها[1] في أذن وليه، فيخلطون معها مائة كذبة**» مخرَّج في الصحيحين. (٥٩٠)

- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الملائكة تنزل في العنان** -وهو السحاب- **فتذكر الأمر قضي في السماء، فيسترق الشيطان السمع فيسمعه فيوحيه إلى الكهان، فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم**» رواه البخاري. (٥٩٠-٥٩١)

---

(١) هو بفتح الياء، وضم القاف والراء، أي: يلقيها.

- وعن قبيصة بن المخارق ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**العيافة، والطيرة، والطرق من الجبت**» رواه أبو داود بإسناد حسن. (٥٩١)

وقال [أبو داود]: الطَّرقُ: الزجر، أي: زجر الطير؛ وهو أن يتيامن أو يتشاءم بطيرانه فإن طار إلى جهة اليمين تيمن، وإن طار إلى جهة اليسار تشاءم، قال أبو داود: العِيافة الخط، قال الجوهري: الجبت كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك.

- وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**من اقتبس علمًا من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد**» رواه أبو داود بإسناد صحيح. (٥٩١)

- وقال علي بن أبي طالب: «**الكاهن ساحر والساحر كافر**»، فنسأل الله العافية والعصمة في الدنيا والآخرة.

موعظة

عباد الله! تفكروا في سلفكم .. قبل تلفكم.

وانظروا في أموركم قبل حلول قبوركم.

فتأهبوا للرحيل قبل فوت تحويلكم.

أين الأقران والإخوان؟ أين من شيَّد الإيوان؟

رحلوا والله عن الأوطان .. ومُزِّقت في اللحود تلك الأكفانُ، هتف نا.يرهم بأهل العرفان: «كل من عليها فان».

تقلبت بهم الأحوال، ولعب بهم في أيدي الليالي، وشُغِلوا عن الأولاد والأموال، ونسيهم أحباؤهم بعد ليال عانقوا التراب، وفارقوا الأموال، فلو أذن لأحدهم في المقال لقال:

من رآنا فليحدث نفسه	أنه وقف على قرب زوال
وصروف الدهر لا يبقى لها	ولما يأتي به صم الجبال
رُبَّ ركب أناخوا حولنا	يشربون الخمر بالماء الزلال

والأبـــــاريق علـــــيهم قـــــدمت	وعتـــاق الخيـــل تـــردى بـــالجلال[1]
عمَّـــــروا دهـــــرًا بعـــيش نـــاعم	أبـــيض دهـــــرهم غـــير محـــــال
ثـــم أضـــحوا يلعـــب الـــدهر بهـــم	وكـــذاك الـــدهر يـــودي بالرجـــال

(١) الجِلال (بالكسر) جمع جُل (بالضم): ما تلبسه الدابة لتصان به. وتردى بالجلال، أي: تجعل الجلال لها رداء.

الكبيرة الثالثة والخمسون
غش الإمام الرعية وظلمه لهم

- قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ ﴾ [الشورى: ٤٢]، أي: إنما العقوبة والمؤاخذة على المعتدين الذين يظلمون الناس بعدوانهم: ﴿ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ أي: ويتكبرون في الأرض تجبرًا وفسادًا بالمعاصي والاعتداء على الناس في النفوس والأموال.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾، أي: أولئك الظالمون الباغون لهم عذاب مؤلم موجع بسبب ظلمهم وبغيهم(١).

- وقال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [إبراهيم: ٤٢](٢).

- وقال الله تعالى: ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ ﴾ هذا وعيد عام في كل ظالم، تتفتت له القلوب وتتصدع لهوله الأكباد، أي: وسيعلم الظالمون المعادون لدعوة الله، ومعهم الشعراء الغاوون ﴿ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾، أي: أيَّ مرجع يرجعون إليه، وأيَّ مصير يصيرون إليه؟

فإن مرجعهم إلى العقاب، وهو شر مرجع، ومصيرهم إلى النار، وهو أقبح مصير(٣).

- وقال رسول الله ﷺ: «**من غشنا فليس منا**» رواه مسلم عن أبي هريرة ﷺ. (٥٦٣)

- عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الظلم ظلمات يوم القيامة**» رواه البخاري ومسلم والترمذي. (٣/ ١٤٤)

- وعنه ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كلكم راع ومسئول عن رعيته**» متفق عليه. (٣/ ١٣١)

---

(١) صفوة التفاسير (١٣١٦).

(٢) سيأتي تفسيرها في الكبيرة الرابعة والخمسين.

(٣) صفوة التفاسير (٩٩٤).

- وعن معقل بن يسار ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أيما راع استرعى رعية فغشها فهو في النار**» رواه أحمد[1].

- وعن معقل بن يسار ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من عبد يسترعيه الله عزَّ وجلَّ رعية، يموت يوم يموت وهو غاشٌّ رعيته إلا حرم الله عليه الجنة**».

وفي رواية: «... **فلم يحطها بنصحه لم يرح رائحة الجنة**» متفق عليه. (٣/ ١٤١)

- وعن أبي هريرة ﷺ عن النبيِّ ﷺ قال: «**ما من أمير عشرة إلا يؤتى به مغلولًا يوم القيامة، حتى يفكه العدل، أو يوبقه الجور**» رواه البزار والطبراني في الأوسط، ورجال البزار رجال الصحيح. (٣/ ١٣٩)

- وعنه ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **ويل للأمراء، وويل للعرفاء، وويل للأمناء، ليتمنين أقوام يوم القيامة أن ذوائبهم كانت معلقة بالثريا يدلدلون بين السماء والأرض وأنهم لم يلوا عملًا** » رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم واللفظ له، وقال: صحيح الإسناد[2]. (٣/ ١٣٤)

- وعن عائشة ﷺ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ليأتين على القاضي العدل يوم القيامة ساعة يتمنى أنه لم يقض بين اثنين في ثمرة قطُّ**» رواه أحمد وابن حبان في صحيحه. (٣/ ١٣٢)

- ومن دعاء رسول الله ﷺ أنه قال: «**اللهمَّ من ولي من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به**» رواه مسلم والنسائي. (٣/ ١٤٠)

- وقال ﷺ: «**من ولَّاه الله شيئًا من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره يوم القيامة**» رواه أبو داود والترمذي، وصححه الحاكم. (٣/ ١٤١)

---

(١) المسند (٥/ ٢٥)، ومسلم (١٢/ ٢١٥) بإسناده ولم يسق لفظه. وراجع الصحيحة (٤/ ٣٤٧)

(٢) وأقره الذهبي (١/ ٩٤).

- وعن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «صنفان من أمتي لن تنالهما شفاعتي: إمام ظلوم غشوم، وكل غال مارق» رواه الطبراني ورجاله ثقات. (٣/ ١٤٤)

- وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أشد أهل النار عذابًا يوم القيامة: من قتل نبيًّا أو قتله نبي وإمام ضلالة» رواه البزار بإسناد جيد. (٣/ ١٣٦)

- وعنه ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من لم يرحم الناس لم يرحمه الله» رواه الطبراني بإسناد حسن. (٣/ ١٥٥)

- وعن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا» رواه مسلم والنسائي. (٣/ ١٣٥)

- ولما بعث رسول الله ﷺ معاذًا ﷺ إلى اليمن قال: «اتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب» متفق عليه. (٤/ ٣٠)

- وقال عليه الصلاة والسلام: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ...» فذكر منهم «.. الملك الكذاب» رواه مسلم عن أبي هريرة.

- وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة، فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة» رواه البخاري. (٣/ ١٣٤)

وفيه أيضًا: «إنا لا نولي هذا من سأله ولا من حرص عليه».

- وعن عبد الرحمن بن سمرة ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «لا تسأل الإمارة، فإنك إن أُعطِيتها عن غير مسألة أُعِنت عليها، وإن أُعطِيتها عن مسألة وُكِلت إليها» رواه البخاري ومسلم. (٣/ ١٣٤)

- وقال ﷺ لكعب بن عجرة: «أعاذك الله من إمارة السفهاء».

قال: وما إمارة السفهاء.

قال: «أمراء يكونون بعدي لا يهتدون بهديي ولا يستنون بسنتي» خرَّجه أحمد والبزار من حديث جابر، ورواتهما محتج بهم في الصحيح. (٣/ ١٥٠)

- وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من طلب قضاء المسلمين حتى يناله، ثم

- وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة، فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة**» رواه البخاري. (٣/ ١٣٤)

وفيه أيضًا: «**إنا لا نولي هذا من سأله ولا من حرص عليه**».

- وعن عبد الرحمن بن سمرة ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**لا تسأل الإمارة، فإنك إن أُعطِيتها عن غير مسألة أُعِنت عليها، وإن أُعطِيتها عن مسألة وُكِلت إليها**» رواه البخاري ومسلم. (٣/ ١٣٤)

- وقال ﷺ لكعب بن عجرة: «**أعاذك الله من إمارة السفهاء**».

قال: وما إمارة السفهاء.

قال: «**أمراء يكونون بعدي لا يهتدون بهديي ولا يستنون بسنتي**» خرَّجه أحمد والبزار من حديث جابر، ورواتهما محتج بهم في الصحيح. (٣/ ١٥٠)

- وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من طلب قضاء المسلمين حتى يناله، ثم غلب عدله جوره فله الجنة، وإن غلب جوره عدله فله النار**» رواه أبو داود[١] (٣/ ١٣٨).

- ورُوِي أنه يجاء بالوالي يوم القيامة فينبذ به على جسر جهنم فيرتج به الجسر ارتجاجة لا يبقى منه مفصل إلا زال عن مكانه؛ فإن كان مطيعًا لله في عمله مضى به، وإن كان عاصيًا لله في عمله انخرق به الجسر، فهوى به في جهنم مقدار خمسين عامًا.

- وقال عمرو بن المهاجر: قال لي عمر بن عبد العزيز ﷺ إذا رأيتني قد ملت عن الحق، فضع يديك في تلبابي ثم قل: يا عمر ما تصنع.

---

(١) قال الشوكاني: سكت عنه أبو داود والمنذري، وسنده لا مطعن فيه (٨/ ٢٥٧).

موعظة

يا راضيًا باسم الظالم، كم عليك من المظالم؟

السجن جهنم، والحق حاكم .. ولا حجة لك فيما تخاصم.

القبر مهول فتذكر حبسك، والحساب طويل، فخلِّص نفسك، والعمر كيوم فبادر شمسك.

تفرح بمالك والكسب خبيث، وتمرح بآمالك والسير حثيث.

إن الظلم لا يترك منه قدر أنملة.

فإذا رأيت ظالمًا قد سطا فنم له.

فربما بات فأخذت جنبه من الليل نملة (أي: قروح في الجسد).

الكبيرة الرابعة والخمسون
الظلم

- ويدخل فيه ظلم السلاطين والأمراء والقضاة وغيرهم وهو على أنواع:

منها: أكل المال بالباطل، وكذلك أخذ مال اليتيم.

منها: ظلم العباد بالقتل، والضرب والكسر والجراح.

ومنها: ظلم العباد بالشتم واللعن والسب والقذف.

- قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، أي: لا تظن أن الله ساهٍ عن أفعال الظلمة، فإن سنة الله إمهال العصاة، ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر.

﴿ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾، أي: إنما يؤخرهم ليوم رهيب عصيب تشخص فيه الأبصار من الفزع والهلع، فتظل مفتوحة مبهوتة لا تطرف ولا تتحرك ﴿ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ ﴾ [إبراهيم: ٤٣]، أي: مسرعين لا يلتفتون إلى شيء رافعين رءوسهم مع إدامة النظر ﴿ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ﴾، أي: لا يطرفون بعيونهم من الخوف والفزع ﴿ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴾، أي: قلوبهم خالية من العقل لشدة الفزع ﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ ﴾ [إبراهيم: ٤٤] أمرٌ للنبي أن يخوِّف الكفار من هول يوم القيامة حين يأتيهم العذاب الشديد، ﴿ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾، أي: يطلبون المهلة، ولو إلى زمن قريب؛ ليستدركوا ما فاتهم ﴿ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ﴾، أي: نجب دعوتك لنا إلى الإيمان، ونتبع الرسل فيما جاءونا به ﴿ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾، أي: أو لم تكونوا تحلفون من قبل هذه الحالة أنه لا زوال لكم عما أنتم فيه، وأنه لا معاد ولا جزاء، فذ، قد ا هذا بذلك: ﴿ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [إبراهيم:٤١-٤٥].

أي: قد رأيتم وبلغكم ما أحللنا بالأمم المكذبة قبلكم، ومع هذا لم يكن فيهم معتبر، ولم يكن فيما أوقعنا بهم لكم مزدجر[1].

- وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ ﴾ [الشورى: ٤٢][2].

- وقال تعالى: ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٧][3].

- وعن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم**» رواه مسلم. (٣/ ١٤٤)

- وعن أبي ذر ﷺ عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه عزَّ وجلَّ أنه قال: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا**» رواه مسلم والترمذي وابن ماجه. (٣/ ١٤٤)

- وعن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله ليملي للظالم؛ فإن أخذه لم يفلته**» ثم قرأ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٢] متفق عليه. (١١٣)

- وعن خولة بنت عامر الأنصارية ﷺ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن رجالًا يتخوضون في مال الله بغير حق، فلهم النار يوم القيامة**» رواه البخاري. (١١٨)

- وعن معاذ ﷺ أن رسول الله ﷺ قال له حين بعثه إلى اليمن: «**واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**» متفق عليه. (١١٣)

- وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**من كانت عنده مظلمة لأخيه: من عرضه، أو من شيء، فليتحلله منه اليوم، قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أُخِذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أُخِذ من سيئات صاحبه، فحمل عليه**» رواه البخاري. (١١٤)

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٥٤٢)، وصفوة التفاسير (٦٨٥).

(٢) سبق تفسيرها في الكبيرة الثالثة والخمسين.

(٣) سبق تفسيرها في الكبيرة الثالثة والخمسين.

- وعنه ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون من المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع.

فقال: «المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا، وأكل من مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا: فيعطي هذا من حسناته، وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار» رواه مسلم. (١١٧)

- وعن عائشة ﵂ أن رسول الله ﷺ قال: «من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين» متفق عليه. (١١٢)

- وقد خطب النبي ﷺ بمنى فقال: «ألا إن الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا، ألا هل بلغت» قالوا: نعم. قال: «اللهم اشهد» (ثلاثًا) رواه البخاري من حديث ابن عمر. (١١٢)

- وعن عبد الله بن أنيس ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «يحشر الله العباد يوم القيامة، أو قال الناس عراة غرلًا بهمًا» قال: قلنا: وما بهمًا؟ قال: «ليس معهم شيء ثم يناديهم بصوت يسمعه من بَعُدَ كما يسمعه من قَرُبَ: أنا الديان، أنا الملك، لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار، وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقصه منه، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة، ولأحد من أهل النار عنده حق حتى أقصه منه حتى اللطمة» قال: قلنا: كيف وإنما نأتي عراة غرلًا بُهمًا. قال: «الحسنات والسيئات» رواه أحمد بإسناد حسن. (٤/ ٢٠٢)

- وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «من ضرب سوطًا ظلمًا اقتص منه يوم القيامة» رواه البزاز والطبراني بإسناد حسن. (٣/ ١٦٤)

- وعن خزيمة بن ثابت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم فإنها تُحْمَل على الغمام يقول الله: وعزتي وجلالي لأنصرنك، ولو بعد حين» رواه الطبراني، ولا بأس بإسناده في المتابعات. (٣/ ١٤٦)

- وعن جابر قال: لما رَجَعت إلىٰ رسول الله ﷺ مُهَاجرةُ البحر، قال: «**ألا تحدثوني بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة؟**» قال فتية منهم: بلىٰ، يا رسول الله!

بينا نحن جلوس مرت بنا عجوز من عجائز رَهَابِينِهِم، تحمل علىٰ رأسها قلة من ماء فمرت بفتىً منهم، فجعل إحدىٰ يديه بين كتفها، ثم دفعها؛ فخرت علىٰ ركبتيها فانكسرت قلتها، فلما ارتفعت التفتت إليه فقالت: سوف تعلم يا غُدَر! إذا وضع الله الكرسي، وجمع الأولين والآخرين، وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون، فسوف تعلم كيف أمري وأمرك -عنده- غدًا؟

قال: يقول رسول الله ﷺ: «**صَدقت صدقت، كيف يقدس الله أُمة لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم؟**» رواه ابن ماجه[1].

- ورُوِي: «**خمسة غضب الله عليهم إن شاء أمضى غضبه عليهم في الدنيا وإلا أمر بهم في الآخرة إلى النار: أمير قوم يأخذ حقه من رعيته، ولا ينصفهم من نفسه، ولا يدفع الظلم عنهم، وزعيم قوم يطيعونه، ولا يساوي بين القوي والضعيف ويتكلم بالهوى، ورجل لا يأمر أهله وولده بطاعة الله ولا يعلمهم أمر دينهم، ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه العمل ولم يوفِّهِ أجرته، ورجل ظلم امرأة صداقها**».

- وقال أبو هريرة ﷺ: إن الحُبَارىٰ[2] لتموت في وكرها هزالًا من ظلم الظالم.

- وعن عبد الله بن سلام قال: إن الله تعالىٰ لما خلق الخلق؛ واستووا علىٰ أقدامهم رفعوا رءوسهم إلىٰ السماء، وقالوا: يا رب مع من أنت؟ قال: مع المظلوم حتىٰ يُؤدىٰ إليه حقه.

- وعن أبي أمامة قال: يجيء الظالم يوم القيامة، حتىٰ إذا كان علىٰ جسر جهنم لقيه المظلوم، وعرفه ما ظلمه به، فما يبرح الذين ظُلِموا بالذين ظَلَموا حتىٰ ينزعوا ما بأيديهم من الحسنات، فإن لم يجدوا لهم حسنات حَملوا عليهم من سيئات مثل ما ظلموهم حتىٰ يُردوا إلىٰ الدرك الأسفل من النار.

---

(١) قال البوصيري: إسناده حسن (٢/ ١٣٢٩).

(٢) بضم ففتح: طائر طويل العنق رمادي اللون علىٰ شكل الأوزة في منقاره طول (١/ ١٥٢) المعجم الوسيط.

- وعن ابن مسعود ﷺ قال: يؤخذ بيد العبد أو الأمة يوم القيامة فينادىٰ به علىٰ رءوس الخلائق: هذا فلان ابن فلان، من كان له عليه حق فليأت إلىٰ حقه، قال: فتفرح المرأة أن يكون لها حق علىٰ أبيها أو أخيها أو زوجها، ثم قرأ ﴿ **فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ** ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

قال: فيغفر الله من حقه ما شاء، ولا يغفر من حقوق الناس شيئًا، فينصب العبد للناس ثم يقول الله تعالىٰ لأصحاب الحقوق: ائتوا إلي حقوقكم، قال: فيقول الله تعالىٰ للملائكة: خذوا من أعماله الصالحة، فأعطوا كل ذي حق حقه بقدر ظلمه.

فإن كان وليًّا لله، وفضل له مثقال ذرة، ضاعفها الله تعالىٰ له حتىٰ يدخله الجنة بها، وإن كان عبدًا شقيًّا، ولم يفضل له شيء فتقول الملائكة: ربنا فنيت حسناته وبقي طالبوه، فيقول الله: خذوا من سيئاتهم فأضيفوها إلىٰ سيئاته، ثم صك له صكًّا إلىٰ النار، ويؤيد ذلك ما تقدم من قول النبيﷺ: «**أتدرون من المفلس ...**» إلخ.

- وقد رُوِي: أنه لا أكره للعبد يوم القيامة من أن يرىٰ من يعرفه خشية أن يطالبه بمظلمة ظلمه بها في الدنيا، كما قال النبيﷺ: «**لتؤدُّنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء**» رواه مسلم عن أبي هريرة. **(١١٢)**

- وفي بعض الكتب يقول الله تعالىٰ: اشتد غضبي علىٰ من ظلم من لم يجد له ناصرًا غيري.

- وأنشد بعضهم:

لا تظلمــن إذا مــا كنــت مقتــدرًا   فالظــالم يرجــع عقبــاه إلى النــدم

تنــام عينــاك والمظلــوم منتبــه   يــدعو عليــك وعــين الله لم تــنم

- وكان بعض السلف يقول: لا تظلم الضعفاء فتكون من أشرار الأقوياء.

- وعن وهب بن منبه قال: بنىٰ جبار من الجبابرة قصرًا وشيَّده، فجاءت عجوز فقيرة فبنت إلىٰ جانبه كوخًا تأوي إليه.

فركب الجبار يومًا وطاف حول القصر، فرأىٰ الكوخ فقال: لمن هذا؟

قيل: لامرأة فقيرة، تأوي إليه، فأمر به فهدم.

فجاءت العجوز فرأته مهدومًا فقالت: من هدمه؟

فقيل: الملك رآه فهدمه.

فرفعت العجوز رأسها إلى السماء، وقالت: يا رب إذا لم أكن أنا حاضرة، فأين كنت أنت؟ قال: فأمر الله جبريل أن يقلب القصر على من فيه؛ فقلبه.

- وقيل: لما حُبِس خالد بن برمك وولده قال: يا أبتي بعد العز صرنا في القيد والحبس؟ فقال: يا بني دعوة المظلوم سرت بليل، غفلنا عنها، ولم يغفل الله عنها.

- وكان يزيد بن حكيم يقول: ما هبت أحدًا -قطُّ- هيبتي رجلًا ظلمته وأنا أعلم أنه لا ناصر له إلا الله، يقول لي: حسبي الله، الله بيني وبينك.

- وحبس الرشيد أبا العتاهية الشاعر، فكتب إليه من السجن هذين البيتين:

أما والله إن الظلم شوم ... وما زال المسيء هو الظلوم

ستعلم يا ظلوم إذا التقينا ... غدًا عند المليك من الملوم

- ومما ذُكِر أن كسرى اتخذ مؤدبًا لولده يعلمه ويؤدبه، حتى إذا بلغ الولد الغاية في الفضل والأدب استحضره المؤدب يومًا، وضربه ضربًا شديدًا من غير جرم ولا سبب، فحقد الولد على المعلم، إلى أن كبر، ومات أبوه، فتولى الملك بعده، فاستحضر المعلم، وقال له: ما حملك على أن ضربتني في يوم كذا وكذا ضربًا وجيعًا من غير جرم ولا سبب؟ فقال المعلم: أعلم أيها الملك لما بلغت الغاية في الفضل والأدب، علمت أنكِ تنال الملك بعد أبيك، فأردت أذيقك ألم الضرب، وألم الظلم حتى لا تظلم أحدًا، فقال: جزاك الله خيرًا، ثم أمر له بجائزة وصرفه.

توقَّ دعا المظلوم إن دعاءه ... ليرفع فوق السحب ثم يجاب

توقَّ دعا من ليس بين دعائه ... وبين إله العالمين حجاب

ولا تحسبن الله مطرحًا له ... ولا أنه يخفى عليه خطاب

فقد صحَّ أن الله قال وعزتي ... لأنصرن المظلوم وهو مثاب

فمن لم يصدق ذا الحديث فإنه ... جهول وإلا عقله فمصاب

فصل

- ومن أعظم الطلب المماطلة بحق عليه مع قدرته على الوفاء؛ لما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**مطل الغنى ظلم**». (٥٧٣)

وفي رواية: «**لَيُّ الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته**» رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم وقال: صحيح الإسناد[١].

لَيّ الواجد (بفتح اللام وتشديد الياء)، أي: مطل الواجد الذي هو قادر على وفاء دينه، يحل عرضه، أي: يبيح أن يذكر بسوء المعاملة، وعقوبته حبسه. (٣/ ٣٩)

فصل

- ومن الظلم أن يظلم المرأة حقها من صداقها ونفقتها وكسوتها، وهو داخل في قوله ﷺ: «**لَيُّ الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته**».

- [وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يعول**» رواه أبو داود، والنسائي، وصححه الحاكم[٢]. (٣/ ٨٢)

- وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيَّع، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته**» رواه ابن حبان في صحيحه]. (٣/ ٨٣)

فصل

- ومن الظلم: أن يستأجر الرجل أجيرًا أو إنسانًا في عمل، ولا يعطيه أجرته؛ لما ثبت في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «**قال الله تعالى: ثلاثة أنا خصمهم، ومن كنت خصمه خصمته: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حرًّا، فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه ولم يعطه أجره**». (٣/ ٥٨)

- وكذلك إذا ظلم يهوديًّا أو نصرانيًّا، أو نقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفسه، فهو داخل في قوله تعالى: «**أنا خصمهم ومن كنت خصمه خصمته**».

---

(١) وأقره الذهبي (٤/ ١٠٢).

(٢) المستدرك (٤/ ٥٠٠، ٥٠١) وصححه على شرط الشيخين، وأقره الذهبي.

- ومن ذلك أن يحلف على دين في ذمته كاذبًا فاجرًا.

لما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: **«من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة»**

قالوا: وإن كان شيئًا يسيرًا يا رسول الله، قال: **«وإن كان قضيبًا من أراك»**. (٦٠٢)

فخف القصاص غدًا إذا وفيت ما ... كسبت يداك اليوم بالقسطاس

في موقف ما فيه إلا شاخص ... أو مهطع أو مقنع للرأس

أعضاؤهم فيه الشهود وسجنهم ... نار وحاكمهم شديد الباس

إن تمطل اليوم الحقوق مع الغنى ... فقد تؤديها مع الإفلاس

- ورُوِي أن: أول من يختصم يوم القيامة الرجل وامرأته، والله ما يتكلم لسانها، ولكن يداها ورجلاها يشهدان عليها بما كانت تتعنت لزوجها في الدنيا ويشهد على الرجل يده ورجله بما كان يولي زوجته من خير أو شر، ثم يدعى بالرجل وخدمه مثل ذلك، فما يؤخذ منهم دوانيق ولا قراريط؛ ولكن حسنات هذا الظالم تدفع إلى هذا المظلوم، وسيئات هذا المظلوم تحمل على هذا الظالم، ثم يؤتى بالجبارين في مقامع من حديد، فيقال: سوقوهم إلى النار.

- وكان شريح القاضي يقول: سيعلم الظالمون حتى من انتقصوا أن الظالم ينتظر العقاب، والمظلوم ينتظر النصر والثواب.

- ورُوِي أنه إذا أراد الله بعبده خيرًا سلط عليه من يظلمه.

- ودخل طاوس اليماني على هشام بن عبد الملك، فقال له: اتق الله يوم الآذان، قال هشام: وما يوم الآذان؟ قال: قال الله تعالى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤]، فصعق هشام، فقال طاوس: هذا ذل الصفة، فكيف بذل المعاينة؟

- يا راضيًا باسم الظالم.. كم عليك من المظالم؟

السجن جهنم، والحق حاكم.

فصل
في الحذر من الدخول على الظلمة ومخالطتهم ومعونتهم

- قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ [هود: ١١٣].

والركون ههنا: السكون إلى الشيء، والميل إليه بالمحبة.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ولا تميلوا كل الميل في المحبة ولين الكلام والمودة.

وقال السدي وابن زيد: لا تداهنوا الظلمة.

وقال عكرمة: هو أن يطيعهم ويودهم.

وقال أبو العالية: لا ترضوا بأعمالهم.

﴿ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ فيصيبكم لفحها ﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما لكم من مانع يمنعكم من عذاب الله، ﴿ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ لا تمنعون من عذابه.

- وقال الله تعالى: ﴿ ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ ﴾ [الصافات: ٢٢]، أي: أشباههم وأمثالهم وأتباعهم.

- وعن كعب بن عجرة قال: قال رسول ﷺ: **«سيكون بعدي أمراء فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه، وليس بوارد على الحوض ومن لم يدخل عليهم، ولم يعنهم على ظلمهم، ولم يصدقهم بكذبهم، فهو مني وأنا منه، وهو وارد على الحوض»** خرَّجه الترمذي، وقال: حديث غريب صحيح. (٣/ ١٥٠)

- ورُوِي: من أعان ظالمًا سُلِّط عليه.

- وقال سعيد بن المسيب رحمه الله: لا تملئوا أعينكم من أعوان الظلمة، إلا بإنكار من قلوبكم؛ لئلا تحبط أعمالكم الصالحة.

- وقال مكحول الدمشقي: ينادي منادٍ يوم القيامة: أين الظلمة وأعوانهم؟ فما يبقى أحد مدَّ لهم حبرًا، أو حبَّر لهم دواة، أو برئ لهم قلمًا، فما فوق ذلك إلا حضر معهم، فيجمعون في تابوت من نار، فيلقون في جهنم.

- وجاء رجل خياط إلى سفيان الثوري فقال: إني رجل أخيط ثياب السلطان هل أنا من أعوان الظلمة؟ فقال سفيان: بل أنت من الظلمة أنفسهم؛ ولكن أعوان الظلمة من يبيع منك الإبرة والخيوط.

- ورُوِي: أن أول من يدخل النار يوم القيامة: السواطون الذين يكون معهم الأسواط يضربون بها الناس بين يدي الظلمة.

- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «الجلاوزة والشرط كلاب النار يوم القيامة» الجلاوزة: أعوان الظلمة.

- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يقفن أحدكم موقفًا يقتل فيه رجل مسلم ظلمًا، فإن اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه» رواه الطبراني والبيهقي بإسناد حسن (٣/ ٢٠٧).

- وقد رُوِي أنه «أمر بعبد من عباد الله يضرب في قبره مائة جلدة فلم يزل يسأل ويدعو، حتى صارت جلدة واحدة، فامتلأ قبره عليه نارًا، فلما افرنقع[1] عنه، وأفاق، قال: على ما جلدتموني؟ قال: إنك صليت صلاة بغير طهور، ومررت على مظلوم فلم تنصره».
(٣/ ١٤٨)

فهذا حال من لم ينصر المظلوم مع القدرة على نصره فكيف حال الظالم؟!

- وقد خرَّج البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا» فقال رجل: يا رسول الله أنصره إذا كان مظلومًا، أفرأيت إن كان ظالمًا كيف أنصره؟ قال: «تحجزه أو تمنعه من الظلم، فإن ذلك نصره». (٣/ ١٤٨)

---

(١) أي: انكشف وتنحى اهـ. وراجع اللسان (فرقع).

حكاية

- قال بعض العارفين: رأيت في المنام رجلًا ممن يخدم الظلمة والمكَّاسين بعد موته بمدة في حالة قبيحة، فقلت له: ما حالك؟ قال: شر حال، قلت: إلى أين صرت؟ قال: إلى عذاب الله، قلت: فما حال الظلمة عنده؟ قال: شر حال، أما سمعت قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

حكاية أخرى

- قال بعضهم: رأيت رجلًا مقطوع اليد من الكتف، وهو ينادي: من رآني فلا يظلمن أحدًا، فتقدمت إليه، فقلت له: يا أخي ما قصتك؟ قال: يا أخي قصة عجيبة، وذلك أني كنت من أعوان الظلمة، فرأيت يومًا صيادًا، وقد اصطاد سمكة كبيرة فأعجبتني، فجئت إليه فقلت: أعطني هذه السمكة، فقال: لا أعطيكها، أنا آخذ بثمنها قوتًا لعيالي، فضربته، وأخذتها منه قهرًا، ومضيت بها، قال: فبينا أنا أمشي بها حاملًا إذ عضت على إبهامي عضةً قويةً، فلما جئت بها إلى بيتي، وألقيتها من يدي ضربت على إبهامي، وآلمتني ألمًا شديدًا، حتى لم أنم من شدة الوجع والألم، ورميت يدي.

فلما أصبحت أتيت الطبيب وشكوت إليه الألم، فقال: هذه بدء الأكلة واقطعها وإلا تقطع يدك، فقطعت إبهامي، ثم ضربت على يدي فلم أطق النوم، ولا القرار من شدة الألم، فقيل لي: اقطع كفك فقطعته، وانتشر الألم على الساعد وآلمني ألمًا شديدًا، ولم أطق القرار، وجعلت أستغيث من شدة الألم، فقيل لي: اقطعها إلى المرفق، فقطعتها، فانتشر الألم إلى العضد، وضربت على عضدي أشد من الألم الأول.

فقيل: اقطع يدك من كتفك وإلا سرى إلى جسدك كله، فقطعتها، فقال لي بعض الناس: ما سبب ألمك؟ فذكرت قصة السمكة، فقال: لو كنت رجعت في أول ما أصابك الألم إلى صاحب السمكة واستحللت منه وأرضيته لما قطعت من أعضائك عضوًا، فاذهب الآن إليه واطلب رضاه، قبل أن يصل الألم إلى بدنك، قال: فلم أزل أطلبه في البلد حتى وجدته، فوقعت على رجليه أقبلها وأبكي، وقلت له: يا سيدي سألتك بالله إلا عفوت عني، فقال لي: ومن أنت؟ قلت: أنا الذي أخذت منك السمكة غصبًا، وذكرت ما جرى، وأريته يدي، فبكى حين رآها.

ثم قال: يا أخي قد أحللتك منها؛ لما قد رأيته بك من هذا البلاء، فقلت: يا سيدي بالله هل كنت قد دعوت عليَّ لما أخذتها؟ قال: نعم، قلت: اللهم إن هذا تقوَّىٰ عليَّ بقوته علىٰ ضعفي، علىٰ ما رزقتني ظلمًا فأرني قدرتك فيه.

فقلت: يا سيدي قد أراك الله قدرته فيَّ، وأنا تائب إلىٰ الله عزَّ وجلَّ عما كنت من خدمة الظلمة، ولا عدت أقف لهم علىٰ باب، ولا أكون من أعوانهم ما دمت حيًّا إن شاء الله، وبالله التوفيق.

موعظة

- إخواني كم أخرج الموت نفسًا من دارها لم يدارها!

وكم أنزل أجسادًا بجارها لم يجارها!

وكم أجرىٰ العيون كالعيون بعد قرارها!

شعر:

يا معرضًا بوصال عيش ناعم ستصد عنه طائعًا أو كارهًا

إن الحوادث تزعج الأحرار عن أوطانها والطير عن أوكارها

أين من ملك المغارب والمشارق، وعمَّر النواحي وغرس الحدائق

ونال الأماني وركب العواتق؟

صاح به من دار غراب بين ناعق، وطرقه في لهوه أقطع طارق.

وزجرت عليه رعود وصواعق، وحل به ما شيب بعض المفارق.

وقلاه الحبيب الذي لم يفارق، وهجره الصديق والرفيق الصادق.

ونقل من جوار المخلوقين إلىٰ جوار الخالق.

نازله والله الموت، فلم يحاشه .. وأزله بالقهر بعد عز جاشه.

وأبدله خشن التراب بعد لين فراشه .. ومزقه الدود في قبره كتمزيق قماشه.

وبقي في ضنك شديد من معاشه .. وبعد عن الصديق، فكأنه لم يماشه.

ما نفعه والله الاحتراز .. ولا ردت عنه الركاز.

بل ضره من الزاد الإعواز .. وصار والله عبرة للمجتاز.

وقطع شاسعًا من السبل الأوفاز، وبقى رهينًا لا يدري أهلك أم فاز؟

وهذه لك بعد أيام .. وما أنت فيه الآن أحلام.

ودنياك لا تصلح .. وما سمعت ستراه غدًا على التمام.

ويقع لي ولك ويحك أما يؤثر فيك هذا الكلام.

الكبيرة الخامسة والخمسون
الزنا

- يقول تعالى ناهيًا عباده عن الزنا وعن مقاربته، ومخالطة أسبابه ودواعيه: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً ﴾ [الإسراء: ٣٢]، أي: ذنبًا عظيمًا، ﴿ وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾، أي: وبئس طريقًا ومسلكًا(*).

- وقال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ ﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠].

- وقال تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ﴾ [النور: ٢]، ويزاد على ذلك أن يغرب عامًا من بلده للحديث الصحيح. ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ ﴾، أي: لا تأخذكم بهما رقة ورحمة في حكم الله تعالى فتخففوا الضرب أو تنقصوا العدد، بل أوجعوهما ضربًا، قال مجاهد: لا تعطلوا حدود الله، ولا تتركوا إقامتها شفقة ورحمة: ﴿ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ هذا من باب الإلهاب والتهييج، أي: إن كنتم مؤمنين حقًا تصدقون بالله واليوم الآخر، فلا تعطلوا الحدود ولا تأخذكم شفقة بالزناة، فإن جريمة الزنا أكبر من أن تستدر العطف أو تدفع إلى الرحمة، ﴿ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾، أي: وليحضر عقوبة الزانيين جماعة من المؤمنين؛ ليكون أبلغ في زجرهما، وأنجع في ردعهما فإن الفضيحة قد تنكل أكثر مما ينكل التعذيب(١).

- قال العلماء: هذا عذاب الزانية والزاني في الدنيا إذا كانا عزبين غير متزوجين، فإن كانا متزوجين، أو قد تزوجا ولو مرةً في العمر؛ فإنهما يرجمان بالحجارة إلى أن يموتا، كذلك ثبت في السُّنَّة عن النبي ﷺ: «فإن لم يستوف القصاص منهما في الدنيا وماتا من غير توبة، فإنهما يعذبان في النار بسياط من نار».

(*) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٨).

(١) صفوة التفاسير (٩١١).

وثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن**» متفق عليه.
(٣/ ١٩٠)

- وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا زنا الرجل خرج منه الإيمان فكان عليه كالظلة، فإذا أقلع رجع إليه الإيمان**» رواه أبو داود وهذا لفظه والترمذي وصححه الحاكم على شرط البخاري ومسلم[١].
(٣/ ١٩١)

- وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الإيمان كما يخلع الإنسان القميص من رأسه**» صححه الحاكم على شرط مسلم[٢].

- وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر**» رواه مسلم والنسائي (٣/ ١٩٢) والعائل: الفقير.

- وفي صحيح البخاري في حديث مَنام النبي ﷺ الذي رواه سمرة بن جندب، وفيه أنه ﷺ جاءه جبريل وميكائيل، قال: «**فانطلقنا فأتينا على مثل التنور فأحسب أنه كان يقول فيه: فإذا فيه لغط وأصوات، قال: فاطلعنا فيه، فإذا فيه رجال ونساء عراة، وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضووا** أي: صاحوا من شدة حره... الحديث».

وفي آخره: «... **وأما الرجال والنساء العراة الذين هم في مثل بناء التنور، فإنهم الزناة والزواني**» (٣/ ١٩١)، يعني: من الرجال والنساء، فهذا عذابهم إلى يوم القيامة، نسأل الله العفو والعافية.

- عن عطاء في تفسير قوله الله تعالى عن جنهم ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾ [الحجر: ٤٤]، قال: أشد تلك الأبواب غمًّا وحرًّا وكربًا، وأنتنها ريحًا للزناة الذين ارتبكوا الزنا بعد العلم.

- عن مكحول الدمشقي قال: يجد أهل النار رائحة منتنة، فيقول: ما وجدنا أنتن من

---

(١) ووافقه الذهبي (١/ ٢٢).
(٢) ووافقه الذهبي (١/ ٢٢).

هذه الرائحة فيقال لهم: هذه ريح فروج الزناة.

- وقال ابن زيد أحد أئمة التفسير: أنه ليؤذي أهل النار ريح فروج الزناة.

- في العشر الآيات التي كتبها الله لموسىٰ عليه السلام: «ولا تسرق، ولا تزن، فأحجب عنك وجهي» فإذا كان الخطاب لنبيه موسىٰ عليه السلام فكيف بغيره؟

- ورُوِي أن إبليس يبث جنوده في الأرض، ويقول لهم: أيكم أضل مسلمًا ألبسته التاج علىٰ رأسه، فأعظمهم فتنة أقربهم إليه منزلًا، فيجيء إليه أحدهم فيقول له: لم أزل بفلان حتىٰ طلق امرأته، فيقول: ما صنعت شيئًا سوف يتزوج غيرها، ثم يجيء الآخر فيقول: لم أزل بفلان حتىٰ ألقيت بينه وبين أخيه العداوة، فيقول: ما صنعت شيئًا، سوف يصالحه، ثم يجيء الآخر: فيقول: لم أزل بفلان حتىٰ زنىٰ، فيقول إبليس: نِعْمَ ما فعلت، فيدنيه منه، ويضع التاج علىٰ رأسه، نعوذ بالله من شرور الشيطان وجنوده.

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الإيمان سربال يسربله الله من يشاء، فإذا زنا العبد نزع منه سربال الإيمان، فإن تاب رد عليه**» خرَّجه البيهقي، وخرَّج نحوه أبو داود والترمذي والحاكم. (٣/ ١٩٣)

- وفي حديث أبي موسىٰ عنه ﷺ قال: «**ومن مات مدمن الخمر سقاه الله جل وعلا من نهر الغوطة**»، قيل: وما نهر الغوطة؟ قال: «**نهر يجري من فروج المومسات يؤذي أهل النار ريح فروجهم**» رواه ابن حبان والحاكم في صحيحهما (٣/ ١٨٢) يعني: أن الزانيات يجري من فروجهن قيح وصديد في النار، ثم يسقي ذلك لمن مات مصرًّا علىٰ شرب الخمر.

- وورد أن جهنم فيها واد فيه حيات، كل حية ثخن رقبة البعير تلسع تارك الصلاة، فيغلي سُمها في جسمه سبعين سنة، ثم يتهرىٰ لحمه وأن فيها واديًا اسمه جب الحزن فيه حيات وعقارب، كل عقرب بقدر البغل، لها سبعون شوكة، في كل شوكة راوية سم تضرب الزاني، وتفرغ سمها في جسمه يجد مرارة وجعها ألف سنة، ثم يتهرىٰ لحمه ويسيل من فرجه القيح والصديد.

- وورد أيضًا: أن من زنىٰ بامرأة متزوجة كان عليه وعليها في القبر نصف عذاب هذه الأمة، فإذا كان يوم القيامة يُحكِّم الله تعالىٰ زوجها في حسناته، هذا إذا كان بغير علمه، فإن

علم وسكت حرم الله عليه الجنة؛ لأن الله -تعالىٰ- كتب علىٰ بابها: أنت حرام علىٰ الديوث.

وهو الذي يعلم بالفاحشة في أهله، ويسكت ولا يغار.

- وورد كذلك: أن من وضع يده علىٰ امرأة لا تحل له بشهوة جاء يوم القيامة مغلولة يده إلىٰ عنقه، فإن قبلها قرضت شفتاه في النار، فإن زنىٰ بها نطقت فخذه وشهدت عليه يوم القيامة، وقالت: أنا للحرام ركبت، فينظر الله تعالىٰ إليه بعين الغضب، فيقع لحم وجهه، فيكابر ويقول: ما فعلت، فيشهد عليه لسانه، فيقول: أنا بما لا يحل نطقت، وتقول يداه أنا للحرام تناولت، وتقول عيناه: أنا للحرام نظرت، وتقول رجلاه: أنا لما لا يحل مشيت، ويقول فرجه: أنا فعلت.

ويقول الحافظ من الملائكة: وأنا سمعت ويقول الآخر: وأنا كتبت، ويقول الله تعالىٰ: وأنا اطلعت وسترت.

ثم يقول الله: يا ملائكتي خذوه، ومن عذابي أذيقوه فقد اشتد غضبي علىٰ من قل حياؤه، وتصديق ذلك في كتاب الله عزَّ وجلَّ: ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النور: ٢٤].

- وبعض الزنا أكبر من بعض.

وأعظم الزنا: الزنا بالأم والأخت وامرأة الأب وبالمحارم.

وقد روىٰ الإمام أحمد[١] عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: **«من وقع على ذات محرم فاقتلوه»**.

وعن البراء ﷺ قال: لقيت عمي ومعه راية، فقلت له: أين تريد؟ قال: (بعثني رسول الله ﷺ: إلىٰ رجل نكح امرأة أبيه فأمرني أن أضرب عنقه، وآخذ ماله) رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن غريب[٢] والحاكم وصححه[٣].

---

(١) قال الشيخ شاكر: إسناده حسن (٤/ ٢٥٦-٢٥٧).

(٢) قال الشوكاني (٧/ ١٣١): وللحديث أسانيد كثيرة منها ما رجاله رجال الصحيح.

(٣) وأقره الذهبي (٢/ ١٩١).

وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رجل: يا رسول الله! أي الذنب أكبر عند الله؟ قال: «أن تدعو لله ندًّا وهو خلقك»، قال: ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك»، قال: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك»، فأنزل الله تصديقها: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٨]. مخرَّج في الصحيحين[1].

فانظر -رحمك الله- كيف قرن الزنا بزوجة الجار بالشرك بالله، وقتل النفس التي حرم الله عزَّ وجلَّ إلا بالحق، فنسأل الله المنان بفضله أن يغفر لنا ذنوبنا إنه جواد كريم.

(١) البخاري (٦/ ١٣٧)، ومسلم (١/ ٩١).

الكبيرة السادسة والخمسون
اللـواط

- قد قص الله عزَّ وجلَّ علينا في كتابه العزيز قصة قوم لوط في غير موضع، من ذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾ أي: من طين طبخ حتى صار كالآجر ﴿ مَّنضُودٍ ﴾، أي: يتلو بعضه بعضًا ﴿ مُّسَوَّمَةً ﴾، أي: معلَّمة بعلامة تعرف بها أنها ليست من حجارة أهل الدنيا ﴿ عِندَ رَبِّكَ ﴾، أي: في خزائنه التي لا يتصرف في شيء منها إلا بإذنه ﴿ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [هود: ٨٢، ٨٣]: ما هي من ظالمي هذه الأمة إذا فعلوا فعلهم أن يحل بهم ما حلَّ بأولئك من العذاب.

- ولهذا قال النبي ﷺ: «إن أخوف ما أخاف على أمتي عمل قوم لوط» رواه ابن ماجه والترمذي وقال: حديث غريب. (٣/ ١٩٧)

- ولعن من فعل فعلهم ثلاثًا، فقال: «لعن الله من عمل عمل قوم لوط قالها ثلاثًا» رواه ابن حبان من حديث ابن عباس. (٣/ ١٩٨)

- رُوِي مرفوعًا «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به» رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه والبيهقي[1].

- **قال ابن عباس ﵄: «يُنظَر أعلى بناء في القرية فيلقى منه، ثم يتبع بالحجارة كما فُعل بقوم لوط».**

- وأجمع المسلمون على أن التلوط من الكبائر التي حرم الله تعالى.

- قال تعالى مخبرًا عن محاورة نبيه لوط لقومه: ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾، أي: أتنكحون الذكور في أدبارهم، وتنفردون بهذا الفعل الشنيع من بين سائر الخلق؟ ﴿ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ﴾، أي: وتتركون ما أباح لكم ربكم من الاستمتاع بالإناث؟

---

(١) قال المنذري: كلهم من رواية عمرو بن أبي عمرو عن عكرمة عن ابن عباس، وعمرو هذا قد احتج به الشيخان وغيرهما، وقال ابن معين: ثقة ينكر عليه حديث ابن عباس يعني هذا انتهى (٣/ ١٩٩).

قال مجاهد: تركتم فروج النساء إلىٰ أدبار الرجال، ﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾ [الشعراء: ١٦٥، ١٦٦] أي: بل أنتم قوم مجاوزون الحد في الإجرام والفساد، وبَّخهم علىٰ إتيانهم الذكور، ثم أضرب عنه إلىٰ ما هو أبلغ في التوبيخ، كأنه يقول: خرجتم عن حدود الإنسانية إلىٰ مرتبة البهيمية بعدوانكم وارتكابكم هذه الجريمة الشنيعة؛ فالذكر من الحيوان يأنف عن إتيان الذكر، وأنتم فعلتم ما يتورع عنه الحيوان[1].

- وقال تعالىٰ في آية أخرىٰ مخبرًا عن نبيه لوط ﷺ: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧٤]، وكان اسم قريتهم سدوم، وكان أهلها يعملون الخبائث التي ذكرها الله تعالىٰ في كتابه، كانوا يأتون الذكران من العالمين في أدبارهم، ويتضارطون في أنديتهم مع أشياء أخرىٰ كانوا يعملونها من المنكرات.

- ورُوِي عن ابن عباس ﷺ أنه قال: عشر خصال من أعمال قوم لوط: تصفيف الشعر، وحل الأزرار، ورمي البندق، والخذف بالحصىٰ، واللعب بالحمام الطيارة، والصفير بالأصابع، وفرقعة الأكعب، وإسبال الإزار، وحل أزر الأقبية، وإدمان شرب الخمر، وإتيان الذكور.

وستزيد عليها هذه الأمة مساحقة النساء للنساء.

- ورُوِي أن «**سحاق النساء بينهن زنا**».

- ورُوِي كذلك: «**أن أربعة يصبحون في غضب الله ويمسون في سخط الله تعالىٰ: المتشبهون من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال، والذي يأتي البهيمة، والذي يأتي الرجال، يعني: اللواط**».

- ورُوِي أنه إذا ركب الذكرُ الذكرَ اهتز عرش الرحمن خوفًا من غضب الله تعالىٰ، وتكاد السموات أن تقع علىٰ الأرض، فتمسك الملائكة بأطرافها، وتقرأ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ إلىٰ آخرها، حتىٰ يسكن غضب الله عزَّ وجلَّ.

---

(١) صفوة التفاسير (٩٨٨).

- وجاء في الأثر: «**سبعة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولا يجمعهم مع العالمين ويدخلهم النار في أول الداخلين إلا أن يتوبوا، ومن تاب تاب الله عليه: الناكح يده والفاعل والمفعول به، ومدمن الخمر، والضارب والديه حتى يستغيثا، والمؤذي جيرانه حتى يلعنه الناس، والناكح حليلة جاره**»[1].

- ورُوِي أن قومًا يُحشَرون يوم القيامة، وأيديهم حبالى من الزنا كانوا يعبثون في الدنيا بمذاكيرهم.

- ورُوِي أن من أعمال قوم لوط: اللعب بالنرد، والمسابقة بالحمام، والمهارشة بين الكلاب، والمناطحة بين الكباش، والمناقرة بالديوك، ودخول الحمَّام بلا مئزر، ونقص الكيل والميزان، ويل لمن فعلها.

- وفي الأثر: من لعب بالحمام القلابة، لم يمت حتى يذوق ألم الفقر.

- وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (إن اللوطي إذا مات من غير توبة فإنه يمسخ في قبره خنزيرًا)».

- وقال ﷺ: «**لا ينظر الله عزَّ وجلَّ إلى رجل أتى رجلًا، أو امرأة في دبرها**» رواه الترمذي والنسائي وابن حبان في صحيحه. (٣/ ٢٠٠)

- وقال أبو سعيد الصعلوكي: سيكون في هذه الأمة قوم يقال لهم: اللوطيون، وهم على ثلاثة أصناف: صنف ينظرون، وصنف يصافحون، وصنف يعملون ذلك العمل الخبيث.

- والنظر بشهوة إلى المرأة والأمرد زنًا؛ لما صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا فهو مدرك ذلك لا محالة: فالعينان زناهم النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطى، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه**» رواه مسلم والبخاري. (٣/ ٦٤)

---

(١) عزاه في التلخيص لأبي الشيخ وجعفر الفريابي من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعًا، قال: وفيه ابن لهيعة، وهو ضعيف (٢/ ١٨٨) لكن قال الشيخ الغماري في الاستقصاء (٣٦): هو حسن الحديث في المتابعات، كما قال الحافظ الهيثمي في غير موضع من مجمع الزوائد: بل حسن له أحاديث انفرد بها، إلى أن قال: فبانضمام هذين الطريقين -يعني هذا الطريق وطريقًا آخر ذكره- يكون الحديث من قبيل الحسن لغيره، وهو حجة بلا نزاع.

- ولأجل ذلك بالغ الصالحون في الإعراض عن المردان، وعن النظر إليهم، وعن مخالطتهم ومجالستهم.

- قال الحسن بن ذكوان: لا تجالسوا أولاد الأغنياء؛ فإن لهم صور العذارىٰ، فهم أشد فتنة من النساء.

- وقال بعض التابعين: ما أنا بأخوف علىٰ الشاب الناسك من سبع ضارٍ مني عليه من الغلام الأمرد يقعد إليه.

- وكان يقال: لا يبيتن رجل مع أمرد في مكان واحد.

- وحرم بعض العلماء الخلوة مع الأمرد في بيت أو حانوت أو حمام قياسًا علىٰ المرأة؛ لأن النبي ﷺ قال: «**لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم**» متفق عليه. (٥٨٠)

وفي المردان من يفوق النساء بحسنه، فالفتنة به أعظم وأنه يمكن في حقه من الشر ما لا يمكن في حق النساء ويتسهل في حقه من طريق الريبة والشر ما لا يتسهل في حق المرأة، فهو بالتحريم أولىٰ.

- وأقاويل السلف في التنفير منهم والتحذير من رؤيتهم أكثر من أن تحصر، وسموهم الأنتان؛ لأنهم مستقذرون شرعًا، وسواء فيما ذكرناه نظر المنسوب إلىٰ الصلاح وغيره.

- ودخل سفيان الثوري الحمَّام، فدخل عليه صبي حسن الوجه، فقال: أخرجوه عني، أخرجوه عني، فإني أرىٰ مع كل امرأة شيطانًا، وأرىٰ مع كل صبي حسن بضعة عشر شيطانًا.

- وجاء رجل إلىٰ الإمام أحمد رحمه الله ومعه صبي حسن، فقال الإمام: ما هذا منك؟ قال: ابن أختي.

قال: لا تجئ به إلينا مرة أخرىٰ، ولا تمش معه في طريق؛ لئلا يظن بك من لا يعرفك ولا يعرفه سوءًا.

- وأنشدوا شعرًا:

كل الحوادث مبداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر

والمـــرء مــــا دام ذا عــــين يقلبهــــا   في أعــين الغــير موقــوف عــلى الخطــر
كــم نظــرة فعلــت في قلــب صــاحبها   فعــل الــسهام بــلا قــوس ولا وتــر
يــــسر نــــاظره مــــا ضر خــــاطره   لا مرحبًــا بــــسرور عــاد بالــضرر

- وكان يقال: النظر بريد الزنا.

- ورُوِي: النظر سهم مسموم من سهام إبليس، فمن تركه لله، أورث اللهُ قلبَه عبادة يجد حلاوتها في قلبه.

- وأجمعت الأمة على أن من فعل بمملوكه فهو لوطي مجرم.

فصل
في عقوبة من أمكن من نفسه طائعًا

- عن خالد بن الوليد: كتب إلى أبي بكر الصديق أنه وجد رجلًا في بعض نواحي العرب يُنكح كما تُنكَح المرأة، فجمع لذلك أبو بكر أصحاب رسول الله ﷺ، وفيهم عليٌّ بن أبي طالب فقال عليٌّ: إن هذا ذنب لم تعمل به إلا أمة واحدة، ففعل الله بهم ما قد علمتم أرى أن تحرقه بالنار، فاجتمع رأي أصحاب رسول الله ﷺ أن يحرق بالنار، فأمر به أبو بكر أن يحرق بالنار، رواه البيهقي وغيره بإسناد جيد. (٣/ ١٩٩-٢٠٠)

- وقال عليٌّ ﷺ: من أمكن من نفسه طائعًا حتى ينكح، ألقى الله عليه شهوة النساء وجعله شيطانًا رجيمًا في قبره إلى يوم القيامة.

- ومما رُوِي: أن عيسى ابن مريم عليه السلام مر في سياحته على نار توقد على رجل فأخذ عيسى عليه السلام ماء ليطفئ عنه، فانقلبت النار صبيًّا وانقلب الرجل نارًا، فتعجب عيسى عليه السلام من ذلك، وقال: يا رب ردهما إلى حالهما في الدنيا، لأسألهما عن خبرهما، فأحياهما الله تعالى، فإذا هما رجل وصبي، فقال لهما عيسى عليه السلام: ما خبركما؟ فقال الرجل: يا روح الله إني كنت في الدنيا مبتلى بحب هذا الصبي، فحملتني الشهوة أن فعلت به الفاحشة، فلما أن مت ومات الصبي، صير نارًا تحرقني مرة، وأصير نارًا أحرقه مرة، فهذا عذابنا إلى يوم القيامة، نعوذ بالله من عذاب الله، ونسأله العفو والعافية، والتوفيق لما يحب ويرضى.

فصل

- ويلتحق باللواط إتيان المرأة في دبرها، وذلك مما حرمه الله ورسوله.

- قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، أي: كيف شئتم مقبلين ومدبرين، في صمام واحد، أي: موضع واحد.

- **وسبب نزول هذه الآية:**

أن اليهود في زمن النبي ﷺ كانوا يقولون: إذا أتى الرجل امرأته من دبرها في قبلها جاء الولد أحول، فأنزلت هذه الآية تكذيبًا لهم، «﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾: **إن شاء مجبية، وإن شاء غير مجبية غير أن ذلك في صمام واحد**»، أخرجه مسلم[1] عن جابر ﷺ.

- وفي رواية: «**اتقوا الدبر والحيضة**»[2].

وقوله: (صمام واحد)، أي: في موضع واحد، وهو الفرج؛ لأنه موضع الحرث، أي: موضع زرع الولد.

- وأما الدبر: فإنه محل النجو، وذلك خبيث مستقذر.

فقد روى أبو هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ملعون من أتى امرأته في دبرها**» خرَّجه أبو داود والنسائي وابن ماجه[3].

- وعن عقبة بن عامر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لعن الله الذين يأتون النساء في محاشهن**» رواه الطبراني من رواية عبد الصمد بن الفضل[4] (٣/ ٢٠١)

فمن جامع امرأته في دبرها فهو ملعون وداخل في هذا الوعيد الشديد.

- وكثير من الجهال واقعون في هذه المعاصي، وذلك من قلة معرفتهم وسماعهم للعلم؛ ولذلك قال أبو الدرداء: كن عالمًا أو متعلمًا، أو مستمعًا، أو محبًا، ولا تكن الخامس فتهلك،

---

(١) صحيح مسلم (١٠/ ٦-٧).

(٢) عزاه في المنتقى إلى أحمد والترمذي ونقل قوله حديث حسن غريب (٦/ ٢٠٣-٢٠٤) نيل الأوطار.

(٣) مختصر السنن (٣/ ٧٧-٧٩).

(٤) قال المنذري: لا بأس به لم أر فيه جرحًا (٤/ ٢٨٧).

وهو الذي لا يعلم ولا يتعلم، ولا يستمع ولا يحب من يعمل ذلك، ويجب على العبد أن يتوب إلى الله من جميع الذنوب والخطايا، ويسأل الله العفو عما مضى منه في جهله، والعافية فيما بقى من عمره اللهم إنا نسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة إنك أرحم الراحمين!!

الكبيرة السابعة والخمسون
السرقة

- قال الله تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا ﴾ أي: كل من سرق رجلًا كان أو امرأة، فاقطعوا يده مجازاة لهما على فعلهما القبيح ﴿ نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ﴾، أي: عقوبة من الله، ﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ﴾ في انتقامه من السارق ﴿ حَكِيمٌ ﴾ فيما أوجبه من قطع يده [المائدة: ٣٨]

قال ابن شهاب: نكل الله بالقطع في سرقة أموال الناس، وقال ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارقة حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولكن التوبة معروضة بعد**» رواه مسلم وأبو داود. (٣/ ١٨٠)

- وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قطع في مِجَنٍّ[١] ثمنه ثلاثة دراهم، رواه الجماعة[٢].

- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقطع يد السارق في ربع دينار فصاعدًا، رواه الجماعة إلا ابن ماجة[٣]، وفي رواية النسائي -مرفوعًا-: «**لا يقطع يد السارق، فيما دون ثمن المجن**» قيل لعائشة: ما ثمن المجن؟ قالت: ربع دينار.

وفي رواية الإمام أحمد مرفوعًا: «**اقطعوا في ربع دينار، ولا تقطعوا فيما هو أدنى من ذلك**»، وكان ربع الدينار يومئذٍ ثلاثة دراهم، والدينار: اثنا عشر درهمًا[٤].

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لعن الله السارق: يسرق البيضة فتقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده**» قال الأعمش: كانوا يرون أنه بيض الحديد، والحبل: كانوا يرون أن منها ما يساوي دراهم، رواه البخاري ومسلم وأحمد[٥].

---

(١) قوله: مِجَنّ (بكسر الميم وفتح الجيم وتشديد النون): وهو الترس (٧/ ١٢٤) نيل الأوطار.

(٢) نيل الأوطار (٧/ ١٢٤).

(٣) نيل الأوطار (٧/ ١٢٤).

(٤) نيل الأوطار (٧/ ١٢٤).

(٥) نيل الأوطار (٧/ ١٢٤).

- وعن عائشة قالت: كانت امرأة مخزومية تستعير المتاع، وتجحده فأمر النبي ﷺ بقطع يدها، فأتى أهلها أسامة بن زيد فكلموه، فكلم النبي ﷺ فيها: فقال له النبي ﷺ: **«يا أسامة لا أراك تشفع في حد من حدود الله عزَّ وجلَّ»** ثم قام النبي ﷺ، خطيبًا، فقال: **«إنما هلك من كان قبلكم بأنه إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه، والذي نفسي بيده: لو كانت فاطمة بنت محمد، لقطعت يدها، فقطع يد المخزومية»** رواه أحمد ومسلم والنسائي[1].

قال العلماء: ولا تنفع السارق توبته إلا أن يرد ما سرقه، فإن كان مفلسًا تحلل من صاحب المال والله أعلم.

(١) نيل الأوطار (٧/ ١٣١).

الكبيرة الثامنة والخمسون
قطع الطريق

- قال الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٣].

- قال الواحدي رحمه الله: معنىٰ ﴿يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾: يعصونهما، ولا يطيعونهما: كل من عصاك فهو محارب لك.

﴿ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ﴾، أي: بالقتل والسرقة وأخذ الأموال، وكل من أخذ السلاح علىٰ المؤمنين، فهو محارب لله ورسوله، وهذا قول مالك والأوزاعي والشافعي، قوله تعالىٰ: ﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ ..﴾ إلىٰ قوله: ﴿أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾.

قال الوالبي: عن ابن عباس رضي الله عنهما: (أو) دخلتْ للتخيير، ومعناها: الإباحة، إن شاء الإمام قتل، وإن شاء صلب، وإن شاء نفىٰ، وهذا قول الحسن وسعيد بن المسيب ومجاهد، وقال في رواية عطية: (أو) ليست للإباحة، إنما هي مرتبة الحكم باختلاف الجنايات:

فمن قتل وأخذ المال قتل وصلب.

ومن أخذ المال ولم يقتل قطع.

ومن سفك الدم، وكف عن الأموال قتل.

ومن أخاف السبيل، ولم يقتل نفي من الأرض.

وهذا مذهب الشافعي رضي الله عنه.

وقال الشافعي أيضًا: يحدُّ كل واحد بقدر فعله.

فمن وجب عليه القتل، والصلب: قتل قبل صلبه كراهيَّة تعذيبه ويصلب ثلاثًا، ثم ينزل.

ومن وجب عليه القتل دون الصلب: قتل، ودفع إلىٰ أهله يدفنونه.

ومن وجب عليه القطع دون القتل: قطعت يده اليمنى، ثم حسمت فإن عاد وسرق ثانيًا: قطعت رجله اليسرى، فإن عاد وسرق: قطعت يده اليسرى.

لأنه فعل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ولا مخالف لهما من الصحابة، وجه كونها اليسرى، اتفاق من صار إلى قطع الرجل بعد اليد على أنها اليسرى، وذلك معنى قوله تعالى: ﴿ مِّنْ خِلَٰفٍ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ﴾، قال ابن عباس: هو أن يهدر الإمام دمه، فيقول: من لقيه فليقتله، هذا فيمن لا يقدر عليه.

فأما من قبض عليه: فنفيه من الأرض الحبس والسجن؛ لأنه إذا حبس، ومنع من التقلب في البلاد، فقد نُفِي منها.

أنشد ابن قتيبة لبعض المسجونين شعرًا:

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها ... فلسنا من الأموات فيها ولا الأحيا[1]

إذا جاءنا السجَّان يومًا لحاجة ... عجبنا وقلنا: جاء هذا من الدنيا

- فبمجرد قطع الطريق وإخافة السبيل قد ارتكب الكبيرة، فكيف إذا أخذ المال أو جرح أو قتل؟ فقد فعل عدة كبائر مع ما غالبهم عليه من ترك الصلاة، وإنفاق ما يأخذونه في الخمر والزنا واللواطة وغير ذلك، نسأل الله العافية من كل بلاء ومحنة، إنه جواد كريم غفور رحيم.

---

(١) هذا هو الصواب وهو في المحاسن والأضداد (٣٠) ونسبه لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، والتنبيه لأبي السيد (٢٩) وتفسير القرطبي (٦/ ١٥٣) غير منسوب فيها والزواجر (٥٦٧) منسوبًا لصالح بن عبد القدوس، وفي (الموتى عليه) بدلًا من (الأموات فيها). وفي الأصل: الأحياء فيها ولا الموتى، وهو كذلك في تأويل مشكل القرآن (٤٠٠) والقرطبي (١/ ١٤١) وإعراب ثلاثين سورة (١٧٣).

الكبيرة التاسعة والخمسون
شرب الخمر

- قال الله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠]، فقد نهىٰ عزَّ وجلَّ في هذه الآية عن الخمر وحذر منها.

- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «اجتنبوا الخمر فإنها مفتاح كل شر» رواه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد[1]. (٣/ ١٨٣)

فمن لم يجتنبها فقد عصىٰ الله ورسوله واستحق العذاب بمعصية الله ورسوله قال الله تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾ [النساء: ١٤].

- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (لما حرمت الخمر مشىٰ أصحاب رسول الله ﷺ بعضهم إلىٰ بعض، وقالوا: حرمت الخمر وجُعلت عدلًا للشرك) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح[2]. (٣/ ١٨٥)

- وهي بلا ريب أم الخبائث، وقد لعن شاربها في غير حديث.

- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «كل مسكر خمر وكل مسكر حرام، ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يدمنها، لم يشربها في الآخرة» رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي. (٣/ ١٨٢)

- وروىٰ مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل مسكر حرام، وإن عند الله عهدًا لمن يشرب المسكر، أن يسقيه من طينة الخبال» قيل: يا رسول الله، وما طينة الخبال؟ قال: «عرق أهل النار، أو عصارة أهل النار». (٣/ ٢٨٥)

---

(١) وأقره الذهبي (٤/ ١٤٥).

(٢) وخرَّجه الحاكم (٤/ ١٤٤) وصححه علىٰ شرط الشيخين، وأقره الذهبي.

- وروى مسلم كذلك أنه ﷺ قال: «من شرب الخمر في الدنيا، ثم لم يتب منها حرمها في الآخرة». (٣/ ١٨٢)

ذكر أن مدمن الخمر كعابد وثن

- عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من لقي الله مدمن خمر لقيه كعابد وثن» رواه ابن حبان في صحيحه[١]. (٣/ ١٨٣)

ذكر أن مدمن الخمر إذا مات ولم يتب لا يدخل الجنة

روى ابن ماجه من حديث أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل الجنة مدمن خمر»[٢].

وفي رواية: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن خمر، وقاطع رحم، ومصدق بسحر» رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني، ورجال أحمد وأبي يعلى ثقات[٣].

ذكر أن السكران لا يقبل الله منه حسنة

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة، ولا تصعد لهم إلى السماء حسنة: العبد الآبق حتى يرجع إلى مواليه فيضع يده في أيديهم، والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى، والسكران حتى يصحو» رواه الطبراني في الأوسط[٤] وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما والبيهقي. (٣/ ١٨٦)

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين صباحًا، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد لم تقبل له صلاة أربعين صباحًا، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد لم تقبل له صلاة أربعين صباحًا، فإن تاب تاب الله عليه فإن عاد في الرابعة لم تقبل له صلاة أربعين صباحًا، فإن تاب لم يتب الله عليه، وغضب الله عليه وسقاه من نهر

---

(١) يشبه أن يكون معناه: من لقي الله مدمن خمر مستحلًا لشربه لقيه كعابد وثن؛ لاستوائهما في حالة الكفر، نقله الضياء عن ابن حبان كما في السلسلة الصحيحة (٢٣٥).

(٢) قال البوصيري: إسناده حسن، وسليمان بن عتبة مختلف فيه وباقي رجال الإسناد ثقات (٢/ ١١٢٠).

(٣) مجمع الزوائد (٥/ ٧٤).

(٤) قال الهيثمي (٤/ ١٣١٣): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه محمد بن عقيل وحديثه حسن، وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات.

الخبال»، قيل: يا أبا عبد الرحمن، وما نهر الخبال؟ قال: نهر يجري من صديد أهل النار، رواه الترمذي وحسنه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد[1]. (٣/ ١٨٨)

ذكر أن من شرب الخمر لا يكون مؤمنًا حين يشربها

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولكن التوبة معروضة بعد**» رواه البخاري ومسلم وأبو داود. (٣/ ١٨٠)

وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الإيمان كما يخلع الإنسان القميص من رأسه**» رواه الحاكم وصححه على شرط مسلم[2]. (٣/ ١٨٢)

عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «**ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن خمر، وقاطع رحم، ومصدق بسحر، ومن مات مدمن خمر سقاه الله من نهر الغوطة**» قيل: وما نهر الغوطة؟ قال: «**نهر يجري من فروج المومسات يؤذي أهل النار بريح فروجهم**» رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني، ورجال أحمد وأبي يعلى ثقات[3].

ذكر من لعن في الخمر

روى أبو داود عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لعن الله الخمر وشاربها وساقيها ومبتاعها وبائعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه**» زاد ابن ماجة: «.، **وآكل ثمنها**». (٣/ ١٨٠)

ورواه الإمام أحمد بسند صحيح من حديث ابن عباس ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أتاني جبريل فقال: يا محمد إن الله لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة إليه وبائعها ومبتاعها وساقيها ومسقاها**» وصححه ابن حبان والحاكم[4]. (٣/ ١٨١)

---

(١) وأقره الذهبي (٤/ ١٤٦).

(٢) وأقره الذهبي (١/ ٢٢).

(٣) مجمع الزوائد (٥/ ٧٤).

(٤) وأقره الذهبي (٤/ ١٤٥).

ذكر النهي عن عيادة شربة الخمر إذا مرضوا وكذلك لا يسلم عليهم

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: «**لا تعودوا شراب الخمر إذا مرضوا**».

قال البخاري: وقال ابن عمر: «**لا تسلموا على شربة الخمر**».

وجاء في المرويات: لا تجالسوا شراب الخمر، ولا تعودوا مرضاهم، ولا تشهدوا جنائزهم، وإن شارب الخمر يجيء يوم القيامة مسودًا وجهه مدلعًا لسانه على صدره، يسيل لعابه يقذره كل من رآه وعرفه أنه شارب خمر.

قال بعض العلماء: إنما نهى عن عيادتهم والسلام عليهم؛ لأن شارب الخمر فاسق ملعون قد لعنه الله ورسوله كما تقدم في قوله: «**لعن الله الخمر وشاربها**» فإن اشتراها وعصرها، كان ملعونًا مرتين، وإن سقاها لغيره كان ملعونًا ثلاث مرات، فلذلك نهى عن عيادته والسلام عليه إلا أن يتوب، فمن تاب تاب الله عليه.

ذكر أن الخمر لا يحل التداوي بها

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: اشتكت ابنة لي فنبذت لها في تور فدخل النبي ﷺ وهو يغلي، فقال: «**ما هذا؟**» فقلت: إن ابنتي اشتكت، فنبذت لها هذا، فقال: «**إن الله عزَّ وجلَّ لم يجعل شفاءكم في حرام**» رواه أبو يعلى والبزار إلا أنه قال: (في كوز) بدل (في تور) ورجال أبي يعلى رجال الصحيح خلا حسان بن مخارق، وقد وثقه ابن حبان[1].

وعن وائل بن حجر أن طارق بن سويد الجعفي سأل النبي ﷺ عن الخمر فنهاه عنها فقال: إنما أصنعها للدواء، قال: «**إنه ليس بدواء ولكنه داء**» رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي وصححه[2].

---

(١) مجمع الزوائد (٥/ ٨٦).

(٢) نيل الأوطار (٨/ ٢٠٣).

ذكر بعض الآثار المروية في الخمر

رُوِي أن من كان في صدره آية من كتاب الله وصب عليها الخمر يجيء يوم القيامة كل حرف من تلك الآية فيأخذ بناصيته حتىٰ يوقفه بين يدي الله تبارك وتعالىٰ فيخاصمه، ومن خاصمه القرآن خصم، فالويل لمن كان القرآن خصمه يوم القيامة.

ورُوِي أنه ما من قوم اجتمعوا علىٰ مسكر في الدنيا إلا جمعهم الله في النار فيقبل بعضهم علىٰ بعض يتلاومون، يقول أحدهم للآخر: يا فلان لا جزاك الله عني خيرًا فأنت الذي أوردتني هذا المورد، ويقول له الآخر مثل ذلك.

ورُوِي أنه من شرب الخمر في الدنيا سقاه الله من سم الأساودة[1] شربة يتساقط لحم وجهه في الإناء قبل أن يشربها، فإذا شربها تساقط لحمه وجلده، يتأذىٰ به أهل النار.

ألا وشاربها وعاصرها ومعتصرها، وحاملها والمحمولة إليه، وآكل ثمنها شركاء في إثمها، لا يقبل الله منهم صلاة ولا صومًا ولا حجًّا حتىٰ يتوبوا، فإن ماتوا قبل التوبة كان حقًّا علىٰ الله أن يسقيهم بكل جرعة شربوها في الدنيا من صديد جهنم، ألا وكل مسكر خمر وكل خمر حرام.

ورُوِي: أن شربة الخمر إذا أتوا علىٰ الصراط يتخطفهم الزبانية إلىٰ نهر الخبال فيسقون بكل كأس شربوها من الخمر شربة من نهر الخبال، فلو أن تلك الشرب تصب من السماء، لأحرقت السموات من حرها ، نعوذ بالله منها.

وقال عبد الله بن أبي أوفىٰ: من مات مدمن الخمر، مات كعابد اللات والعزىٰ، قيل: أرأيت مدمن الخمر، هو الذي لا يستفيق من شربها؟ قال: لا، ولكن هو الذي يشربها إذا وجدها، ولو بعد سنين.

---

(١) الأساودة: جمع أسودة أنثىٰ الأسود وهو العظيم من الحيات (اللسان).

فصل

وقد ذهب عبد الله بن عمر إلىٰ أن الخمر أكبر الكبائر؛ فقد روىٰ الطبراني بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمرو أن أبا بكر وعمر وناسًا جلسوا بعد وفاة النبي ﷺ فذكروا أعظم الكبائر فلم يكن عندهم فيها علم، فأرسلوني إلىٰ عبد الله بن عمرو أسأله فأخبرني أن «**أعظم الكبائر شرب الخمر**»، فأتيتهم فأخبرتهم، فأنكروا ذلك، ووثبوا إليه شيعًا حتىٰ أتوه في داره.

فأخبرهم أن رسول الله ﷺ قال: «**إن ملكًا من ملوك بني إسرائيل أخذ رجلًا فخيره بين أن يشرب الخمر، أو يقتل نفسًا، أو يزني، أو يأكل لحم خنزير، أو يقتلوه فاختار الخمر، فلما شرب الخمر لم يمتنع من شيء أرادوه منه**».

وأن رسول الله ﷺ: «**ما من أحد يشربها فتقبل له صلاة أربعين ليلة، ولا يموت وفي مثانته منه شيء إلا حُرمت بها عليه الجنة، فإن مات في أربعين ليلة مات ميتة جاهلية**» وصححه الحاكم علىٰ شرط مسلم[1]. (٣/ ١٨٤)

فصل

والخمر ما خامر العقل، أي: غطاه سواء كان رطبًا أو يابسًا، أو مأكولًا أو مشروبًا، والحشيشة المصنوعة من ورق القنب حرام كالخمر، يُحَدُّ شاربها، كما يُحَدُّ شارب الخمر؛ لدخولها في عموم قوله ﷺ: «**كل مسكر خمر**»، وهي أخبث من الخمر، من جهة أنها تفسد العقل والمزاج، حتىٰ يصير في الرجل تخنث ودياثة، وغير ذلك من الفساد، والخمر أخبث من جهة أنها تفضي إلىٰ المخاصمة والمقاتلة، وكلاهما يصد عن ذكر الله، وعن الصلاة[2]، لكن لما كانت جامدة مطعومة ليست شرابًا تنازع العلماء في نجاستها علىٰ ثلاثة أقوال في مذهب الإمام أحمد وغيره.

---

(١) وسكت عنه الذهبي (٤/ ١٤٧).

(٢) وقد توقف بعض الفقهاء المتأخرين في حدها، ورأىٰ أن أكلتها تعزر بها دون الحد حيث ظنها تغير العقل من غير طرب بمنزلة البنج ولم يجد للعلماء المتقدمين فيها كلامًا، وليس كذلك، بل أكلتها ينشون منها، ويشتهونها كشراب الخمر وأكثر، وتصدهم عن ذكر الله وعن الصلاة إذا أكثروا منها، مع ما فيها من المفاسد الأخرىٰ من الدياثة، والتخنث وفساد المزاج والعقل وغير ذلك.

فقيل: هي نجسة كالخمر المشروبة وهذا هو الاعتبار الصحيح، وقيل: لا؛ لجمودها، وقيل: يفرق بين جامدها ومائعها، وبكل حال، فهي داخلة فيما حرم الله ورسوله من الخمر المسكر لفظًا ومعنى.

وقال أبو موسى: يا رسول الله أفتنا في شرابين كنا نصنعهما باليمن: البِتْع وهو من العسل ينبذ حتى يشتد، والمِزر: وهو من الذرة والشعير ينبذ حتى يشتد، قال: وكان رسول الله ﷺ قد أُعطي جوامع الكلم بخواتمه، فقال: «**أنهى عن كل مسكر أسكر عن الصلاة**» رواه مسلم[1].

وقال ﷺ: «**ما أسكر كثيره، فقليله حرام**» رواه أحمد وابن ماجه والدارقطني وصححه عن ابن عمر رضي الله عنهما[2]، ولم يفرق ﷺ بين نوع ونوع لكونه مأكولًا أو مشروبًا، على أن الخمر قد يصطبغ بها يعني الخبز وهذه الحشيشة قد تذاب بالماء وتشرب، والخمر يشرب ويؤكل، والحشيشة تشرب وتؤكل، وإنما لم يذكرها العلماء؛ لأنها لم تكن على عهد السلف الماضيين، وإنما حدثت في مجيء التتار إلى بلاد الإسلام.

وقد قيل في وصفها شعر:

قل لمن يأكل الحشيشة جهلًا	**عشت في أكلها بأقبح عيشة**
قيمة المرء جوهر فلماذا	**يا أخا الجهل بعته بحشيشة؟**

فوالله ما فرح إبليس بمثل فرحه بالحشيشة؛ لأنه زينها للأنفس الخسيسة فاستحلوها واسترخصوها.

فآكلها وزارعها حلالًا	**فتلك على الشقي مصيبتان**

---

(١) صحيح مسلم (١٣/ ١٧١).

(٢) نيل الأوطار (٨/ ١٧٩-١٨٠).

عِبر في الحكايات

١- عن عبد الملك بن مروان أن شابًّا جاء إليه باكيًا حزينًا، فقال: يا أمير المؤمنين إني ارتكبت ذنبًا عظيمًا، فهل لي من توبة؟ قال: وما ذنبك؟ قال: ذنبي عظيم، قال: وما هو؟ فتب إلى الله تعالى، فإنه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، قال: يا أمير المؤمنين كنت أنبش القبور، وكنت أرى فيها أمورًا عجيبة، قال: وما رأيت؟

قال: يا أمير المؤمنين نبشت ليلة قبرًا فرأيت صاحبه قد حول وجهه عن القبلة فخفت منه، وأردت الخروج، وإذا أنا بقائل يقول في القبر: ألا تسأل عن الميت لماذا حول وجهه عن القبلة؟فقلت: لماذا حول؟ قال: لأنه كان مستخفًّا بالصلاة، هذا جزاء مثله،

ثم نبشت قبرًا آخر، فرأيت صاحبه قد حول خنزيرًا، وقد شُدَّ بالسلاسل والأغلال في عنقه، فخفت منه وأردت الخروج.

وإذا بقائل يقول لي: ألا تسأل عن عمله؟ ولماذا يعذب؟ فقلت: لماذا؟ فقال: كان يشرب الخمر في الدنيا، ومات من غير توبة.

والثالث يا أمير المؤمنين نبشت قبرًا، فوجدت صاحبه قد شد بالأرض بأوتار من نار، وأُخرج لسانه من قفاه؛ فخفت ورجعت، وأردت الخروج، فنوديت: ألا تسأل عن حاله لماذا ابتلي؟ فقلت: لماذا؟ فقال: كان لا يتحرز من البول، وكان ينقل الحديث بين الناس فهذا جزاء مثله.

والرابع يا أمير المؤمنين نبشت قبرًا فوجدت صاحبه قد اشتعل نارًا فخفت منه، وأردت الخروج، فقيل: ألا تسأل عنه وعن حاله؟ فقلت: وما حاله؟ فقال: كان تاركًا للصلاة،

والخامس يا أمير المؤمنين نبشت قبرًا فرأيته قد وسع على الميت مد البصر، وفيه نور ساطع، والميت نائم على سرير، وقد أشرق نوره، وعليه ثياب حسنة، فأخذتني منه هيبة وأردت الخروج، فقيل لي: هلا تسأل عن حاله، لماذا أُكرم بهذه الكرامة؟ فقلت: لماذا أُكرم؟ فقيل لي: لأنه كان شابًّا طائعًا نشأ في طاعة الله عزَّ وجلَّ وعبادته.

فقال عبد الملك عند ذلك: إن في ذلك لعبرة للعاصين وبشارة للطائعين، فالواجب على المبتلى بهذه المعائب المبادرة إلى التوبة والطاعة، جعلنا الله وإياكم من الطائعين، وجنبنا أفعال الفاسقين، إنه جواد كريم.

٢- عن الفضيل بن عياض أنه حضر عند تلميذ له حضرته الوفاة فجعل يلقنه الشهادة، ولسانه لا ينطق بها، فكررها عليه، فقال: لا أقولها، وأنا بريء منها، فخرج الفضيل من عنده، وهو يبكي، ثم رآه بعد مدة في منامه، وهو يسحب إلى النار، فقال: يا مسكين؛ بم نزعت منك المعرفة؟ فقال: يا أستاذ، كان بي علة، فأتيت بعض الأطباء، فقال لي: تشرب في كل سنة قدحًا من الخمر، وإن لم تفعل تبقى بك علتك، فكنت أشربها كل سنة للتداوي، فهذا حال من يشربها للتداوي، فكيف حال من يشربها لغير ذلك؟ نسأل الله العفو والعافية من كل بلاء.

٣- سُئل بعض التائبين عن سبب توبته، فقال: كنت أنبش القبور، فرأيت فيها أمواتًا مصروفين عن القبلة، فسألت أهليهم عنهم قالوا: كانوا يشربون الخمر في الدنيا، وماتوا من غير توبة.

٤- وقال بعض الصالحين: مات لي ولد صغير، فلما دفنته، رأيته بعد موته في المنام، وقد شاب رأسه، فقلت: يا ولدي، دفنتك وأنت صغير فما الذي شيبك؟ فقال: يا أبت دفن إلى جانبي رجل ممن كان يشرب الخمر في الدنيا فزفرت جهنم لقدومه زفرةً لم يبقَ منها طفل إلا شاب رأسه من شدة زفرتها، نعوذ بالله منها، ونسأل الله العفو والعافية مما يوجب العذاب في الآخر فالواجب على العبد أن يتوب إلى الله تعالى، قبل أن يُدركه الموت، وهو على أشر حالة، فيلقى في النار، نعوذ بالله منها.

الكبيرة الستون
التسمّع على الناس ما يسرون

قال الله تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾ [الحجرات: ١٢]، قال ابن الجوزي ؒ: قرأ أبو زيد والحسن والضحاك وابن سيرين بالحاء، قال: أبو عبيدة: التجسس والتحسس واحد وهو البحث، ومنه الجاسوس، وقال يحيىٰ بن أبي كثير: التجسس (بالجيم) عن عورات الناس، (وبالحاء): الاستماع لحديث القوم، قال المفسرون: التجسس: البحث عن عيب المسلمين وعوراتهم، فالمعنىٰ: لا يبحث أحدكم عن عيب أخيه؛ ليطلع عليه إذا ستره الله، وقيل لابن مسعود: هذا الوليد بن عقبة تقطر لحيته خمرًا، قال: إنا قد نهينا عن التجسس، ولكن إن يظهر لنا شئ نأخذ به. (٥٦٠)

وقال رسول الله ﷺ: «**من استمع إلى حديث قوم، وهم له كارهون صُبَّ في أذنيه الآنك يوم القيامة**» أخرجه البخاري عن ابن عباس.

والآنك: الرصاص المذاب، نعوذ بالله منه، (٥٤٥) ونسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم.

موعظة

عباد الله ...

إن المنايا قد دقت واقتربت .. فالنفوس رهينة قد جمعت وتعبت.

كأنكم بأكف الردىٰ قد أخذت وسلبت .. رب شمس طالعة علىٰ القبر قد غربت.

يا فراخ الفنا .. فخاخ البلىٰ قد نصبت.

عباد الله .. كل المعاصي قد سطرت وكتبت.

والنفوس رهينة بما جنت واكتسبت .. لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت.

يا من يغتر بالأماني والآمال الكواذب .. ومبارزًا بالقبائح، وما يدري من يحارب.

يا حاضر البدن غير أن القلب غائب .. أرضيت أن تفوتك الخيرات والرغائب؟

يا من عمره يفنى في ممره ويسري كالنجائب[1].

يا من شاب وما تاب، هذا من العجائب.

يا عجبًا كيف نام المطلوب، وما غفل الطالب!

---

(١) النجائب: (جمع نجيب) عتاق الإبل التي يسابق عليها.

الكبيرة الحادية والستون

الفرار من الزحف
إذ لم يزد العدو على ضعف المسلمين
إلا متحرفًا لقتال أو متحيزًا إلى فئة وإن بعدت

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا ﴾ أي: إذا لقيتم أعداءكم الكفار مجتمعين، كأنهم يزحفون زحفًا ﴿ فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴾، أي: فلا تنهزموا أمامهم، بل اثبتوا واصبروا، ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ ﴾، أي: ومن يولهم يوم اللقاء ظهره منهزمًا، ﴿ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ ﴾، أي: إلا في حالة التوجه لقتال طائفة أخرى، أو بالفر للكر، بأن يخيل لعدوه أنه منهزم ليغره مكيدة، ﴿ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ ﴾، أي: منضمًا إلى جماعة المسلمين يستنجد بهم، ﴿ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾، أي: فقد رجع بسخط عظيم، ﴿ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ﴾، أي: مقره ومسكنه الذي يأوي إليه نار جهنم، ﴿ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الأنفال: ١٥، ١٦]، أي: بئس المرجع والمآل[١].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**» قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «**الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**» رواه البخاري ومسلم (٤/ ٥١) وغيرهما.

وعن ابن عباس ﷺ قال: لما نزلت ﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ﴾ فكتب الله عليهم أن لا يفر عشرون من مائتين، ثم نزلت: ﴿ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٥-٦٦] فكتب ألا يفر مائة من مائتين، رواه البخاري وأبو داود[٢].

---

(١) صفوة التفاسير (٤٩٧).

(٢) نيل الأوطار (٧/ ٢٥٢).

الكبيرة الثانية والستون
الغلول من الغنيمة
وهي من بيت المال ومن الزكاة

قال الله تعالىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ﴾، أي: ما صح ولا استقام شرعًا ولا عقلًا لنبي من الأنبياء أن يخون في الغنيمة والنفي هنا نفي للشأن، وهو أبلغ من نفي الفعل؛ لأن المراد أنه لا يتأتىٰ ولا يصح أن يتصور فضلًا عن أن يحصل ويقع، ﴿ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [آل عمران: ١٦١]، أي: ومن يخن من غنائم المسلمين شيئًا، يأتِ حاملًا له علىٰ عنقه يوم القيامة، فضيحة له علىٰ رءوس الأشهاد[١].

وقال الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٥٨]، أي: لا يحب من ليس عنده وفاء ولا عهد[٢].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم، فذكر الغلول فعظمه، وعظم أمره حتىٰ قال: «**لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء، فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا، قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة، فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا، قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء، فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح، فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا، قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق، فيقول يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا. قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا، قد أبلغتك** ».

لا ألفين: لا أجدن.

---

(١) صفوة التفاسير (٢٢٤).

(٢) صفوة التفاسير (٥١١).

الرغاء: (بضم الراء وبالغين المعجمة والمد): هو صوت الإبل وذوات الخف، والحمحمة: (بحاءين مهملتين مفتوحتين) هو صوت الفرس.

والثغاء (بضم المثلثة وبالغين المعجمة والمد): هو صوت الغنم، والرقاع (بكسر الراء جمع رقعة) وهي ما تكتب فيه الحقوق، وتخفق: تتحرك وتضطرب، والصامت: الذهب أو الفضة. (٢/ ١٨٧)

فمن أخذ شيئًا من هذه الأنواع المذكورة: من الغنيمة قبل أن تقسم بين الغانمين، أو من بيت المال بغير إذن الإمامَ أو من الزكاة التي تجمع للفقراء جاء يوم القيامة حامله على رقبته كما ذكر الله تعالى في القرآن: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١].

ولقول النبي ﷺ لما استعمل ابن اللتبية على الصدقة وقدم وقال: هذا لكم، وهذا أهدي إليَّ، فصعد النبي ﷺ المنبر وحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «**والله لا يأخذ أحد منكم شيئًا بغير حقه إلا لقي الله يحمله يوم القيامة، فلا أعرفن أحدًا منكم لقي الله يحمل بعيرًا له رُغاء أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر**»، ثم رفع يديه حتى رؤى بياض إبطيه يقول: «**اللهم هل بلغت**» رواه البخاري ومسلم وأبو داود من حديث ابن حميد الساعدي، قوله: تيعر بمثناة فوق مفتوحة، ثم مثناة تحت ساكنة، ثم عين مهملة مفتوحة وقد تكسر، أي: تصيح، واليعار: صوت الشاة. (١/ ٢٧٦)

وعن أبي هريرة ﷺ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر، ففتح الله علينا، فلم نغنم ذهبًا ولا ورقًا، غنمنا المتاع والطعام والثياب، ثم انطلقنا إلى الواد،ي يعني: واد القرى، ومع رسول الله ﷺ عبد له، وهبه له رجل من بني جذام يدعى رفاعة بن يزيد من بني الضبيب، فلما نزلنا الوادي قام عند رسول الله ﷺ يحل رحله فرُمِي بسهم، فكان فيه حتفه، فقلنا: هنيئًا له الشهادة يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ: «**لا والذي نفس محمد بيده، إن الشملة لتلتهب عليه نارًا، أخذها من الغنائم لم تصبها المقاسم**».

قال: ففزع الناس، فجاء رجل بشراك[1] أو شراكين، فقال: أصبت يوم خيبر فقال

---

(١) شراك النعل: سيرها الذي على ظهر القدم (المصباح).

رسول الله ﷺ: «**شراك من نار، أو شراكان من نار**» رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي.

والشملة: كساء أصفر من القطيفة يتشح به. (٢/ ١٨٧-١٨٨)

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: كان على ثقل[1] رسول الله ﷺ رجل يقال له: كركرة، فمات، فقال رسول الله ﷺ: «**هو في النار**» فذهبوا ينظرون إليه، فوجدوا عباءة قد غلها، رواه البخاري. (٢/ ١٨٦)

وعن زيد بن خالد رضي الله عنه: أن رجلًا من أصحاب النبي ﷺ توفي يوم خيبر فذكروا لرسول الله ﷺ فقال: «**صلوا على صاحبكم**» فتغيرت وجوه الناس لذلك، فقال: «**إن صاحبكم قد غل في سبيل الله**» ففتشنا متاعه، فوجدنا خرزًا من خرز يهود لا يساوي درهمين، رواه مالك، وأحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه. (٢/ ١٨٦)

وجاء عن النبي ﷺ أنه قال: «**هدايا الأمراء غلول**» رواه الطبراني في الأوسط، وإسناده حسن[2].

وقال ﷺ: «**لا يقبل الله صلاة بغير طهور، ولا صدقة من غلول**» رواه مسلم[3].

قال الإمام أحمد رحمه الله: «ما نعلم أن النبي ﷺ امتنع من الصلاة عن أحد إلا عن الغال، وقاتل نفسه»، فنسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم.

---

(١) الثَّقَلُ: (بفتحتين) متاع المسافر وحشمه (اللسان).

(٢) مجمع الزوائد (٤/ ١٥١).

(٣) صحيح مسلم (١/ ٢٠٤).

الكبيرة الثالثة والستون
الدلالة على عورات المسلمين

فيه حديث حاطب بن أبي بلتعة، وأن عمر أراد قتله بها فعل، فمنعه رسول الله ﷺ من قتله؛ لكونه شهد بدرًا.

فقد خرَّج البخاري في صحيحه عن علي ﷺ قال: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد بن الأسود، قال: «**انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة، ومعها كتاب فخذوه منها**» فانطلقنا تعادي بنا خيلنا، حتى انتهينا إلى الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي من كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب، أو لنلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**يا حاطب ما هذا؟**»، قال: يا رسول الله لا تعجل عليَّ، إن كنت امرءًا ملصقًا في قريش، ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهليهم وأموالهم، فأحببت إذا فاتني ذلك النسب فيهم، أن اتخذ عندهم يدًا يحمون بها قرابتي، وما فعلت كفرًا، ولا ارتدادًا، ولا رضًا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «**لقد صدقكم**»، قال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، قال: «**إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»[1].

- فإذا ترتب على جس [الجاسوس] وهن الإسلام، وأهله [من] قتل، أو سبي، أو نهب، أو شيء من ذلك، فهذا ممن سعى في الأرض فسادًا وأهلك الحرث والنسل فيتعين قتله، وحق عليه العذاب، فنسأل الله العفو والعافية.

- وبالضرورة يدري كل ذي حس، أن النميمة إذا كانت من أكبر المحرمات فنميمة الجاسوس أكبر وأعظم، نعوذ بالله من ذلك، ونسأله العفو والعافية، إنه لطيف خبير، جواد كريم.

---

(١) هذا لفظ البخاري (٤/ ٧٢) روضة خاخ: موضع بين مكة والمدينة بقرب المدينة، والظعينة -هنا- الجارية، تعادي بنا خيلنا: تجري، عقاصها (بكسر العين): شعرها المضفور، أفاده النووي (١٦/ ٥٥-٥٦).

الكبيرة الرابعة والستون
اليمين الغموس

- قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً ﴾ أي: عَرَضًا يسيرًا من الدنيا، وهو ما يحلفون عليه كاذبين، ﴿ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ أي: لا نصيب لهم في الآخرة، ﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ أي: بكلام يسرهم، ﴿ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ نظرًا يسرهم، وهو نظر الرحمة، ﴿ وَلَا يُزَكِّيهِمْ ﴾ ولا يزيدهم خيرًا ولا يثني عليهم، ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٧٧].

قال الواحدي: نزلت في رجلين اختصما إلى النبي ﷺ في ضيعة، فهمَّ المدعى عليه أن يحلف، فأنزل الله هذه الآية فنكل المدعى عليه عن اليمين وأقر المدعى بحقه.

- وعن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: **«من حلف على يمين هو فيها فاجر ليقتطع بها مال امرئ مسلم لقى الله عزَّ وجلَّ وهو عليه غضبان»**.

فقال الأشعث: فيَّ والله كان ذلك؛ كان بيني وبين رجل من اليهود أرض فجحدني أرضي، فقدمته إلى رسول الله ﷺ، فقال لي رسول الله ﷺ: **«ألك بينة؟»** قلت: لا، فقال لليهودي: **«احلف»**، فقلت: يا رسول الله إذًا يحلف فيذهب مالي، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً ﴾ رواه أحمد والبخاري ومسلم[1].

- وفي رواية لهما مرفوعًا: **«من حلف على مال امرئ مسلم بغير حقه لقي الله، وهو عليه غضبان»**، قال عبد الله: ثم قرأ علينا رسول الله ﷺ مصداقه من كتاب الله عزَّ وجلَّ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً ﴾. (٣/ ٤٤-٤٥)

- وعن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: **«من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار، وحرم عليه الجنة»**، قالوا: وإن كان شيئًا يسيرًا يا رسول الله؟ فقال: **«وإن كان قضيبًا من أراك»** أخرجه مسلم في صحيحه. (٣/ ٤٨)

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٣٧٥).

- قيل لحفص بن ميسرة: ما أشد هذا الحديث! فقال: أليس في كتاب الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنًا قَلِيلاً ﴾؟

- وعن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم**»، قلت: يا رسول الله من هم؟ خسروا وخابوا، قال: وأعاده رسول الله ﷺ ثلاث مرات، قال: «**المسبل، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب، والمنان**» رواه أحمد ومسلم وأصحاب السنن. (٣/ ٩٨)

- وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، واليمين الغموس**» رواه البخاري والترمذي والنسائي، والغموس: هي التي يتعمد الكذب فيها، سميت غموسًا (بفتح الغين)؛ لأنها تغمس الحالف في الإثم في الدنيا، وفي النار في الآخرة. (٣/ ٤٦)

فصل

- ومن ذلك الحلف بغير الله عزَّ وجلَّ كالنبي ﷺ، والكعبة، والملائكة والسماء، والآباء والحياة والأمانة، وهي أشد ما هنا، والروح والرأس، وحياة السلطان، ونعمة السلطان، وتربة فلان.

- عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت**» خرَّجه البخاري ومسلم وغيرهما (٤/ ٣١)، وفي رواية في الصحيح: «.. **فمن كان حالفًا فلا يحلف إلا بالله أو ليسكت**». (٦٠١)

- وعن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تحلفوا بالطواغي، ولا بآبائكم**» رواه مسلم، الطواغي: (جمع طاغية) وهي الأصنام.

ومنه الحديث: «**هذه طاغية دوس**»، أي: صنمهم ومعبودهم.

ورُوِي في غير مسلم: «.. **بالطواغيت**» جمع طاغوت، وهو الشيطان والصنم (٦٠١)

- وعن بريدة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من حلف بالأمانة فليس منا**» حديث صحيح رواه أبو داود بإسناد صحيح. (٦٠١)

- وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من حلف فقال: إني بريء من الإسلام، فإن كان كاذبًا فهو كما قال، وإن كان صادقًا، فلن يرجع إلى الإسلام سالمًا**» رواه أبو داود وصححه النسائي[1]. (٦٠١)

- وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رجلًا يقول: لا والكعبة، فقال ابن عمر: لا تحلف بغير الله، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**»، رواه الترمذي وحسَّنه، وابن حبان في صحيحه والحاكم، وقال: صحيح على شرطهما[2].

قال: وفسر بعض العلماء قوله: «**كفر أو أشرك**» على التغليظ، كما رُوِي عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن اليسير من الرياء شرك**»[3].

- وقال ﷺ: «**من حلف فقال في حلفه باللات والعزى فليقل: لا إله إلا الله**» رواه البخاري ومسلم[4].

- وقد كان في الصحابة من هو حديث عهد بالحلف بها قبل إسلامه فربما سبق لسانه إلى الحلف بها، فأمره النبي ﷺ أن يبادر بقوله: «**لا إله إلا الله**»؛ ليكفر بذلك ما سبق إلى لسانه، وبالله التوفيق.

---

(١) نقله الشوكاني (٨/ ٢٣٣)، ونقل المنذري تصحيح الحاكم له (٤/ ٣١)، وأقره الذهبي على تصحيحه على شرط البخاري ومسلم (٤/ ٢٩٨).

(٢) وأقره الذهبي (٤/ ٢٩٧).

(٣) صدر حديث خرجه الحاكم (٤/ ٣٢٨) وصححه وأقره الذهبي.

(٤) البخاري (٨/ ١٦٥)، ومسلم (١٢٦٧).

الكبيرة الخامسة والستون
الظلم في القضاء

- قال الله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤] والحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفرًا ينقل عن الملة، وقد يكون معصية كبيرة أو صغيرة، فإنه إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب، وأنه مخيَّر فيه أو استهان به مع تيقنه أنه حكم الله فهذا كفر أكبر، وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله، وعلمه في هذه الواقعة، وعدل عنه مع اعترافه بأنه مستحقٌّ للعقوبة فهذا عاصٍ، ويسمى كافرًا كفرًا مجازيًّا، أو كفرًا أصغر، وإن جهل حكم الله فيها، مع بذل جهده واستفراغ وسعه في معرفة الحكم وأخطأه، فهذا مخطئ له أجر على اجتهاده، وخطؤه مغفور(*)

- وقال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [المائدة: ٤٥]، أي: المبالغون في الظلم لمخالفة شرع الله[١].

- وقال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٤٧]، أي: المتمردون الخارجون عن الإيمان وطاعة الله[٢].

- صحح الحاكم[٣] من حديث بريدة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**قاضيان في النار وقاضٍ في الجنة، قاضٍ قضى بالحق، فهو في الجنة، وقاضٍ قضى بجور فهو في النار، وقاضٍ قضى بجهله، فهو في النار**»، قالوا: فما ذنب هذا الذي يجهل؟ قال: «**ذنبه ألا يكون قاضيًا حتى يعلم**».

- وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من ولي القضاء أو جُعِل قاضيًا بين الناس، فقد ذُبِح بغير سكين**» رواه أبو داود والترمذي واللفظ له، وحسَّنه وصححه

(*) شرح العقيدة الطحاوية (٣٠٣، ٣٠٤).

(١) صفوة التفاسير (٣٣١-٣٣٢).

(٢) صفوة التفاسير (٣٣١-٣٣٢).

(٣) وأقره الذهبي على تصحيحه على شرط مسلم (٤/ ٩٠)، وقال في الكبائر وتبيين المحارم وإسناده قوي (٩٨).

الحاكم[1]، ومعنى قوله: «ذُبِح بغير سكين» أن الذبح بالسكين يحصل به إراحة الذبيحة بتعجيل إزهاق روحها، فإذا ذُبِحت بغير سكين، كان فيه تعذيب لها، وقيل: إن الذبح لما كان في ظاهر العرف، وغالب العادة بالسكين عدل ﷺ عن ظاهر العرف والعادة إلى غير ذلك، ليعلم أن مراده ﷺ بهذا القول ما يخاف عليه من هلاك دينه، دون هلاك بدنه، ذكره الخطابي ويحتمل غير ذلك. (٣/ ١٣١)

- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول «**يدعى القائد العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يتمنى أنه لم يقضِ بين اثنين في عمره قَطُّ**» خرَّجه ابن حبان في صحيحه. (٣/ ١٣٢)

- ورُوِي أنه لا يقبل الله صلاة إمام حكم بغير ما أنزل الله.

- ورُوِي أن القاضي ليزل في جهنم أبعد من عدن.

- ورُوِي أنه ليس من والٍ ولا قاضٍ إلا يُؤتَى به يوم القيامة حتى يوقف بين يدي الله عزَّ وجلَّ على الصراط، ثم تُنشَر سريرته، فتُقرَأ على رءوس الخلائق، فإن كان عدلًا نجاه الله بعدله، وإن كان غير ذلك انتفض به ذلك الجسر انتفاضًا، فصار بين كل عضو من أعضائه مسيرة كذا وكذا، ثم ينخرق به الجسر إلى جهنم.

- وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: ينبغي للقاضي أن يكون يومًا في القضاء ويومًا في البكاء على نفسه.

- وقال محمد بن واسع رحمه الله: أول من يدعى يوم القيامة للحساب القضاة.

- وقال مكحول: لو خُيِّرت بين القضاء، وبين ضرب عنقي، لاخترت ضرب عنقي على القضاء.

- وقال أيوب السختياني: إني وجدت أعلم الناس أشدهم هربًا منه.

- وقيل للثوري: إن شريكًا استقضى، فقال: أي رجل قد أفسدوه!

---

(١) وأقره الذهبي (٤/ ٩١).

- ودعا مالك بن المنذر محمد بن واسع، ليجعله على قضاء البصرة، فأبى فعاوده وقال: لتجلسن، وإلا جلدتك، فقال: إن تفعل، فإنك سلطان وإن ذليل الدنيا خير من ذليل الآخرة.

- وقال وهب بن منبه: إذا همَّ الحاكم بالجور، أو عمل به، أدخل الله النقص على أهل مملكته، حتى في الأسواق والأرزاق، والزرع والضرع، وكل شيء، وإذا همَّ بالخير أوالعدل، أدخل الله البركة على أهل مملكته كذلك.

- وكتب عامل من عمال حمص إلى عمر بن عبد العزيز ﷺ: أما بعد.. فإن مدينة حمص قد تهدمت واحتاجت إلى إصلاح، فكتب إليه عمر: حصِّنها بالعدل، ونقِّ طرقها من الجور، والسلام.

- ويحرم على القاضي أن يحكم وهو غضبان.

وإذا اجتمع في القاضي: قلة علم، وسوء قصد، وأخلاق زعرة[1]، وقلة ورع فقد تم خسرانه، ووجب عليه أن يعزل نفسه ويبادر بالخلاص من النار فنسأل الله العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى، إنه الجواد الكريم.

موعظة

يا من عمره كلما زاد نقص .. يا من يأمن ملك الموت وقد اقتص.

يا مائلًا إلى الدنيا .. هل سلمت من النقص؟

يا مفرطًا في عمره .. هل بادرت الفرص؟

يا من إذا ارتقى في منهاج الهدى، ثم لاح له الهوى نكص

من لك يوم الحشر عند نشر القصص؟

عجبًا لنفس .. أمست بالليل هاجعة، ونسيت أهوال يوم الواقعة!

وتقرعها المواعظ، فتصغي لها سامعة .. ثم تعود الزواجر عنها ضائعة.

---

(١) في الأساس: زعر الرجل زعرًا: ساء خلقه، وقلَّ خيره.

والنفوس غدت في كرم الكريم طامعة ..!

وليست له في حال من الأحوال طائعة!

والأقدام سعت في الهوىٰ في طرق شاسعة ..!

بعد أن وضحت من الهدىٰ سبل واسعة.

والهمم شرعت في مشارع الهوىٰ متنازعة.

لم تكن مواعظ العقول لها نافعة.

وقلوب تضمر التوبة إذا فزعت بزواجر رادعة.

ثم تعود إلىٰ ما لا يحل مرارًا متتابعة.

الكبيرة السادسة والستون
أخذ الرشوة على الحكم

- قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٨]، أي: لا تدلوا بأموالكم إلى الحكام، أي: لا تصانعوهم بها، ولا ترشوهم؛ ليقتطعوا لكم حقًّا لغيركم، وأنتم تعلمون أنه لا يحل لكم.

- وعن أبي هريرة ﷺ قال: (لَعَنَ رسول الله الراشي والمرتشي في الحكم) رواه الترمذي وحسَّنه وابن حبان في صحيحه والحاكم[1] وزادوا (والرائش). (٣/ ١٤٣)

- وعن أم سلمة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «**لعن الله الراشي والمرتشى في الحكم**» رواه الطبراني بإسناد جيد. (٣/ ١٤٣)

- **قال العلماء**: فالراشي: هو الذي يعطي الرشوة، والمرتشي: هو الذي يأخذ الرشوة، وإنما تلحق اللعنة الراشي: إذا قصد بها أذية مسلم، أو ينال بها ما لا يستحق، أما إذا أعطى ليتوصل إلى حق له، ويدفع عن نفسه ظلمًا، فإنه غير داخل في اللعنة، وأما الحاكم: فالرشوة عليه حرام، أبطل حقًّا، أو دفع ظلمًا.

- وأما الرائش: وهو الساعي بينهما، فهو تابع للراشي في قصده، فإن قصد خيرًا لم تلحقه اللعنة، وإلا لحقته.

- وقال ابن مسعود ؓ: (الرشوة في الحكم كفر، وهي بين الناس سحت) رواه الطبراني موقوفًا بإسناد صحيح. (٣/ ١٤٣)

---

(١) وأقره الذهبي (٤/ ١٠٣).

فصل

- ومن ذلك ما روى أبو داود في سننه[1] عن أبي أمامة الباهلي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من شفع لأخيه بشفاعة، فأهدى له هدية عليها فقبلها، فقد أتى بابًا عظيمًا من أبواب الربا**».

- وعن ابن مسعود قال: «**السحت أن تطلب لأخيك الحاجة، فتقضى فيهدي إليك هدية، فتقبلها منه**».

- وعن مسروق أنه كلم ابن زياد في مظلمة، فردها فأهدى إليه صاحب المظلمة وصيفًا، فردها ولم يقبلها، وقال: سمعت ابن مسعود يقول: (من ردَّ عن مسلم مظلمة، فأعطاه على ذلك قليلًا أو كثيرًا فهو سحت) فقال الرجل: يا أبا عبد الرحمن ما كان نظن أن السحت إلا الرشوة في الحكم، فقال: ذلك كفر، نعوذ بالله منه، ونسأل الله العفو والعافية من كل بلاء ومكروه.

حكاية

- عن الإمام أبي عمرو الأوزاعي ﷺ وكان يسكن ببيروت: أن نصرانيًا جاء إليه، فقال: إن والي بعلبك ظلمني بمظلمة، وأريد أن تكتب إليه وأتاه بقلة عسل، فقال الأوزاعي ﷺ: إن شئت رددت القلة، وكتبت لك، وإن شئت أخذت القلة، فكتب له إلى الوالي: أن ضع عن هذا النصراني من خراجه، فأخذ القلة والكتاب ومضى إلى الوالي فأعطاه الكتاب، فوضع عنه ثلاثين درهمًا بشفاعة الإمام رحمه الله وحشرنا في ذمرته.

موعظة

عباد الله ...

تدبروا العواقب ... واحذروا قوة المعاقب ...

واخشوا عقوبة المعاقب، وخافوا سلب السالب، فإنه والله طالب غالب.

---

(١) سنن أبي داود (٣/ ٢٩٢) من طريق القاسم بن عبد الرحمن، قال ابن عبد الهادي: والقاسم مختلف في توثيقه، والترمذي يصحح حديثه (١٥١) المحرر.

أين الذين قعدوا في طلب المنىٰ وقاموا؟

وداروا في توطئة دار الرحيل وحاموا ...؟

ما أقل ما لبثوا، وما أوفىٰ ما أقاموا!

لقد وبخوا نفوسهم في قعر قبورهم علىٰ ما أسلفوا ولاموا:

أمــــا والله لـــو علــم الأنــام لِمَـا خُلِقـوا لَمَـا هجعـوا ونـاموا

لقـد خلقـوا لأمـر لـو رأتـه عيـون قلـوبهم تـاهوا وهـاموا

ممـات ثـم قـبر ثـم حـشر وتـوبيخ وأهـوال عظـام

ليـوم الحـشر قـد عملـت رجـال فـصلّوا مـن مخافتـه وصـاموا

ونحـن إذا أمرنـا أو نهينـا كأهـل الكهـف أيقـاظ نيـام

يا من بأقذار الخطايا قد تلطخ وبآفات البلايا قد تضمخ

يا من يسمع كلام من لام ووبخ ... يعقد التوبة حتىٰ إذا أمسىٰ يفسخ

يا مطلقًا لسانه والملك يحصىٰ وينسخ ...

يا من طير الهوىٰ في صدره قد عشش وفرخ

كم أباد الموت ملوكًا كالجبال الشوامخ ...!

كما أزعج قواعد كانت في الكبر ترسخ!

وأسكنهم ظلم اللحود، ومن ورائهم برزخ.

يا من قلبه من بدنه بالذنوب أوسخ.

يا مبارزًا بالعظائم .. أتأمن أن يخسف بك أو تمسخ؟!

يا من لازم العيب بعد استهال الشيب .. ففعله يؤرخ.

والحمد لله دائمًا أبدًا.

الكبيرة السابعة والستون
شهادة الزور

- قال الله تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾ [الفرقان: ٧٢]، هذا هو الوصف السابع من أوصاف عباد الرحمن[١]، أي: لا يشهدون الشهادة الباطلة شهادة الزور التي تضيِّع حقوق الناس[٢].

- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لن تزول قدما شاهد الزور حتى يوجب الله له النار**» رواه ابن ماجه والحاكم، وقال: صحيح الإسناد[٣]. (٣/ ١٦٦)

- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (عدلت شهادة الزور الإشراك بالله ثلاث مرات)، ثم قرأ: ﴿ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴾، رواه الطبراني بإسناد حسن. (٣/ ١٦٦)

- قال المصنف رحمه الله تعالىٰ: شاهد الزور قد ارتكب عظائم:

أحدها: الكذب والافتراء، قال الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر: ٢٨]، وفي الحديث: «**يطبع المؤمن على كل خلة غير الخيانة والكذب**» رواه البزار وأبو يعلىٰ ورواته رواة الصحيح. (٤/ ٢٨)

وثانيها: أنه ظلم الذي شهد عليه حتىٰ أخذ بشهادته ماله أو عرضه أو روحه.

وثالثها: أنه ظلم الذي شهد له، بأنه ساق إليه المال الحرام فأخذه بشهادته فوجبت له النار، وقال ﷺ: «**فمن قضيت له بحق أخيه فإنما أقطع له قطعة من النار**» متفق عليه (١١٧)

---

(١) وتفصيلها من أول قوله تعالىٰ: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ [الفرقان: ٦٣].

(٢) صفوة التفاسير (٩٦٧).

(٣) وأقره الذهبي (٤/ ٩٨) لكن قال البوصيري: في إسناده محمد بن الفرات متفق علىٰ ضعفه، وكذّبه الإمام أحمد (٢/ ٧٩٤).

ورابعها: أنه أباح ما حرم الله تعالى وعصمه من المال والدم والعرض، قال ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟** -ثلاثًا- **الإشراك بالله وعقوق الوالدين، ألا وشهادة الزور، وقول الزور**» وكان متكئًا فجلس، فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت، رواه البخاري ومسلم والترمذي (٣/ ١٦٦) فنسأل الله تعالى السلامة والعافية من كل بلاء.

الكبيرة الثامنة والستون
الكذب الذي فيه حد أو إضرار

- [قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣]، أي: لا يوفِّق للهدى، ولا يُرشد للدين الحق من كان كاذبًا على ربه، مبالغًا في كفره[١].

- وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾، أي: لا يكذب على الله إلا من لم يؤمن بالله ولا بآياته؛ لأنه لا يخاف عقابًا يردعه، فالكذب جريمة فاحشة لا يقدم عليها مؤمن: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥]، أي: هم الكاذبون على الحقيقة[٢]].

- وقال تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ [الذاريات: ١٠] يعني: لعن الكذابون[٣].

- وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨]، أي: لا يوفق للهداية والإيمان من هو مسرف في الضلال، مبالغ في الكذب على الله[٤].

- وفي الصحيحين عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذَّابًا**» وخرَّجه أيضًا الترمذي وصححه وهذا لفظه. (٤/ ٢٧)

- وفي الصحيحين أيضًا عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان**». (٤/ ٤٣)

---

(١) صفوة التفاسير (١٢٣٤).

(٢) صفوة التفاسير (٧٢٨).

(٣) وهو قول الحسن كما في النكت والعيون (٤/ ١٠٧) قال ابن الأنباري: «والقتل إذا أخبر عن الله تعالى به فهو بمعنى اللعنة، لأن من لعنه الله فهو بمنزلة المقتول الهالك»، نقله في زاد المسير (٨/ ٣٠).

(٤) صفوة التفاسير (١٢٦٢)

- وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**أربعٌ من كُنَّ فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خِصلة منهنَّ، كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**» رواه البخاري ومسلم وغيرهما.
(٤/ ٢٧)

- وفي صحيح البخاري في حديث منام النبي ﷺ الذي رواه سمرة بن جندب، قال: «**فأتينا على رجلٍ مستلقٍ على قفاه، وإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد وإذا هو يأتي أحد شقي وجهه فيشرشر شدقه إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وعيناه إلى قفاه، قال: ثم يتحول إلى الجانب الآخر، فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول، قال: فما يفرغ من ذلك الجانب، حتى يصح ذلك الجانب كما كان، ثم يعود عليه، فيفعل مثل ما فعل المرة الأولى، قلت: سبحان الله، ما هذا؟! قالا لي: انطلق انطلق، ثم فسر الملكان للنبي ﷺ تأويل ذلك فقالا: وأما الرجل الذي أتيت عليه يشرشر شدقه إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه فإنه الرجل يغدو من بيته، فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق**».

والكلُّوب: (بفتح الكاف وضمها وتشديد اللام) هي حديدة معوجة الرأس وقوله: «**يشرشر شدقه**» هو بشينين معجمتين الأولى منهما مفتوحة والثانية مكسورة وراءين الأولى منهما ساكنة، ومعناه: يقطعه ويشقه. (١/ ١٩٨-٢٠٠)

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهمُ الله يوم القيامة ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذابٌ أليم: شيخ زانٍ وملك كذاب، وعائل مستكبر**» رواه مسلم وغيره (٤/ ٣٠) العائل: الفقير.

- وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به القوم فيكذب، ويل له، ويل له**» رواه أبو داود والترمذي وحسَّنه والنسائي وغيرهم. (٤/ ٣٠)

- وفي الحديث: «**يطبع المؤمن على كل خلة غير الخيانة والكذب**» رواه البزار وأبو يعلى، ورواته رواة الصحيح. (٤/ ٢٨)

- وعن النواس بن سمعان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثًا هو لك مصدق وأنت له كاذب**» رواه أحمد عن شيخه عمر بن هارون، وفيه خلاف وبقية رواته ثقات. (٤/ ٢٨)

- وقال ابن مسعود ﷺ: «**لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى ينكت في قلبه نكتة سوداء، حتى يسود قلبه، فيكتب عند الله من الكاذبين**».

- وأعظم من ذلك الحلف، كما أخبر الله تعالى عن المنافقين بقوله: ﴿ **وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ [المجادلة: ١٤].

- وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: رجل على فضل ماء بفلاة يمنعه ابن السبيل، ورجل بايع رجلًا بسلعته بعد العصر فحلف بالله لأخذها بكذا وكذا، فصدقه فأخذها، وهو على غير ذلك، ورجل بايع إمامًا لا يبايعه إلا للدنيا؛ فإن أعطاه منها ما يريد وفَى له، وإن لم يعطه لم يفِ**» رواه البخاري ومسلم وغيرهما. (٣/ ٣٠)

- **ومن أعظم الكذب: الكذب في الرؤيا:**

- وفي الحديث: «**من تحلَّم بحلم لم يره كُلِّف أن يعقد بين شعرتين ولن يفعل**» رواه البخاري. (٥٤٥)

وتحلم: أي قال: إنه حلم في نومه، ورأى كذا وكذا، وهو كاذب.

- وقال رسول الله ﷺ: «**أفرى الفرى: أن يري الرجل عينيه ما لم تريا**» رواه البخاري عن ابن عمر. (٥٤٥)

معناه: أن يقول: رأيته في منامي كَيْت وكَيْت، ولم يكن رأى شيئًا.

- فينبغي للمسلم أن يحفظ لسانه عن الكلام، إلا كلامًا ظهرت فيه المصلحة فإن في السكوت سلامة، والسلام لا يعدلها شيء.

- وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرًا أو ليصمت**». (٣٠٠)

فهذا الحديث المتفق على صحته نصٌّ صريح في أنه لا ينبغي للإنسان أن يتكلم إلا إذا كان الكلام خيرًا، وهو الذي ظهرت مصلحته للمتكلم.

- قال أبو موسى قلت: يا رسول الله أي المسلمين أفضل؟ قال: «**من سلم المسلمون من لسانه ويده**» رواه البخاري ومسلم وغيرهما. (٤/ ٢)

- وفي الصحيحين عن أبي هريرة مرفوعًا: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب**» ما يتبين فيها، أي: ما يتفكر هل هي خير أو شر؟ (٤/ ٩)

- وفي موطأ مالك من رواية بلال بن الحارث المزني عن رسول الله ﷺ قال: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله تعالى له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل يتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه**» وخرَّجه كذلك الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح. (٤/ ٩)

- والأحاديث الصحيحة بنحو ما ذكرنا كثيرة، وفيما أشرنا إليه كفاية.

- **وسئل بعضهم**: كم وجدت في ابن آدم من العيوب؟

فقال: هي أكثر من أن تحصى، والذي أحصيت ثمانية آلاف عيب ووجدت خصلة إذا استعملتها سترت العيوب كلها، وهي حفظ اللسان جنَّبنا الله معاصيه، واستعملنا فيما يرضيه إنه جواد كريم.

موعظة

أيها العبد:

لا شيء أعز عليك من عمرك، وأنت تضيعه!

ولا عدو لك كالشيطان وأنت تطيعه.

ولا أضر من موافقة نفسك وأنت تصافيها ..

ولا بضاعة سوى ساعات السلامة، وأنت تسرف فيها!

لقد مضىٰ من عمرك الأطايب، فما بقىٰ بعد شيب الذوائب؟

يا حاضر البدن والقلب غائب، اجتماع العيب والشيب من جملة المصايب ..

يمضي زمن الصبا وحب الحبائب .. كفىٰ [الموت] زاجرًا واعظًا تشيب منه الذوائب.

يا غافلًا فاته أفضل المناقب .. أين البكا لخوف العظيم الطالب؟

أين الزمان الذي ضاع في الملاعب؟ أما نظرت؟ فيه آخر العواقب!

كم في القيامة من دمع ساكب، علىٰ ذنوب قد حواها كتاب الكاتب؟

من لي إذا قمت في موقف المحاسَب.

وقيل لي: ما صنعت في كل واجب؟

كيف ترجو النجاة تلهو بأسر الملاعب؟ .. إذا أتتك الأماني بظن الكاذب.

الموت صعب شديد مر المشارب .. يلقي شره بكاس صدور الكتائب.

فانظر لنفسك وانتظر قدوم الغائب .. يأتي بقهر ويرمي بسهم صائب.

يا آملًا أن تبقىٰ سليمًا من النوائب .. بنيت بيتًا كنسيج العناكب.

أين الذين علوا متون الركايب؟ .. ضيقت بهم المنايا سبل المذاهب.

وأنت بعد قليل حليف المصايب .. فانظر وتفكر قبل العجايب

الكبيرة التاسعة والستون

القمار

- قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ قال ابن عباس: الخمر: جميع الأشربة التي تسكر، والميسر: القمار كانوا يتقامرون به في الجاهلية ﴿ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ ﴾، قال ابن عباس ومجاهد: ﴿ وَٱلْأَنصَابُ ﴾ حجارة كانوا يذبحون قرابينهم عندها، ﴿ وَٱلْأَزْلَٰمُ ﴾ قداح كانوا يستقسمون بها، ﴿ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ أي: قَذِر ونجس تعافه العقول، وخبيث مستقذر من تزيين الشيطان ﴿ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾، أي: اتركوه، وكونوا في جانب آخر بعيدين عن هذه القاذورات؛ لتفوزوا بالثواب العظيم ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ﴾، أي: ما يريد الشيطان بهذه الرذائل إلا إيقاع العداوة والبغضاء بين المؤمنين في شربهم الخمر ولعبهم القمار، ﴿ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠-٩١]، استفهام معناه الأمر، أي: انتهوا، ولذلك قال عمر: انتهينا ربنا انتهينا.

- قال أبو حيان: ذكر الله تعالى في الخمر والميسر مفسدتين:

أحدهما: دنيوية، والأخرى: دينية.

فأما الدنيوية: فإن الخمر تثير الشرور والأحقاد، وتئول بشاربها إلى التقاطع وأما الميسر، فإن الرجل لا يزال يقامر حتى يبقى سليبًا لا شيء له وينتهي إلى أن يقامر حتى على أهله وولده.

وأما الدينية: فالخمر لغلبة السرور والطرب بها تلهي عن ذكر الله وعن الصلاة، والميسرُ سواء كان غالبًا أو مغلوبًا يلهي عن ذكر الله[1].

---

(١) صفوة التفاسير (٣٤٩-٣٥٠).

- **والميسر**: هو القمار بأي نوع كان: نرد، أو شطرنج، أو فصوص، أو كعاب، أو جوز، أو بيض، أو حصى، أو غير ذلك.

- وهو من أكل أموال الناس بالباطل الذي نهى الله عنه بقوله: ﴿ **وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ** ﴾.

- وداخل في قوله ﷺ: «**إن رجالًا يتخوَّضون في مال الله بغير حق، فلهم النار يوم القيامة**» رواه البخاري عن خولة بنت عامر. (١١٨)

- وفي صحيح البخاري[١] أن رسول الله ﷺ قال: «**ومن قال لصاحبه تعال أقامرك فليتصدَّق**»، فإذا كان القول يوجب الكفارة، أو الصدقة، فما ظنك بالفعل؟

فصل

- اتفق العلماء على تحريم اللعب بالنرد وإن خلا عن رهن؛ لما صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من لعب بالنردشير، فكأنما غمس يده في لحم خنزير ودمه**» رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه من حديث بريدة. (٤/ ٥٦)

- وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من لعب بنرد أو نردشير فقد عصى الله ورسوله**» رواه مالك وغيره وصححه الحاكم على شرط الشيخين[٢]. (٤/ ٥٦)

- **أما الشطرنج**: فأكثر العلماء على تحريم اللعب بها، سواء كان برهن أو بغيره، أما برهن، فهو قمار بلا خلاف، وأما الكلام إذا خلا عن الرهن، فهو أيضًا قمار حرام عند أكثر العلماء، وكرهه الشافعي كراهة تنزيه.

- وسئل النووي رحمه الله عن اللعب بالشطرنج أحرام أم جائز؟ فأجاب رحمه الله تعالى: هو حرام عند أكثر أهل العلم.

- وسئل أيضًا رحمه الله عن لعب الشطرنج، هل يجوز أم لا؟ وهل يأثم اللاعب بها أم لا؟ أجاب رحمه الله: إن فوَّت به صلاة عن وقتها، أو لعب بها على عوض، فهو حرام وإلا: فمكروه عند الشافعي، وحرام عند غيره، وهذا كلام النووي في فتاويه.

---

(١) البخاري (٨/ ١٦٥).

(٢) وأقره الذهبي (١/ ٥٠).

- والدليل على تحريمه على قول الأكثرين في قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَـٰمِ ﴾ [المائدة: ٣] قال سفيان ووكيع بن الجراح: هي الشطرنج.

- وقال علي بن أبي طالب ﷺ: (الشطرنج ميسر الأعاجم)، ومر ﷺ على قوم يلعبون بها فقال: (ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون؟ لأن يمس أحدكم جمرًا حتى يطفئ خير له من أن يمسها) ثم قال: (والله لغير هذا خلقتم).

- وقال أيضًا ﷺ: (صاحب الشطرنج أكذب الناس: يقول أحدهم: قتلت، وما قتل، ومات، وما مات).

- وقال أبو موسى الأشعري ﷺ: (لا يلعب الشطرنج إلى خاطئ).

- وقيل لإسحاق بن راهويه: أترى في اللعب بالشطرنج بأسًا؟ فقال: (البأس كله فيه)، فقيل له: إن أهل الثغور يلعبون بها لأجل الحرب، فقال: هو فجور.

وسئل ابن عمر ﷺ عن الشطرنج، فقال: (هي أشر من النرد).

- وسئل محمد بن كعب القرظي عن اللعب بالشطرنج فقال:

(أدنى ما يكون فيها أن اللاعب بها يعرض يوم القيامة، أو قال: يحشر يوم القيامة مع أصحاب الباطل).

- وقيل لإبراهيم النخعي: ما تقول في اللعب بالشطرنج؟ فقال: (إنها ملعونة)

- وسئل الإمام مالك بن أنس ﷺ عن الشطرنج فقال:

(الشطرنج من النرد، بلغنا عن ابن عباس أنه ولي مالًا ليتيم فوجدها في تركة والد اليتيم فأحرقها، ولو كان اللعب بها حلالًا لما جاز له أن يحرقها؛ لكونها مال اليتيم.

ولكن لما كان اللعب بها حرامًا أحرقها، فتكون من جنس الخمر إذا وجد في مال اليتيم، وجبت إراقته، كذلك الشطرنج)

وهذا مذهب حبر الأمة ﷺ.

- ورُوِي: (أن لله في كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة إلى خلقه، ليس لصاحب الشاه فيها نصيب) يعني لاعب الشطرنج؛ لأنه يقول: شاه مات.

- وقال مجاهد: (ما من ميت يموت إلا مثل له جلساؤه الذين كان جالسهم فاحتضر رجل ممن كان يلعب الشطرنج، فقيل له: قل: لا إله إلا الله، فقال: شاهك ... ثم مات.

فغلب على لسانه ما كان يعتاده حال حياته في اللعب، فقال عوض كلمة الإخلاص: شاهك.

- وهذا كما جاء في إنسان آخر ممن كان يجالس شُرَّاب الخمر:

أنه حين حضره الموت جاءه إنسان يلقنه الشهادة، فقال له: اشرب واسقني ثم مات ... فلا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

- وهذا كما جاء في حديث مروي:

«يُبعث كل عبد على ما مات عليه» رواه مسلم[1].

فنسأل الله المنان بفضله أن يتوفانا مع المسلمين لا مبدلين، ولا مغيرين، ولا ضالين ولا زائغين، إنه جواد كريم.

- ورُوِي أيضًا: (إذا مررتم بهؤلاء الذين يلعبون بهذه الأزلام -النرد والشطرنج- وما كان من اللهو فلا تسلموا عليهم؛ فإنهم إذا اجتمعوا، وأكبوا عليها جاءهم الشيطان بجنوده، فأحدق بهم؛ كلما ذهب واحد منهم يصرف بصره عنها لكزه الشيطان بجنوده، فلا يزالون يلعبون حتى يتفرقوا، كالكلاب: اجتمعت على جيفة، فأكلت منها حتى ملأت بطونها، ثم تفرقت، ولأنهم يكذبون عليها؛ فيقولون: شاه مات).

---

(١) صحيح مسلم (٤/٢٢٠٦).

الكبيرة السبعون

سب أحد الصحابة (رضوان الله عليهم)

- ثبت في البخاري عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**يقول الله تعالى: من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب**». (١٨٠)

ومعنى (آذنته): أعلمته أني محارب له.

- وقال ﷺ: «**لا تسبوا أحدًا من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أُحد ذهبًا ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه**» مخرَّج في الصحيحين[١].

- وقال ﷺ: «**اللهَ ... اللهَ في أصحابي، لا تتخذوهم غرضًا بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه**» أخرجه الترمذي، وقال: غريب[٢].

ففي هذا الحديث وأمثاله بيان حالة من جعلهم غرضًا بعد رسول الله ﷺ وسبهم وافترى عليهم وعابهم، وكفَّرهم واجترأ عليهم.

وقوله ﷺ: «اللهَ اللهَ»: كلمة تحذير وإنذار، كما يقول المحذر: النار النار، أي: احذروا النار.

وقوله: «**لا تتخذوهم غرضًا بعدي**»، أي: لا تتخذوهم غرضًا للسب والطعن كما يقال: اتخذ فلانًا غرضًا لسبه، أي: هدفًا للسب.

وقوله: « **فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم** » فهذا من أجل الفضائل والمناقب؛ لأن محبة الصحابة لكونهم صحبوا رسول الله ﷺ ونصروه وآمنوا به، وعزروه، وواسوه بالأنفس والأموال، فمن أحبهم فإنما أحب النبي ﷺ، فحب أصحاب النبي ﷺ عنوان محبته، وبغضهم عنوان بغضه، كما جاء في الحديث الصحيح: «**حب الأنصار آية الإيمان وبغضهم آية النفاق**» رواه مسلم[٣].

---

(١) وهذا لفظ مسلم (٤/ ١٩٦٧).

(٢) الترمذي (٥/ ٦٩٦)، وفي التحفة (١٠/ ٣٦٥): حسن غريب.

(٣) صحيح مسلم (١/ ٨٥).

وما ذاك إلا لسابقتهم ومجاهدتهم أعداء الله بين يدي رسول الله ﷺ.

- وكذلك حب علي ﷺ من الإيمان، وبغضه من النفاق؛ فقد خرَّج مسلم في صحيحه [(١)] عن علي ﷺ قال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي ﷺ إليَّ: **«أن لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلَّا منافق»**.

- فإذا كان هذا قاله النبي ﷺ في حق علي، فالصِّدِّيق بالأولى والأحرى؛ لأنه أفضل الخلق بعد النبي ﷺ، ومذهب عمر وعلي ﷺ أن من فضَّل على الصِّدِّيق أحدًا، فإنه يجلد حد المفتري [(٢)].

- وإنما يعرف فضائل الصحابة ﷺ من تدبر أحوالهم وسيرهم وآثارهم في حياة رسول الله ﷺ، وبعد موته من المسابقة إلى الإيمان، والمجاهدة للكفار، ونشر الدين وإظهار شعائر الإسلام، وإعلاء كلمة الله ورسوله، وتعليم فرائضه، وسننه ولولاهم ما وصل إلينا من الدين أصل ولا فرع، ولا علمنا من الفرائض والسنن سنة ولا فرضًا، ولا علمنا من الأحاديث والأخبار شيئًا.

- فمن طعن فيهم، أو سبهم، فقد خرج من الدين، ومرق من ملة المسلمين؛ لأن الطعن لا يكون إلا عن اعتقاد مساويهم، وإضمار الحقد فيهم وإنكار ما ذكره الله تعالى في كتابه من ثنائه عليهم وفضائلهم ومناقبهم، وحبهم.

ولأنهم أرضى الوسائل من المأثور، والوسائط من المنقول، والطعن في الوسائط طعن في الأصل، والازدراء بالناقل ازدراء بالمنقول وهذا ظاهر لمن تدبره وسلم من النفاق ومن الزندقة والإلحاد في عقيدته.

وحسبك ما جاء في الأخبار والآثار من ذلك.

كقول النبي ﷺ: **«إن الله تبارك وتعالى اختارني واختار لي أصحابًا فجعل لي منهم وزراء وأنصارًا وأصهارًا فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل»** رواه الحاكم وصححه [(٣)].

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٨٦)

(٢) الزيادة في كتاب الكبائر وتبيين المحارم (١٥٠)

(٣) وأقره الذهبي (٣/ ٦٣٢).

- وعن عبد الله بن مسعود قال: (إن الله عزَّ وجلَّ نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه وابتعثه برسالاته، ثم نظر في قلوب العباد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه ﷺ يقاتلون عن دينه فما رآه المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون سيئًا فهو عند الله سيئ) رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير ورجاله موثقون[1].

- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي لعن الله من سب أصحابي**» رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير علي بن سهل، وهو ثقة[2].

- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكر النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا**» رواه الطبراني بإسناد حسن[3].

- قال العلماء: معناه: من فحص عن سر القدر في الخلق، وهو -أي: الإمساك- علامة الإيمان والتسليم لأمر الله، وكذلك النجوم، ومن اعتقد أنها فعالة أو لها تأثير من غير إرادة الله عزَّ وجلَّ فهو مشرك.

وكذلك من ذمَّ أصحاب رسول الله ﷺ بشيء وتتبع عثراتهم، وذكر عيبًا وأضافه إليهم كان منافقًا، بل الواجب على المسلم حب الله وحب رسوله وحب ما جاء به، وحب من يقوم بأمره، وحب من يأخذ بهديه ويعمل بسنته وحب آله وأصحابه وأزواجه وأولاده وغلمانه وخدامه، وحب من يحبهم وبغض من يبغضهم؛ لأن أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله.

- قال أيوب السختياني رضي الله عنه: (من أحب أبا بكر فقد أقام منار الدين، ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله، ومن أحب عليًّا فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن قال الخير في أصحاب رسول الله ﷺ فقد برئ من النفاق).

---

(١) مجمع الزوائد (١/ ١٧٧).

(٢) مجمع الزوائد (١٠/ ٢١).

(٣) قاله الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (١/ ٣٦).

فصل

- وأما مناقب الصحابة وفضائلهم فأكثر من أن تذكر، وأجمعت علماء السنة أن أفضل الصحابة العشرة المشهود لهم، وأفضل العشرة: أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب ﷺ أجمعين ولا يشك في ذلك إلا مبتدع منافق خبيث.

- وقد نص النبي ﷺ على ذلك في حديث العرباض بن سارية ﷺ، حيث قال: «... **فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور ... الحديث**» رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. (١/ ٤٠)

قوله: «**عضوا عليها بالنواجذ**»، أي: اجتهدوا على السنة والزموها، واحرصوا عليها، كما يلزم العاض على الشيء بنواجذه، خوفًا من ذهابه وتفلته.

و«**النواجذ**» (بالنون والجيم والذال المعجمة): هي الأنياب، وقيل: الأضراس.

الخلفاء الراشدون هم: أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ ﷺ أجمعين.

- وأنزل الله في فضائل أبي بكر ﷺ آيات من القرآن.

قال الله تعالى: ﴿ **وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ** ﴾ [النور: ٢٢].

لا خلاف أن ذلك فيه، فنعته بالفضل رضوان الله عليه.

وقال تعالى: ﴿ **ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ** ﴾ [التوبة: ٤٠].

لا خلاف أيضًا أن ذلك في أبي بكر ﷺ شهدت له الربوبية بالصحبة، وبشره بالسكينة، وحلاه بثاني اثنين.

كما قال عمر بن الخطاب ﷺ: من يكون أفضل من ثاني اثنين الله ثالثهما؟

وقال الله تعالى: ﴿ **وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ** ﴾ [الزمر: ٣٣].

قال جعفر الصادق: لا خلاف أن ﴿ **وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ** ﴾ رسول الله ﷺ، والذي ﴿ **وَصَدَّقَ بِهِ** ﴾ أبو بكر ﷺ، وأي منقبة أبلغ من ذلك فيهم رضي الله عنهم؟!!

مراجع التحقيق

١- إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد — ط. السنة المحمدية

٢- إحياء علوم الدين للغزالي (ت ٥٠٥) — ط. عيسى الحلبي

٣- الأذكار للنووي (ت ٦٧٦) تحقيق عبد القادر الأرناؤوط — ط. بيروت

٤- أساس البلاغة للزمخشري (ت ٥٢٨) — ط. بيروت

٥- أسباب النزول للواحدي (ت ١٤١) — ط. المتنبي

٦- الاستقصاء لأدلة تحريم الاستمناء للغماري — ط. القاهرة

٧- إعراب ثلاثين سورة من القرآن لابن خالويه (ت ٣٧٠) — ط. المتنبي

٨- الإعلام بقواطع الإسلام لابن حجر الهيثمي (ت ٩٧٤) — ط. الشعب

٩- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم (ت ٧٥١) — ط. مصطفى الحلبي

١٠- الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، لابن عبد البر (ت ٤٦٣) — ط. دار الكتب العلمية بيروت – لبنان

١١- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (ت ٧٩١) — ط. البهية

١٢- بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد (ت ٥٩٥) — ط. مصطفى الحلبي

١٣- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ت ٢١٣) — ط. دار التراث

١٤- التبصرة لابن الجوزي (ت ٥٩٧) — ط. عيسى الحلبي

١٥- تحفة الأحوذي للمباركفوري (ت ١٣٥٣) — ط. المكتبة السلفية بالمدينة المنورة

١٦- تخريج أحاديث الإحياء للعراقي (ت ٨٠٦) — ط. عيسى الحلبي

١٧- الترغيب والترهيب للمنذري (ت ٦٥٦) — ط. منير الدمشقي

١٨- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (ت ٧٧٤) — ط. مكتبة شباب الأزهر

١٩- تلخيص الحبير لابن حجر (٨٥٢) — ط. الكليات الأزهرية

٢٠- الجامع الأزهر من أحاديث النبي الأنور للمناوي (ت ١٠٣١) — ط. المركز العربي للطبع والنشر

٢١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (ت ٣١٠) — ط. دار المعارف

٢٢- جمهرة الأجزاء الحديثية اعتناء وتخريج محمد زياد تكلة ط. مكتبة العبيكان

٢٣- الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي (ت ٦٧١) ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٤- الدر المنثور في التفسير المأثور للسيوطي (ت ٩١١) ط. دار المعرفة بيروت

٢٥- رياض الصالحين للنووي (ت ٦٧٦) ط. مكتبة الدعوة الإسلامية

٢٦- زاد المسلم في علم التفسير لابن الجوزي (ت ٥٩٧) ط. المكتب الإسلامي

٢٧- زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم (ت ٧٥١) ط. المطبعة المصرية

٢٨- الزهد للإمام أحمد (ت ٢٤١) ط. مطبعة أم القرىٰ

٢٩- الزواجر لابن حجر الهيثمي (ت ٩٧٤) ط. دار الشعب

٣٠- سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ط. المكتب الإسلامي

٣١- سنن ابن ماجه (ت ٢٧٥) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ط. عيسىٰ الحلبي

٣٢- سنن أبي داود (ت ٢٧٥) تحقيق محيي الدين عبد الحميد ط. المكتبة التجارية الكبرىٰ

٣٣- سنن أبي داود (ت ٢٧٥) تعليق الشيخ ناصر الدين الألباني عناية مشهور بن حسن آل سلمان ط. مكتبة المعارف الرياض

٣٤- سنن الترمذي (ت ٢٩٧) تحقيق أحمد شاكر ط. مصطفىٰ الحلبي

٣٥- سنن الترمذي (ت ٢٩٧) تعليق الشيخ ناصر الدين الألباني عناية مشهور بن حسن آل سلمان ط. مكتبة المعارف الرياض

٣٦- سنن النسائي (ت ٣٠٣) بحاشية السيوطي والسندي ط. دار الفكر بيروت

٣٧- شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (ت ٧٩٢) ط. المكتب الإسلامي

٣٨- الشريعة، الآجري (ت ٣٦٠) ط. أنصار السنة المحمدية - لاهور

٣٩- صحيح البخاري للإمام البخاري (ت ٢٥٦) ط. دار الشعب

٤٠- صحيح ابن خزيمة (ت ٣١١) تحقيق محمد مصطفىٰ الأعظمي ط. المكتب الإسلامي

٤١- صحيح مسلم (ت ٢٦١) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ط. عيسىٰ الحلبي

٤٢- صفوة التفاسير للصابوني ط. مكتبة الغزالي

٤٣- عدة الصابرين لابن القيم (ت ٧٥١) — ط. المتنبي

٤٤- عقيدة المؤمن لأبي بكر الجزائري — ط. مكتبة شباب الأزهر

٤٥- عمدة التفسير، للحافظ ابن كثير — ط. مكتبة المعارف

٤٦- عون المعبود شرح سنن أبي داود لشمس الحق العظيم آبادي (ت ١٣٢٩) — ط. المكتبة السلفية - المدينة المنورة

٤٧- الفتاوىٰ الكبرىٰ لابن تيمية (ت ٧٢٨) — ط. فرج الله زكي الكردي

٤٨- فتح الباري لابن حجر (ت ٨٥٢) — ط. مكتبة الكليات الأزهرية

٤٩- فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد للبخاري فضل الله الجيلاني — ط. المكتبة السلفية

٥٠- الفوائد لابن القيم (ت ٧٥١) — ط. المتنبي

٥١- فيض القدير شرح الجامع الصغير للسيوطي للمناوي (ت ١٠٣١) — ط. المكتبة التجارية الكبرىٰ

٥٢- القاموس المحيط للفيروز آبادي (ت ٨١٧) — ط. المطبعة الحسينية

٥٣- الكبائر للذهبي (ت ٧٤٨) — ط. المتنبي ودار السلام

٥٤- الكبائر وتبيين المحارم للذهبي (ت ٧٤٨) تحقيق محي الدين مستو — ط. مؤسسة علوم القرآن

٥٥- كتاب التعازي لأبي الحسن علي بن محمد المدائني (ت ٢٢٨) — ط. العراق

٥٦- كتاب الصلاة لابن القيم (ت ٧٥١) — ط. المكتبة السلفية

٥٧- كتاب القرطين لابن مطرف الكتاني (ت ٤٥٤) — ط. دار المعرفة

٥٨- لسان العرب لابن منظور (ت ٧١١) — ط. دار المعارف

٥٩- اللؤلؤ والمرجان جمع فؤاد عبد الباقي — ط. عيسىٰ الحلبي

٦٠- مجمع الزوائد للهيثمي (ت ٨٠٧) — ط. مكتبة القدسي

٦١- محاسن التأويل لجمال الدين القاسمي (ت ١٣٣٢) — ط. عيسىٰ الحلبي

٦٢- المحرر في أحاديث الأحكام لابن عبد الهادي (ت ٧٤٤) — ط. المكتبة التجارية الكبرىٰ

٦٣- مختصر تذكرة القرطبي للشعراني (ت ٩٧٣) ط. دار الوعي

٦٤- مختصر سنن أبي داود للمنذري (ت ٦٥٦) ط. مكتبة السنة المحمدية

٦٥- المستدرك للحاكم (ت ٤٠٥) ط. دار الكتاب العربي - بيروت

٦٦- مستند الأجناد في آلات الجهاد لابن جماعة (ت ٨١٩) ط. وزارة الثقافة العراقية

٦٧- مسند الإمام أحمد تحقيق أحمد شاكر ط. دار المعارف

٦٨- مشارق الأنوار للقاضي عياض (ت ٥٤٤) ط. دار التراث

٦٩- المصباح المنير للفيومي (ت ٧٧٠) ط. دار الكتب العلمية - بيروت

٧٠- المعجم الوسيط ط. مجمع اللغة العربية

٧١- المعجم الوجيز ط. مجمع اللغة العربية

٧٢- المغني لابن قدامة (ت ٦٢٠) ط. مكتبة القاهرة

٧٣- المقاصد الحسنة للسخاوي (٩٠٢) ط. مكتبة الخانجي

٧٤- مناقب الإمام الشافعي للبيهقي (ت ٤٥٨) ط. دار التراث

٧٥- المنتخب في تفسير القرآن ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

٧٦- المهذب للشيرازي (ت ٤٧٦) ط. عيسى الحلبي

٧٧- نهاية البداية والنهاية لابن كثير (ت ٧٧٤) ط. المكتبة القيمة

٧٨- نيل الأوطار للشوكاني (ت ١٢٢٥) ط. مكتبة شباب الأزهر.

الفهرس

لن يمضى وقت طويل حتى يتضح لقارىء هذا الكتاب ضخامة ما بذل فيه من جهد ليخرج فى هذه الصورة من حيث :

* **إكمال النقص** : فقد أُكمل بفضل الله عز وجل الخرم فى المخطوطات المختلفة والنقص فى طبعات الكتاب السابقة .

* **والتحقيق** : فقد كان وافيا حيث شمل الآيات القرآنية بحظها من العناية فى الدلالة على مواضعها والزيادة فى تفسيرها ـ كما أحاط بالعناية النصوص الحديثية فذكر درجتها وحذف الواهى منها ثم ضبطها وشرح غريبها وذكر فوائدها . مع الاهتمام بتوثيق نص الكتاب الأصلى وإيضاح المبهم وتوجيه فروعه الفقهية .

* **أما التهذيب والترتيب** : فقد كانت العناية به فائقة من ضم المسائل المتناظرة وترتيب الكتاب على الأبواب الفقهية

كما تم تعديل أسماء بعض الكبائر مع إعادة صياغة المادة العلمية للكتاب بزيادات مهمة وفوائد جمة وفرائد منثورة .

كل ذلك وأكثر فى ثنايا الأبواب وطيات الكتاب طلباً للذخر والثواب من المولى الكريم الوهاب .

فدونك ـ أيها العابد الناسك والواعظ العالم ـ كتاب الكبائر فى حلته الجديدة .

الناشـــر